جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الإنسانية
قسم التاريخ

التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني (1519 - 1830م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة:
لنوار صبرينة

إشراف الأستاذ الدكتور:
عبد الرحمان أولاد سيدي الشيخ

لجنة المناقشة:

الأستاذ	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
أ. د. توفيق دحماني	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	رئيسا
أ. د. عبد الرحمان أولاد سيدي الشيخ	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	مشرفا ومقررا
أ. د. الصادق دهاش	أستاذ التعليم العالي	جامعة البليدة 2	عضوا مناقشا
أ. د. أحمد بن جابو	أستاذ التعليم العالي	المدرسة العليا للأساتذة	عضوا مناقشا
د. محمد جلال	أستاذ محاضر	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
د. محمد بلقاسم	أستاذ محاضر	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 1439 - 1440هـ / 2018 - 2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد صلى الله عليه وسلم وبعد :

أتقدم بجزيل الشكر وخالص الوفاء والامتنان إلى أستاذي الفاضل الدكتور **عبد الرحمن اولاد سيدي الشيخ** الذي شرفني بالإشراف على أطروحتي، ومنحني ما أعتبره طوقا من الإحسان لا يسعني ردُّه، فله مني جزيل التقدير والاحترام، وأسأل الله أن يبارك فيه ويمتعه بالصحة والعافية هو وأسرته الكريمة وينعم بعلمه وعمله إنه مجيب الدعاء .

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى أساتذتي بقسم التاريخ الذين بذلوا الجهد الموصول والعطاء المشكور والسعي المستمر لرفع المستوى العلمي، وتحقيق الاحترام المتبادل والتعاون لبناء أسرة متكاملة كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى كما ورد في الحديث الشريف .

الإهداء

إلى كل من قدّم روحه لتكون الجزائر واحة استقلال
وأمن واستقرار
إلى جميع أفراد أسرتي وخاصة والدي الكريمين
إلى زوجي الكريم وجميع أبنائي
إلى جميع أساتذة قسم التاريخ
إلى جميع الأصدقاء الصادقين والمخلصين الذين جمعتني
بهم أخوة لم تعرف المادية إليها سبيلا
وإلى جميع طلبة العلم..

إلى جميع هؤلاء
أهدي هذا الجهد المتواضع

مقدِّمة

تعدّ عملية التربية والتعليم من العوامل المهمة والأساسية في رقي الأمة، وقد أولى الإسلام أهمية كبيرة لذلك عندما نزلت أول آية من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق 1-5]. لقد كان التعليم من العوامل الأساسية التي تساهم في تقدم المجتمعات، ولا يزال الأساس الحقيقي لكل ثقافة. فهو يعمل على تقدم المجتمع لأنه يكتسي أهمية بالغة في حياة الأفراد والمجتمعات، إذ يعتبر الوسيلة المثلى لإحداث أي تغيير في المسار الحضاري لأية أمة، لذلك انصبّت جهود العلماء قديمًا وحديثًا على نشره، سعيًا منهم نحو الأفضل والارتقاء .

ويعتبر موضوع الدراسة الموسوم بـ: "التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني (1519 – 1830م)" من بين المواضيع المهمة في حقل الدراسات التاريخية، فالتعليم أحد مظاهر الحضارة، ويستحق من الباحثين كل عناية لنعرف ما أسهمت به أمتنا في بناء هذا الصرح الحضاري. خصوصا وأن موضوع دراستنا يؤرخ للفترة الحديثة من 1519-1830م، أي الفترة التي سبقت الاستعمار الفرنسي، وتمتد إلى فترة تزيد عن ثلاثة قرون.

حاولت من خلال هذه الدراسة تفنيد ما ادعته المدرسة الفرنسية بوصف الجزائر أنها لا تملك ماضياً ثقافياً، والفكرة السائدة لدى عامة الناس أن الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر عرفت فراغًا ثقافيًا وعقمًا فكريًا.

تضاربت مواقف المؤرخين حول التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، فهناك من يقول أن الجزائر خلال هذه المرحلة عرفت جمودًا فكريًا، والبعض يقول أنه كان هناك نشاطًا ثقافيًا وتعليميًا لكن لا يرقى المستوى الذي كانت تعرفه الدول الإسلامية، فما هو محل الجزائر من هذا التقدم الثقافي؟ وحاولت الإجابة عليه من خلال التطرق إلى التربية والتعليم التي تعتبر أحد جوانب تلك الحضارة ومدى مساهمة الجزائر في إثراء الثقافة العربية الإسلامية خلال الفترة الحديثة.

فهذه مجموعة من التساؤلات رأينا من الضروري علينا أن نتطرق إليها ضمن عناصر الموضوع لعلّنا نتمكّن من تغطيتها حسب المادة العلمية المتوفرة، وضمن هذا الإطار تستهدف الدراسة الإجابة على المسائل التالية:

- ما هي العوامل التي ساهمت في نشأة الحركة التعليمية في الجزائر، واستمرارها خلال العهد العثماني؟
- المؤسسات التعليمية ودورها في مجال التعليم؟ فئة المعلمين والطلبة تعتبر أهم عنصر في عملية التعليم، فكيف كان يعيّن المعلم؟ ما هي الشروط التي يجب أن تتوفر في عملية انتقائه، ومختلف الألقاب التي كانت تمنح له؟ والحالة المادية للمعلم والطالب؟
- هل كان في الجزائر نظام للتعليم، ما هي أهدافه وأبرز خصائصه؟ ما هو المنهج المتبع في التعليم وأهم مراحله والمواد المدروسة؟
- تمويل التعليم هل كانت تشرف عليه الدولة؟ وما هو دور مؤسسة الأوقاف في تشجيع الحركة التعليمية في الجزائر؟ وهل كان لهذه الأخيرة الدور البارز في تمويل التعليم؟
- ما هو الدور الذي قامت به السلطات السياسية في التربية والتعليم وكيف كان موقف العثمانيين من الحياة التعليمية والحضارية؟ وما هي الوسائل والأساليب التي استخدمها المجتمع الجزائري لنشر التعليم؟

كما أن الهدف من هذه الدراسة معرفة محل الجزائر من التقدم الثقافي الذي بلغته المجتمعات العربية الإسلامية، من خلال التعرف إلى التربية والتعليم، باعتبارها أحد جوانب تلك الحضارة، وإعطاء صورة حول مساهمة الجزائر في الثقافة العربية عبر العصور، خاصة الفترة الحديثة التي عرفت نشاطًا تعليميًا تميز بخصائص تنفرد بها هذه الفترة، لِمَا تميزت من أوضاع سياسية واجتماعية انعكست سلبًا على النشاط التعليمي.

وأن تكون حلقة في سلسلة الدراسات التي ترسم صورة للواقع التعليمي الذي ساد الجزائر خلال العهد العثماني، بالرغم من كثرة الدراسات التي تتناول تاريخ الجزائر في الفترة المدروسة، لكنها شملت الحياة الثقافية، مثل دراسة الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي، كذلك بعض الدراسات حول العلماء والأدباء والقضاة والحكام. لكن المعلومات عن هؤلاء لم يقصد بها الحديث عن التعليم بصورة كلية وشاملة.

لذلك موضوع التعليم لم يلقَ حقّه من البحث الأكاديمي، لذا ارتأينا الخوض في غماره، والبحث عن بعض الحقائق التاريخية، خاصة في المادة الأصلية وهي وثائق الأرشيف الوطني، وكنموذج للدراسة الأرشيفية أخذنا مدينة الجزائر. ودراستنا ككل سوف تكون انطلاقا من دراسة نماذج حول حواضر الجزائر التي عرفت نشاطًا ثقافيًا خلال العهد العثماني، خاصة الجزائر، تلمسان، معسكر، بجاية، وهران، قسنطينة، عنابة وبعض المناطق الصحراوية.

إن اختياري للموضوع كإطار تاريخي للبحث تقف وراءه جملة من الاعتبارات تتمثل في:

- أهمية الموضوع والرغبة في تبيان دور المؤسسات التعليمية باعتبارها جزء لا يتجزأ من التراث الثقافي، وتبيان قيمتها ودورها في مجتمع الجزائر خلال العهد العثماني.
- تهدف هذه الدراسة إلى معرفة حظ الجزائر من التقدم الحضاري والثقافي الذي بلغته المجتمعات العربية والإسلامية في فترات الازدهار من تاريخها، من خلال التعرف إلى التعليم باعتباره أحد جوانب تلك الحضارة.
- ربط موضوع الدراسة بعدة مواضيع تاريخية كانت لها الصلة والدور البارز في نشأة الحركة التعليمية في الجزائر واستمرارها، بداية بالفتوحات الإسلامية وبداية ظهور الدول الإسلامية وحركات التصوف التي كان لها دورًا بارزًا في نشأة المؤسسات الثقافية وتعليم اللغة العربية، إضافة إلى الهجرات الأندلسية والرحلة في طلب العلم إلى المشرق والمغرب وتونس. وتبقى الرغبات كثيرة والأهداف متعدّدة كسد فجوة لا تزال قائمة في تاريخ الجزائر الثقافي خلال العصر الحديث، وتقديم خدمة متواضعة لتراثنا الثقافي.

وفي ظل هذه الدراسة اعتمدنا على المنهج التاريخي من حيث المصادر الأصلية خاصة وثائق الأرشيف الوطني، من حيث استقرائها والتحليل والاستنباط والنقد والمقارنة.

كما اعتمدنا في دراستنا على مجموعة من المصادر والمراجع، خاصة كتب التراجم والمشيخة، التي ذكر فيها أهم العلماء الذين مارسوا التدريس، منهم الغبريني، الحفناوي، أبو راس الناصري وغيرهم. كما اعتمدنا على المراجع التي تناولت الحياة

الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، وأهمها كتاب الدكتور أبو القاسم سعد الله "تاريخ الجزائر الثقافي"، إضافة إلى المقالات التي نشرت في مجلة الثقافة والأصالة والمجلة المغاربية، كما اعتمدنا على الرحلات، خاصة منها الحجازية، التي وصفت فيها أهم الحواضر العلمية في المشرق والمغرب والجزائر، وذكر فيها أهم العلماء الذين درس عنهم المؤلف وأهمها رحلة الورتلاني وغيرها.

المصادر العربية المعتمد عليها في الدراسة تحتوي على معلومات تاريخية وبيبلوغرافية قيّمة لا يمكن للباحث الاستغناء عنها نذكر منها:

- مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر وتعتبر مصدرًا مهمًا، يعطي صورة حول أهم الأولياء والعلماء في الجزائر.

- الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني للعالم ابن سحنون الراشيدي، والذي تمكنّا من خلاله معرفة مساهمة الباي محمد بن عثمان الكبير في نشر العلم والثقافة من خلال بناء المدرسة المحمدية بمدينة معسكر.

- كتاب منشور الهدايا في كشف حال من ادّعى العلم والولاية للعلاّمة عبد الكريم الفكون، يتضمن معلومات قيّمة حول الحياة الثقافية في قسنطينة خلال القرنين 10 – 11هـ/16 – 17م، وقام الكاتب بتصنيف العلماء إلى فئتين، كذّب فيها من ادّعى العلم، هذا ما أمكنا من استنتاج أوضاع التعليم بالمدن والأرياف بمدينة قسنطينة، واستخراج أشهر المدرسين والعلماء بها.

- الرحلة الورثلانية لصاحبه الحسين الورتلاني ذكر فيها المشيخة وأهم الأساتذة الذين درس عندهم، واصفًا إياهم بأصحاب العلم والمعرفة. واستفدت من الكتاب بما ذكره صاحبها حول المدن التي زارها، ومجالس العلم التي حضرها في المساجد، ورحلة ابن زاكور الفاسي "نشر أزهار البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان".

أما كتب التراجم فقد استعنت بكتاب الحفناوي "تعريف الخلف برجال السلف" وكتاب ابن مريم "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" وكتاب المحبي "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر". هذه التراجم استفدنا منها في معرفة أشهر علماء الجزائر خلال العهد العثماني الذين مارسوا التعليم، وأهم العلوم التي كانت تدرس في المساجد

والزوايا، وإبراز دورهم التعليمي في الجزائر والمشرق والمغرب.أما المراجع فوجهتنا كانت تاريخ الجزائر الثقافي ج1 و ج2 للدكتور أبو القاسم سعد الله الذي يعتبر موسوعة هامة لا غنى عنها في دراسة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، أهم علمائها وأشهر العلوم التي كانت تدرس.

واعتمدنا في هذه الدراسة على وثائق الأرشيف الوطني المتمثلة في سجلات بيت المال والبايلك وعقود المحاكم الشرعية، لإعطاء صورة حول أهم المدارس والمساجد في مدينة الجزائر كنموذج. كما حاولت من خلال السجلات الخاصة بالأوقاف الموجودة في سجلات البايلك وضع جداول لأجور الأساتذة والمنح التي كانت تقدم للطلبة، من خلال استقراء الوثائق واستنتاج المعطيات التاريخية منها، لكن واجهتنا صعوبات في قراءتها. كما أن السجلات غير مرتبة ترتيبا كرونولوجيا. في بعض الأحيان سجل واحد ينتقل من سنة إلى أخرى بدون ترتيب، رغم ذلك حاولت استخراج الحقائق التاريخية منها وإعطاء صورة حول أهم مدارس ومساجد مدينة الجزائر من خلال الوثائق كنموذج، ووضع جداول لأجرة المدرسين ومنحة الطلبة.

ومهما يكن الأمر فلا أريد الحديث عن صعوبة المهمة، وإنما يمكن التعرض إلى مشكلة يعاني منها الباحث المتخصص في تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، وهي صعوبة قراءة وثائق الأرشيف الوطني، واعتمدنا خاصة على سجلات البايلك. هذا إضافة إلى محتوى السجلات الغير متطابق مع الفهرس الموجود على مستوى مركز الأرشيف الوطني، لهذا كان لزاما علينا دراسة كل العلب للوصول إلى حقائق حول الموضوع، وبفضل المادة التي أمكنني جمعها.

ولتحقيق الغاية من هذا البحث، جاءت الأطروحة في خطتها الإجمالية تحتوي على فصل مدخلي وثلاثة أبواب:

– الفصل المدخلي تطرقت فيه إلى وضع التعليم في الجزائر قبل العهد العثماني، وابراز عوامل نمو الحركة التعليمية في الجزائر (14م – 15م)، تناولنا فيه بداية ظهور الطرق الصوفية في المغرب الأوسط ومساهمتها في نشر العلم، ونشأة المؤسسات التعليمية من

مساجد وكتاتيب وزوايا ومدارس وانتشارها في المغرب الأوسط. و تأثير الجالية الأندلسية والرحلة في طلب العلم في نمو الحركة التعليمية في الجزائر.

– الباب الأول تحت عنوان: المؤسسات التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني، تطرقت إلى هذا الجزء ليس من باب التكرار وإنما لكي نبرز استمرار نشاط المؤسسات التعليمية خلال العهد العثماني، وانتشارها مع إبراز دورها في مجال التربية والتعليم، وقسمنا الباب إلى فصلين، الأول تحت عنوان: الكتّاب، المدارس والمكتبات، والثاني تحت عنوان: المساجد والزوايا معاهد للتعليم.

– الباب الثاني تحت عنوان: نظام التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، وهل كانت هناك سياسة تعليمية واضحة المعالم، من خلال التطرق في الفصل الأول إلى مناهج التدريس ومراحل التعليم، قسّمناه الى ثلاث مباحث: الأول حول مناهج التدريس في المؤسسات التعليمية (الكتّاب، المدارس، الزوايا والمساجد)، والمبحث الثاني تطرقت الى مراحل التعليم (الابتدائية، الثانوية، الدراسات العليا) والعلوم المبرمجة للدراسة، والشهادات التي كانت تقدم للطلبة في نهاية الدراسة (الإجازات)، والمبحث الثالث درسنا فيه كل من المعلمين والطلبة المعلم من حيث مؤهلاته العلمية وألقابه، والطالب الجزائري خلال العهد العثماني، هل وفرت له الوسائل التعليمية لتسهل عليه الدراسة والنظام المتبع من طرف الطلبة.

الفصل الثاني حول مصادر وموارد تمويل التعليم والمؤسسة التي كانت تشرف عليه في غياب إشراف ودعم الدولة للتعليم، ودفع أجور الأساتذة. وما هو دور كل من السلطة السياسية والمجتمع في الحركة العلمية إيجاباً وسلباً؟ قسمنا الفصل إلى ثلاث مباحث الأول تناولنا فيه المؤسسات الوقفية المشرفة على تمويل التعليم، والمبحث الثاني حول أجور المعلمين ومنحة الطلبة، والمبحث الثالث حول دور الحكام و المجتمع في تمويل التعليم.

– الباب الثالث تحت عنوان: الدور التعليمي لعلماء الجزائر، ينقسم إلى فصلين: الفصل الأول الدور التعليمي لعلماء الجزائر داخليا، قسّمناه الى مبحثين الأول تطرقت فيه إلى أشهر المدرسين في الجزائر، والمبحث الثاني حول العلوم التي كانت تدرس والانتاج

العلمي وحركة التأليف. الفصل الثاني تطرقت فيه إلى النشاط التعليمي لعلماء الجزائر مشرقاً ومغرباً، تناولنا فئة علماء الجزائر الذين اختصوا في ممارسة التدريس ونشر المعرفة، وقسمناه إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأول حول علماء الجزائر في المشرق، والمبحث الثاني حول علماء الجزائر في المغرب الأقصى، والمبحث الثالث إلى علماء الجزائر في تونس، وحاولت إبراز النشاط التعليمي لهذه النخبة في المغرب والمشرق، وهل كان لها تأثير على الحركة التعليمية في الجزائر؟

واستنادًا على هذه المصادر والمراجع حاولت الإجابة على الإشكالية المطروحة في موضوعنا الموسوم بـ "التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني (1519 – 1830م) ".

الفصل المدخلي:

الوضع التعليمي العام قبيل العهد العثماني

كان المغرب الإسلامي خلال القرن السابع هجري الثالث عشر، موحدًا تحت راية الدولة الموحدية، فشهد أثناءها استقرارًا سياسيًا واجتماعيًا استمر حوالي قرنا من الزمن، لكن كما نعرف أن الدولة لها أعمار طبيعية كالأشخاص، ودولة الموحدين لم تفلت من هذه القاعدة، أخذ الضعف يدب في حكمها، فكانت هزيمة وقعة العقاب بالأندلس سنة 609هـ/1212م، وتلتها ثورة بني غانية، ثم كانت وقعة بين الموحدين وبني مرين سنة 612هـ/1216م، ثم كان تنافس الولاة والأمراء على الرئاسة، فنجم عن هذا ظهور دول مستقلة، حيث أخضع الجزء الشرقي لسيطرة بني حفص، والجزء الغربي لبني مرين، بينما استقر بنو زيان بالجزء الأوسط، حيث اتخذوا عاصمتهم تلمسان، وهكذا انقلب الوضع بالنسبة لدول المغرب وأصبح التوتر يسوده طوال مدة حكم هذه الدول، تتخللها فترات من الاستقرار[1].

خلال القرن السابع الهجري شهد المغرب الأوسط انهيار دولة الموحدين، ونتج عن تفككها وسقوطها بروز دولة إقليمية في المغرب الأوسط اتخذت من تلمسان عاصمتها وهي الدولة الزيانية، التي حققت إنجازات سياسية وحضارية مهمة، رغم الأوضاع التي كانت تعيشها، حيث كانت مهددة من الدولة المرينية في المغرب الأقصى، والدولة الحفصية في المغرب الأدنى.

وسط هذه الصورة المضطربة للحياة السياسية، كانت هناك بعض المدن تنمو بعدد سكانها، وتشع بمدارسها ومساجدها ثقافة يتغذّى منها المجتمع روحيا وعقليا، ومن هذه المدن نذكر تلمسان وقسنطينة وبجاية ومازونة ووهران والجزائر وعنابة وبسكرة، ففي كل مدينة من هذه المدن عائلات اشتهرت بالعلم والتأليف والدرس أو بالزهد والتصوف. ومن هذه العائلات عائلة المقري والعقباني في تلمسان، وعائلة ابن باديس والقنفد في قسنطينة، وعائلة المنجلاتي والمشدالي في بجاية، وعائلة ابن السكات بمدينة الجزائر، كما اشتهرت بسكرة بعلمائها أبي زيان ناصر بن مزني وعيسى بن سلامة وأبي محمد عبد الله، وعرفت مازونة بعدد من الفقهاء أمثال موسى بن عيسى صاحب (ديباجة الافتخار) و (حيلة المسافر) وابنه يحيى صاحب (الدرر المكنونة) في النوازل. أما مدينة الجزائر فقد

1 – محمد طمار، تلمسان عبر العصور، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص83.

اشتهرت بزاهدها وعالمها عبد الرحمن الثعالبي وتلميذه أحمد بن عبد الله الجزائري، كما اشتهرت مدينة وهران بالعالمين المتصوفين محمد الهواري وتلميذه إبراهيم التازي[1].

ارتبط الوضع الثقافي عامة والحياة الفكرية خاصة في الجزائر قبيل العهد العثماني بالمؤسسات الدينية والتعليمية، وتأثر إلى حد كبير بدور الفقهاء وشيوخ الزوايا في الريف، وكان التعليم منتشرا بكل مستوياته بفضل مختلف المؤسسات التعليمية، من المساجد والكتاتيب والمدارس والزوايا، حيث أدت دورًا هاما في تلقين العلم باعتبار أن هذه الأماكن كانت المنبع الذي يؤخذ منه العلم خلال هذه الفترة.

بدأت المؤسسات الدينية تظهر في الجزائر منذ القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) على يد الفاتحين الأوائل، وكان المسجد هو النواة الأولى لهذه المؤسسات، ثم ظهرت بالتدريج مؤسسات أخرى شاركته في رسالته التعليمية وخففت عنه، وهي المدارس العلمية، الكتاتيب القرآنية والزوايا[2].

1 – الزوايا الصوفية ونشاطها التعليمي:

1.1 – ظهور الزوايا الصوفية في الجزائر وانتشارها:

إن ظهور الطرق الصوفية سواء في المشرق أو المغرب العربي عملت على ظهور الزوايا التي كان لها دورٌ هامٌ في تاريخ المغرب الإسلامي، لأنها سوف تساهم في نشر الإسلام وتعليم اللغة العربية. ولقد انتقلت الطرق الصوفية إلى الجزائر خلال القرن 14م، فأُسست عدة زوايا وانتشرت في عدة مناطق. واحتلت مكانة في المجتمع الجزائري، وكان لها وللفكر الصوفي تأثيرٌ على الحياة الاجتماعية والثقافية، حيث أصبحت الزوايا مركز للإشعاع الروحي والعلمي، وكان لها الفضل في المحافظة على الإسلام واللغة العربية. فكانت مكانًا يلتقي فيه طلبة العلم للتزود بمختلف العلوم الفقهية والدينية، واعتبرت من أهم المؤسسات الثقافية خلال القرنين 14 – 15م، ساهمت في نشر العلم والمعرفة وأدت دورًا اجتماعيًا وتربويًا.

ولقد ساهمت عدة عوامل في انتشار التصوف في الجزائر، والذي كان من أهم نتائجه ظهور مؤسسات عرفت بالزوايا، أدّت دورًا بارزًا في تنشيط الحركة العلمية في

---

1 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500 – 1830)، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص، ص45، 46.

2 – يحيى بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، ط1، منشورات ANEP، الجزائر، 2002، ص13.

الجزائر، كما أنجبت لنا أعلامًا في التصوف عملوا على نشر العلم والمعرفة. فقد انتشر التصوف على مدى واسع، وغطى مناطق عديدة من الوطن، ففي كل بقعة منه زاوية أو مقام ولي صالح، وحلقة ذكر أو شيخ طريقة يدعو إلى التمسك بالشريعة والاقتداء بسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام[1]. ويعود ظهور الصوفية في الجزائر إلى أبي مدين وتلميذه عبد السلام بن مشيش، عملوا على نشر الأفكار الصوفية وتتلمذ على يدهم أبي الحسن الشاذلي الذي كان لتعاليمه أثر كبير في الجزائر. ومعظم الطرق الصوفية التي ظهرت بعد القرن 8هـ/14م تتصل بوجه أو بآخر بتعاليم الطريقة الشاذلية. ولقد تأثر به كل من الشيخ واضح ومحمد الهواري وإبراهيم التازي ومحمد بن يوسف السنوسي [2]. وعبد الرحمن الثعالبي وأحمد الملياني وغيرهم من أتباع الطريقة الشاذلية. كما أن هؤلاء تركوا تلاميذ وأتباعًا، وأسس بعضهم زوايا ظلت إلى اليوم، وألفوا كتبا في أصول هذه الطريقة وفي تراجم رجالها[3].

ومن أعلام التصوف الذي كان لهم الأثر البارز على الحياة الثقافية، هم تلك الطبقة الراسخة في العلم، منهم عبد الرحمن الثعالبي ومحمد بن يوسف السنوسي اللذان ألّفا كتبا غزيرة الفائدة وكانا إلى الفقهاء أقرب منهم إلى المتصوفة، وكانا واسعي الاطلاع على أحوال العصر، وكلاهما قد تصدى للتدريس وترك تلاميذًا[4]. فبدأت حركة التصوف في الانتشار بظهور الأتباع والتلاميذ، وإنشاء الزوايا في المدن والأرياف، أصبحت ملتقى لنشر العلم وبث الأخلاق الفاضلة، وأنجبت لنا رجالاً متصوفين وعلماء عارفين، معظمهم مارس مهنة التدريس .

---

1 – عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط2، دار الخليل القاسمي، الجزائر، (بدون تاريخ)، ص25.

2 – **محمد بن يوسف السنوسي (832هـ – 895هـ/1428م – 1490م)**: عالم تلمسان وكبير علمائها، اشتهر بالعلم وانهال عليه الطلبة من كل مكان يأخذون عنه مختلف العلوم، بالأخص علم العقائد، وقد وضع فيه مؤلفات عرفت شهرة كبيرة في مجالس العلم بعده، وانكب على دراستها وتدريسها وشرحها عدد من الأساتذة الكبار، وانتشرت هذه المؤلفات في كل من المغرب الأقصى ومصر والصحراء الإفريقية، انظر: عبد المنعم القاسمي الحسني، نفسه، ص384.

3 – أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص462.

4 – نفسه، ص463.

ولقد احتلت الطرق الصوفية في المجتمع الجزائري مكانة هامة لا يستهان بها، وكان للفكر الصوفي تأثيرًا كبيرًا على الحياة الاجتماعية والثقافية، هذا ما جعل منها مؤسسات ثقافية، يلتقي فيها الطلبة لتعلم الفقه والعلوم الدينية. بدأ التصوف في الجزائر تصوفا نظريًا، ثم تحول ابتداء من القرن 10هـ/16م واتجه إلى الناحية العملية وأصبح يطلق عليه تصوف الزوايا والطرق الصوفية، وقد وجد التصوف لأول مرة في بلاد القبائل ببجاية والمناطق المحيطة بها. وفي عنوان الدراية للغبريني، نجد لفظ الزاوية ذكر في ترجمته للعلامة قاسم محمد القرشي القرطبي المتوفى سنة (661هـ) ما يؤكد وجودها في ذلك التاريخ ببجاية[1]. وكانت بجاية مركز إشعاع طرقي صوفي لعدة قرون، فلقد انطلق منها رجالات التصوف الكبار. تم عرض الزاوية بعد ذلك بالمغرب العربي بأنها مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية يجتمع فيها مريدوهم لذكر الأوراد، كما كانت تتخذ مأوى لطلبة القرآن والعلم[2].

وظهر في منطقة القبائل نوع جديد من الزوايا تعرف بالمعمرة (تمعمرت)، وهي عبارة عن معاهد لتعليم القرآن وحفظه، أو لدراسة العلوم. وقد انتشر هذا النوع بناحية بجاية بعد احتلال اسبانيا لبجاية ومغادرة سكانها، وخصوصا الجالية الأندلسية التي كانت لاجئة فيها، فإن الكثير من أفرادها أسسوا معاهد في بني يعلى، وبني وغليس، فكانت هذه المعاهد لها أحباس هامة وقوانين داخلية[3].

لقد كانت هذه الزوايا البسيطة روافدًا تمد المدارس والمعاهد والجامعات الإسلامية في المغرب والمشرق، كالجامع الأخضر بقسنطينة، وجامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين بالمغرب الأقصى والجامع الأزهر بمصر[4].

2.1 – النشاط التعليمي للزويا :

1 – أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979، ص176.

2 – محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، (بدون تاريخ النشر)، ص، ص30، 31.

3 – نفسه، ص31.

4 – نفسه، ص33.

واعتبرت هذه المرحلة بداية ظهور التعليم الشعبي العام مع ظهور الدعوة الإسلامية، وانتشار المؤسسات الثقافية في المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة، من بينها الزوايا [1].ولقد صنفت الزوايا خلال هذه الفترة إلى زوايا رسمية وزوايا شعبية، الأولى تنشئها السلطة أي سلاطين الدولة الزيانية، وهي مكان لإطعام المحتاجين وإيوائهم، بينما الزوايا الشعبية يؤسسها زعماء الطرق الصوفية ويتزعمها متصوفة وتكون مكاناً لإيواء وإطعام الصالحين والمريدين، ويتلقون التعليم الديني والوعظ على يد إمام الزاوية الرسمية التي كانت تقوم بتعليم الصبيان، إلاّ أن التعليم الاحترافي كان قليلا فيها إلى غاية القرن 9هـ/15م، بدأ التعليم الرسمي يزدهر بسبب انتشار نفوذ الزوايا[2]. وقد استطاعت أن تطبع هذا التعليم بطابع التصوف، وتجمع بين تدريس علم الظاهر وعلم الباطن، أي بين ثقافة الفقهاء وثقافة المتصوفة[3].

وتعتبر الزوايا من مؤسسات التعليم في الجزائر، تلقى فيها الدروس، وتقام فيها الصلوات الخمس، كما أنها ساهمت في نشر التعليم بأسلوب بسيط. وبالإضافة إلى وظيفتها التعليمية ألحق بها في القرن 8هـ/14م وظيفتي الإيواء والإطعام لقاصديها من المسافرين وعابر السبيل، فالزاوية دور علم وإقامة على نمط المدارس الداخلية[4]. فهي مدرسة دينية أو دار للضيافة ينشؤها رجال الطرق الصوفية، أدت دورا اجتماعيا وتعليميا تمثل في تدريس الطلبة مختلف العلوم الدينية والعقلية وتحفيظ القرآن الكريم ونشر اللغة العربية.فقد لعبت زوايا العلم خلال القرنين 14 و 15م دور في نشر العلم، حيث تخرّج منها عدة علماء، ساهموا في تأليف عدة كتب في جميع العلوم، كما ساهموا في تطوير الحركة العلمية في المغرب الأوسط. لقد كانت هذه الزوايا محط الرحال لطلبة القرآن واللغة العربية والعلوم الإسلامية، وكانت معروفة في الجزائر بـ "زوايا القرآن واللغة العربية والعلوم الدينية"، نذكر منها:

---

1 – محمد نسيب، المرجع السابق، ص، ص28، 29.

2 – عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ص350.

3 – نفسه، ص351.

4 – رزيوي زينب، مؤسسات التوجيه الثقافي في مجتمع المغرب الأوسط ما بين القرنين (7–9هـ/13–15م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2009–2010، ص87.

<u>قائمة بعض الزوايا في الجزائر:</u>

- زاوية تمقرة بولاية بجاية أسسها يحيى العيدلي (822هـ/1486م) والتي تخرّج منها عدد كبير من العلماء أشهرهم زروق أحمد بن يوسف الملياني[1].
- زاوية باب البحر في بجاية تولى التدريس بها أحمد بن محمد البجائي (ابن كحيل) (802-869هـ/1399-1464م)[2].
- زاوية جبل بني سلام القرن 8هـ أسسها سليمان بن داود بن موسى بن عبد الله في آقبو[3].
- زاوية أحمد بن عبد الله الجزائري [800-884هـ/1398-1479م] من المشهورين بالعلم والصلاح، اشتهرت زاويته بالجزائر العاصمة، شهرة كبيرة، حيث كان يؤمها طلاب العلم والصوفية وأدت دورًا أساسيًا في نشر التصوف في مدينة الجزائر العاصمة، زيادة على تأثير عبد الرحمن الثعالبي[4].
- زاوية أولاد بومرداس مقرها أولاد بومرداس بلدية تيجلابين ولاية بومرداس حوالي القرن السابع الهجري[5].
- زاوية تيفريت ناث الحاج، دائرة أزفون ولاية تيزي وزو، أسسها سيدي محمد وعلي والحاج في حدود القرن التاسع الهجري، تخرج منها عدد كبير من حفظة القــرآن والأئمة[6].
- زاوية سيدي علي موسى ولاية تيزي وزو، أسسها سيدي أمحمد بن يوسف الإدريسي في القرن التاسع الهجري[7].
- زاوية سيدي سحنون جمعة الصهاريج بلدية مقلع ولاية تيزي وزو، أسسها سيدي سحنون في القرن السابع الهجري.

---

1 – عبد المنعم القاسمي الحسني، مرجع سابق، ص425.

2 – نفسه، ص97.

3 – نفسه، ص155.

4 – نفسه ، ص81.

5 – محمد نسيب، مرجع سابق، ص217.

6 – نفسه، ص217.

7 – نفسه، ص218.

- زاوية سيدي أبو بكر بتقزيرت ولاية تيزي وزو، أسسها سيدي أبو بكر في أوائل القرن السابع الهجري[1].
- زاوية سيدي الحاج حساين دائرة سيدي عيش ولاية بجاية، تأسست عام (777هـ/ 1370م)[2].
- زاوية سيدي سعيد أمسيس بصدوق ولاية بجاية، تأسست في القرن التاسع الهجري.
- زاوية سيدي أحمد أويحيى أمالو ولاية بجاية، تأسست في القرن التاسع الهجري.
- زاوية سيدي يحيى أوموسى دائرة سيدي عيش ولاية بجاية، تأسست ما بين القرنين السادس والسابع الهجري[3].
- زاوية سيدي علي أويحيى ولاية تيزي وزو، أسسها سيدي علي أويحيى في القرن التاسع الهجري[4].
- زاوية الرابطة بلدية عمران دائرة الأخضرية، أسسها ابن منصور بن يحيى حوالي القرن الثامن الهجري.
- زاوية سيدي بهلول الشرفاء دائرة عزازقة ولاية تيزي وزو، أسسها سيدي بهلول أحمد الغبريني بن عاصم ما بين القرن 7 و 8هـ/13 – 14م[5].
- زاوية سيدي أحمد بن مالك قرية تفريث أمالك (عزازقة)، تأسست في القرن 9هـ/15م.
- زاوية سيدي منصور قرية تيمزار دائرة عزازقة ولاية تيزي وزو، تأسست في القرن 9هـ/15م.
- زاوية سيدي سعيد ولاية بجاية تأسست في القرن 9هـ/15م[6].
- زاوية سيدي أحمد زروق دائرة سيدي عيش ولاية بجاية، أسسها سيدي أحمد زروق في القرن التاسع الهجري.
- زاوية بوداود بلدية إغرام دائرة أقبو في بجاية، تأسست في القرن التاسع الهجري[7].

---

1 – محمد نسيب، المرجع السابق، ص218.

2 – نفسه، ص218.

3 – نفسه، ص219.

4 – نفسه ، ص220.

5 – نفسه، ص225.

6 – نفسه، ص223.

7 – نفسه، ص224.

ويمكن القول أن المغرب الأوسط في القرن 9هـ/15م عرف نهضة علمية وثقافية، ساهمت مجموعة من العوامل في ظهورها واستمرارها في مقدمتها وجود الزوايا والطرق الصوفية التي كان لها دورا بارزا في نمو الحركة العلمية والثقافية. فقد نتج عنها انتشارًا للزوايا المخصصة للتعليم، درس فيها أهم علماء الجزائر والأندلس، كما أنجبت لنا نخبة من أعلام التصوف.

كما اشتهر علماء التصوف بتدريسهم لأمهات الكتب في الزوايا، بداية بالقرآن الكريم، فجاء في كتاب البستان لابن مريم: «سيدي أحمد بن عيسى الورنيدي ثم الزكرطي يعرف بأبركان، ولي صالح يدرس العلمين، علم الظاهر وعلم الباطن، يقرئ رسالة ابن أبي زيد ومختصر ابن الحاجب الفرعي، وعقائد الشيخ السنوسي، وألفية ابن مالك ومنظوم الجزري وأبي مقرع والسلم المرونق في المنطق وحكم ابن عطاء الله في التصوف»[1]. كما اشتهر بعض علماء التصوف بتأليفهم للكتب في مختلف العلوم، مثل محمد بن يوسف السنوسي، اشتهر بتدريسه لعلم العقائد، وقد ألف فيه عدة كتب عرفت شهرة كبيرة في مجالس العلم، حيث قام بتدريسها ودراستها وشرحها عدة أساتذة،وانتشرت هذه المؤلفات في كل من المغرب الأقصى ومصر والصحراء الإفريقية[2].

ولقد اعتبرت هذه الكتب تراثًا ثقافيًا وتاريخيًا لم يفقد قيمته العلمية إلى يومنا الحالي، فكانت مصدرًا أساسيًا يعتمد عليه للتدريس في تلك الفترة، ويعتمد عليه في البحث العلمي إلى يومنا هذا، لأن هذه المؤلفات كانت ذات مستوى عالٍ شملت عدة علوم، خاصة الدينية.

2 – المؤسسات الثقافية:

1.2 – الكتاب:

كان الكتاب على مدى العصور بناية بسيطة في الغالب على هيئة البيت المربع أو المستطيل لم تزخرف جدرانه أو قاعته بأدنى تنميق من زخرف البناء، ولم يكن تأثيثه بأكثر عناية من ذلك، فإنه كان مفروشا بحصير تقليدي، يجلس عليها الصبيان متربعين

1 – ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة محمد بن أبي شنب، مطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص24.

2 – عبد المنعم القاسمي الحسني، مرجع سابق، ص384.

حول المعلم الذي يختص سرير أو كرسي مرتفع، وربما عوض الكرسي بمصطبة مبنية ليس عليها من الرياش سوى بساط بسيط[1].

ومما يستدعي النظر أن المسلمين لم يهتموا بزخرفة الكتاتيب، لكنها بقيت على بساطتها، حتى إننا لا نرى فرقا كبيرا بين كتاتيب الماضي وكتاتيب الحاضر، فأثاث الكتاب يفرش بالحصر غالبا ويجلس عليها الطلاب متربعين حول معلمهم[*]، وأدوات الدراسة لا تتعدى المصاحف وعددا من الألواح يكتب عليها الصبيان وعدد من المحابر والأقلام[2].

كان الكُتَّاب يعتبر المرحلة الأولى من التعليم (التعليم الابتدائي)، ويتضح من بعض نوازل وفتاوى الفقهية في المعيار المغرب للونشريسي أن المرحلة الأولى من التعليم في المغرب هي التي يتلقى فيها الصبي العلم على أحد المؤدبين في المكاتب أو الكتاتيب، وتبدأ تلك المرحلة عندما يبلغ الصبي سن التمييز فيما بين الخامسة والسادسة من عمره. وكان المؤدب يعلم الصبيان في تلك المرحلة الأولى القراءة والكتابة وحفظ أجزاء من القرآن وتجويده، حيث جرى العمل بالكتاتيب على اجتماع الصبيان لتلاوة آيات القرآن بصوت واحد على وجه التعليم، علاوة على الإلمام ببعض علم اللغة والنحو والفقه[3].

الكتاب كان جزء من المسجد، في مراحل تاريخية سابقة، لكن الفقهاء أنكروا ذلك لأن الأطفال لن يحافظوا على نظافة المسجد، لصغر سنهم، وبذلك انفصل الكتاب عن المسجد وأصبح مؤسسة ثقافية مستقلة، يدرس فيها الصبيان كمرحلة أولى من التعليم، أي ما يعرف بالمدارس الابتدائية في يومنا الحالي[4]. ولم يكن التعليم يقتصر على الذكور

---

1 – محمد بن سحنون، كتاب آداب المعلمين، ط2، مراجعة محمد عروسي المطوي، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، تونس، 1972، ص55.

* ابن منظور يقول: "المكتب موضع الكُتَّاب والمكتب والكتاب موضع تعليم الكِتَاب والجمع الكتاتيب والمكاتب. انظر: بشير رمضان التليسي، الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن 4هـ/9م، ط1، دار المدار الإسلامي، لبنان، 2003، ص364.

2 – نفسه، ص367.

3 – كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل فتاوى المعيار المغرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996، ص113.

4 – نور الدين غرداوي، "دور المؤسسات التعليمية في التربية والتعليم ببلاد المغرب في القرنين 8هـ – 9هـ من خلال نوازل المازوني"، مجلة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، ص320.

فقط، بل كان حظ الإناث في التعليم أيضًا، وهذا ما لمسناه في إحدى الفتاوى حول إمام يدرسهم في بيته بقوله سئل بن مرزوق عن إمام لا يحجب امرأته ومعه في البيت أولاد ذكور وإناث[1].

نفقة التعليم في الكتاب كان يتحملها أولياء الأطفال، لأن الدولة لا تتدخل في شؤون التعليم بالكتاب، باستثناء دور المحتسب الذي كان يراقب معاملة المعلمين للأطفال وسلوكهم معهم، والقاضي الذي كان يسهر على تعليم اليتامى، المعلم يسهر على جميع العمليات التعليمية[2].

المواد المدروسة في كُتَّاب القرآن الكريم لأنه أصل التعليم ومنبع الدين والعلوم، لكن الطريقة تغيرت بوصول علماء الأندلس إلى المغرب الأوسط في تلمسان واستقرارهم فيها وامتهانهم التعليم، وكذلك عودة شيوخ تلمسان من بلاد المشرق وإفريقية الذين تأثروا بمنهج المشارقة وأهل إفريقية خلال القرن 8هـ/14م وعملوا على نشره وأدخلوا بعض المواد الجديدة للصبيان، كرواية الشعر وقوانين اللغة العربية والحديث والتجويد، والخط والكتابة، روايات القرآن، النحو، الحساب، إلى أن يتجاوز الأطفال سن البلوغ، فتدوم هذه الدراسة نحو سبع سنوات، وكان هناك نوعان من المعلمين:

المعلم الملقن: مكلف بتعليم القرآن وتحفيظه دون كتابته على الألواح.

المعلم المكتب: مكلف بتعليم الصبيان الخط[3].

إن الكتاب نشأ في المجتمعات الإسلامية بما فيها المجتمع المغربي، وأصبح بذلك وسيلة أساسية غايتها تحفيظ القرآن الكريم، وإنه نتاج من مبادرات شعبية نابعة من حاجات المجتمع، فأصبح مرحلة إجبارية من مراحل التعليم، فلا يخلو حي بالمدينة أو الريف إلاّ ووجد به كتاب، ومنه ينتقل الطلاب إلى مرحلة ثانية من التعليم تكون أعمق وأكثر تفصيلا على يد أساتذة مختصين، وفي مؤسسة تعليمية جديدة هي المدارس والمساجد[4].

---

1 – نور الدين غرداوي، المرجع السابق، ص321.

2 – عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص344.

3 – نفسه، ص346.

4 – بشير رمضان التليسي، مرجع سابق، ص373.

2.2 – المدارس:

المدرسة مشتقة من فعل (درس) بمعنى قرأ، كما ورد في القرآن، كما أن الحلقات الفقهية التي تقام في المساجد تعرف بالدرس، وكان يطلق أحيانا على معلم الفقه لقب "مدرس"، ويذهب المقريزي إلى تعريف المدرسة أنها تأتي من الفعل "درس الكتاب" يدرسه درسا ودراسة والمدرس: هو الموضع الذي يدرس فيه. وقد ظهرت المدرسة مع تطور العلوم الإسلامية، بحيث أصبحت تضم علوما أخرى، كالفلسفة والأدب واللغة، وهنا المسجد أصبح لا يسع لذلك لأنه كان يتخذ للصلاة، كما أن المدرسة أصبحت تأوي الطلبة الأجانب[1].

ولقد نشأت المدارس في المشرق، ثم انتقلت إلى المغرب الأوسط، ولكن تأخر وجودها بنحو قرنين من الزمن عن المشرق الإسلامي وعن المغربين الأدنى والأقصى ما يقرب من نصف قرن[2]، وتجدر الإشارة أن المدرسة هي بناية مستقلة عن الكتاب والمسجد، وتعتبر مدرسة بنيت تحت إشراف السلاطين، وظهرت أول مدرسة في المغرب الأوسط خلال القرن 8هـ/14م.

فكان الطلبة يزاولون فيها الدراسة في المرحلة الثانية، بعدما أكملوا الدراسة في المرحلة الأولى بالكتاتيب عند المؤدبين، وكانت موجودة بكثرة بالقرب من المساجد وفي الحواضر الكبرى ومعظمها كانت تشتمل على غرف لسكن الطلاب الغرباء والبعيدين عنها[3].ولإعطاء صورة حول مدارس المغرب الأوسط، أخذنا نموذجًا وهو مدارس تلمسان، التي وصفها المراكشي في كتابه الاستبصار في عجائب الأمصار أنها مدينة علم وخير ولم تزل دار العلماء والمحدثين[4]، كما قال عنها حسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا: «توجد بها خمس مدارس حسنة، جيدة البناء مزدانة بالفسيفساء وغيرها من

---

1 – بوخضار فايزة، مدارس المغرب الأوسط الزيانية والمرينية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، 2010-2011، جامعة الجزائر 2، ص09.

2 – عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص324.

3 – نور الدين غرداوي، مرجع سابق، ص323.

4 – المراكشي، المراكشي، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص177.

الأعمال الفنية[1]، ويوجد بها كثير من الطلبة والأساتذة في مختلف المواد، سواء الشريعة أو العلوم الطبيعية، وتتكفل المدارس الخمس بمعاشهم بكيفية منتظمة، وعندما يرتقون إلى درجة فقهاء يعين كل واحد منهم أستاذًا أو عدلاً أو إمامًا»[2].

ظهر نظام المدارس في مدينة تلمسان ابتداء من العقد الأول من القرن 8هـ/14م. في عهد بني زيان أسست مدارس تلمسان الخمس، فكانت معاهد عليا للتعليم ولتكوين الإطارات السامية في شتى المجالات، على غرار المدارس النظامية التي أنشئت في المشرق، وأول مدرسة أسست بتلمسان هي التي أمر ببنائها أبو حمو موسى الأول (707-718هـ) في أول عهده وعين للتدريس فيها الأخوين ابني الإمام[3]. ثم بنى ابنه أبو تاشفين الأول (718-737هـ/1318-1336م) المدرسة التاشفينية بجانب الجامع الأعظم، ولم تزل أفخم مدرسة في المغرب الأوسط إلى عهد الاحتلال، ثم شيدت مدرسة بقرية العباد خارج تلمسان أمر ببنائها السلطان أبو الحسن المريني سنة 748هـ. كما أنشأ ابنه أبو عنان مدرسة أخرى بجانب ضريح ومسجد الولي الصالح أبي عبد الله الشوذي الإشبيلي الملقب بالحلوي سنة 754هـ[4].

أما المدرسة الخامسة فهي المدرسة اليعقوبية أسسها أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ) سنة 765هـ. وكان أولو الأمر يولون هذه المدارس عناية خاصة، ويجرون ويعهدون بالتدريس فيها لأشهر العلماء، وامتازت طريقة التعليم بتلمسان على البحث والتفكير وعدم الاكتفاء بالحفظ، فكان لذلك أثر محمود في تشحين الأذهان وتكوين أجيال صالحة من كبار العلماء الذين ساهموا مساهمة كبرى في تقدم الحركة العلمية الإسلامية في عصرهم في شتى المجالات[5]. تعد المدرسة التاشفينية من أفخم المدارس في تلمسان وذلك حسب ما ذكره

---

1 – حسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، 1983، ص19.

2 – نفسه ، ص، ص20، 21.

3 – ويذكر المستشرق الفرنسي بروسلار Brosslard أن الأمير كان يكلف الأخوين بمهام دبلوماسية تكللت بالنجاح، فبنى لهما مدرسة، ومنازل خاصة لهما ولعائلاتهما، وقاعات كبيرة لاستقبال الطلبة والضيوف وألحق بالمدرسة مسجدا للصلاة، وزاوية للطلبة . الأجانب عن تلمسان شكرا لهما، وكان ذلك في السنة الرابعة من ملكه، انظر:
Brosslard, Charles, "les inscriptions arabe de Tlemcen", in R. A. n°45, 1859, pp. 169-170.

4 – عبد الحميد حاجيات، "الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان"، مجلة الأصالة، العدد 26، السنة الرابعة، جويلية، أوت، 1975، ص138.

5 – نفسه، ص139.

المؤرخون، وظلت قائمة حتى بعد الاحتلال الفرنسي، لكنها تعرضت للهدم وللتخريب سنة 1873م من قبل الإدارة الفرنسية[1].

وتضم اليعقوبية لائحة كبيرة من كبار العلماء الذين عرفوا داخل وخارج مدينة تلمسان بتدريس الفقه والعلوم الدينية، إضافة إلى قربها من المسجد الجامع، هذا ما جعل الطلبة ينتقلون بين المؤسستين بكل سهولة، إلى جانب تنافس العلماء على التدريس بها. ولقد ساهمت اليعقوبية في تنشيط الحركة الثقافية في تلمسان، لإيوائها الطلبة، واحتضانها للحلقات العلمية، التي كانت لا تتم بمعزل عن جامع تلمسان، الذي كان بمثابة جامع مثل القرويين بفاس والزيتونة بتونس[2].

ولقد استمرت مدرسة أولاد الإمام في أداء رسالتها حتى القرن العاشر الهجري، وعين فيها السلطان الزياني للتدريس فطاحل العلماء. فقد تولى التدريس بها عدد كبير من العلماء الذين ذاع صيتهم، نذكر منهم عبد الجليل التنسي، وإذا أخذنا التنسي كمقياس لمستوى علماء ذلك العصر، أي خلال القرن التاسع الهجري، الخامس عشر ميلادي، نجد تعددًا للمواد المدرسة في المؤسسات العلمية والدينية، وكانت تشمل علوما متنوعة، كالفقه والتفسير والحديث وعلوم العربية، وعلوم أخرى كالحساب والمنطق[3].

اتسمت هذه المدارس بالإشراف الرسمي للدولة، فقد خصصت السلطة الرواتب والأجور للمدرسين، ولكل العاملين في المدارس، كما تكفلت بإعانة الطلبة ماديا وبتحمل جميع نفقاتهم ومصاريفهم، وحرص المشرفون على المدارس على إنشاء المكتبات وتعميرها بالكتب، وكانت الكتب فيها تبوب وترتب حسب فنونها وتخصصها، وإذا أراد أحد الناسخين نسخ البعض منها، فإن موظفي المكتبة يقدمون له ما يحتاج إليه من أدوات الكتابة كالأوراق والأقلام[4].

وتطرقت إلى مدارس تلمسان كعينة، هذا لا يعني عن خلو المدن الأخرى من المدارس، فقد ذكر حسن الوزان العديد منها، مثلا مدينة العباد، بها دفن ولي كبير ويسمى سيدي مدين، وهناك مدرسة جميلة[5] ومدينة وهران بها من البنايات والمؤسسات ما تتميز

---

1 – بوخضار فايزة، مرجع سابق، ص30.

2 – نفسه، ص36.

3 – نفسه، ص28.

4 – عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص326.

5 – حسن الوزان، مصدر سابق، ص24.

به كل من مدينة متحضرة من مساجد ومدارس[1].ومدينة بجاية فيها مدارس يكثر فيها الطلبة وأساتذة الفقه والعلوم، بالإضافة إلى زوايا المتصوفة[2]، وقسنطينة مليئة بالدور الجميلة والبناءات المحترمة كالمدرستين[3].

لقد اشتهرت مدارس ومساجد المغرب الأوسط خلال القرنين 14 – 15م، أنها كانت تدرس فيها أهم العلوم كغيرها من المؤسسات الثقافية، سواء في المشرق أو المغرب، كما لاحظنا بعد اطلاعنا على تراجم علماء تلك الفترة ورد فيها ذكر العلوم التي تخصص فيها العلماء والتي كانوا يدرسونها، وقد صنفت إلى علوم عقلية ونقلية.والعلوم النقلية حسب ابن خلدون هي الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله وما يتعلق بذلك من العلوم، وعلوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة وبه نزل القرآن. وأصناف هذه العلوم النقلية كثيرة منها: علم القرآن والتفسير، علم القراءات، علوم الحديث، الفقه. والعلوم اللسانية وهي أصناف منها علم اللغة، النحو، علم البيان، علم الآداب[4]. أما العلوم العقلية وأصنافها: العلوم العددية، العلوم الهندسية، علم الفلك، المنطق، الطب، الفلاحة، الكيمياء[5].

اشتهر علماء المغرب الذين مارسوا مهنة التدريس في المدارس والمساجد أنهم كانوا أساتذة وشيوخ متضلعون في مواد مختلفة. فمن الشروط الهامة التي يجب أن تتوفر في الأستاذ والمعلم والمؤدب، أن يكون وافر العلم في اختصاصه مطلعا على أمهات الكتب والشروح، يكون صاحب خط مليح سهل العبارة، قادرا على الاستيلاء على المجالس بحسن حديثه واتصافه بصحة الرواية وعلوم السند[6].

3.2 – المساجد:

المسجد كان من أهم مراكز العلم في المغرب الإسلامي، حيث كان يموج بالفقهاء والعلماء والطلاب، وكان الشيوخ يجلسون عند أحد الأعمدة ويتحلق الطلاب حولهم، ثم

1 – حسن الوزان، المصدر السابق، ص30.

2 – نفسه، ص50.

3 – نفسه، ص56.

4 – عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة، ط5، دار الرائد العربي، لبنان، 1982، ص-ص435-475.

5 – نفسه، ص478 إلى 513.

6 – عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص351.

يتولى هؤلاء الشيوخ تدريس العلوم الدينية والشرعية والنحو واللغة[1]. وكانت المساجد منتشرة بكثرة في المدن والقرى ببلاد المغرب، بحيث لعبت دورًا كبيرًا وهاما في الحياة اليومية لدى المجتمعات المغاربية، وهو ما أدّى إلى تطور الحركة التعليمية والفكرية. فكان المسجد النواة الأولى للمدرسة، يتلقى فيها المتعلم القراءة والكتابة والعلوم الدينية والعلوم المختلفة[2].

ويعتبر المسجد في الإسلام أكثر المؤسسات التعليمية والعلمية شأنا عند المسلمين، والحديث عنه حديث عن المكان الرئيسي والعلني للثقافة الإسلامية، فقد عقدت به حلقات التدريس منذ إنشائه، فقد اعتبر مدرسة ثانوية وجامعة بمفهومنا اليوم، فقد كان الطلاب يتحلقون في المساجد حول العلماء، وهذه الظاهرة ظلت مستمرة في جميع البلاد الإسلامية قبل بناء المدارس، يستمعون إلى ما يلقيه هؤلاء عليهم من علوم وآداب، فالمساجد على هذا النحو لم تكن أماكنًا لإقامة الشعائر الدينية فحسب، بل دور علم أيضًا[3].

العلوم التي كانت تدرس في المساجد، العلوم الدينية، تشمل دراسة القرآن والحديث، وما نتج عنها من علوم مثل التفسير، القراءات، الفقه، علم الكلام[4]. والعلوم اللسانية، وهي أصناف كما قال ابن خلدون في المقدمة منها علم اللغة، النحو، علم البيان وعلم الآداب[5]. و كانت تنسب إلى علماء ومشايخ لكل واحد تخصصه، واشتهر بتدريس مجال وعلم معين مثلا في بجاية عرف أبو الحسن المعروف بـ "ابن سمعت" بتدريس النحو، والكلام والمنطق، والفقه عند أحمد القلشاني، وأبي القاسم العبدوسي وابن مرزوق وغيرهم[6]. الحسن بن مخلوف التلمساني اشتغل بتعليم العلم في مساجد تلمسان واختص بتدريس الفقه والحساب والفرائض وألفية بن مالك[7].

1 – كمال السيد أبو مصطفى، مرجع سابق، ص115.

2 – نور الدين غرداوي، مرجع سابق، ص325.

3 – بشير رمضان التليسي، مرجع سابق، ص386.

4 – نفسه، ص392.

5 – عبد الرحمن بن خلدون، مصدر سابق، ص، ص438 إلى 475.

6 – عبد المنعم القاسمي الحسني، مرجع سابق، ص، ص96، 97.

7 – نفسه، ص140.

وكان الشرق الجزائري قبلة لطلب العلم قصدها معظم علماء الجزائر لطلب العلم، حيث عرفت حاضرة بجاية وقسنطينة أنهما كانتا من أهم مراكز التعليم يمكث بها أهم علماء العصر في تلك الفترة يلقنون الطلاب العلم سواء في المدارس أو المساجد أو الزوايا، فلم تكن مدينة ولا قرية تخلوا من هذه المراكز الثقافية. [1]. كما أن تلمسان الزيانية هي الأخرى عرفت أنها مركز إشعاع علمي منذ أيام الدولة الزيانية، فكانت تعج بالعلماء الذين قصدوها من المغرب والأندلس، لذلك كانت مقصدًا لطلاب العلم[2].

كان التعليم في المرحلة الأولى ينحصر في تعلم الكتابة والقراءة وحفظ القرآن وذلك في الكتاتيب، ثم في مرحلة ثانية كان الطلبة يُقبلون على دراسة النحو واللغة والأدب والفقه، ثم كان الذين يريدون مواصلة دراستهم والتخصص في العلوم، ينتقلون إلى المرحلة الأخيرة فيدرسون العلوم الدينية من قراءات وتفسير وحديث وفقه وتوحيد، والعلوم العقلية والاجتماعية والأدب وغيرها، بمزيد من التعمق والتفصيل، وذلك في المسجد الأعظم الذي كان شبه جامعة على النمط القديم، مثل القرويين بفاس والزيتونة بتونس والأزهر بالقاهرة[3].منهج التدريس في المساجد الطالب لا يصبح مقيدًا بتعليم مواد معينة بقدر ما يجد أمامه الفرصة لكي يكوّن ثقافته، ويواصل تعليمه في النواحي التي تتفق مع ميوله ورغباته وقدراته العقلية، يختار حلقات المعلمين في المساجد من بينها الأستاذ الذي يميل إليه والمادة التي يرغبها والوقت الذي يناسبه[4] .

والمنهج المتبع في التدريس يعتمد المناقشة في توليد الأفكار واستدراج الطالب شيئًا فشيئًا إلى الأفكار الصحيحة بالحوار، حيث كانت المدارس في الماضي يلقى فيها الدرس ثم يطلب من أحدهم إعادة فحواه، بغير صيغته التي أوردها هو، ثم يطلب من غيره إعادة ما قاله زميله، وهكذا حتى يتأكد المعلم من فهمهم للدرس[5] . ولقد عرف تطورًا من تلقين المعارف إلى المناقشة وتوليد الأفكار، فمن هذا المنطلق يمكننا القول أن جلسات العلم التي

---

1 – عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص139.

2 – نفسه ، ص139.

3 – عبد الحميد حاجيات، مرجع سابق، ص138.

4 – بشير رمضان التليسي، مرجع سابق، ص371.

5 – نفسه، ص394.

كانت تعقد في المساجد تمثل لنا اليوم المحاضرة التي تلقى على مستوى الجامعات، فهي بمثابة حلقات البحث تنظم فيها المناظرات العلمية.

ومساجد المغرب الأوسط خلال هذه الفترة كان لها دورها ووزنها في المجتمع، فقد شاركت وساهمت في نهضة الثقافة وتطوير العلوم وتخريج العلماء، ولا يمكن لنا تحديد عددها، فتلمسان على سبيل المثال كانت بها ستين مسجدا، وما هو ثابت عن المساجد أنها كانت حقا مراكز إشعاع ثقافي ساهمت في ازدهار الحركة التعليمية[1]. فقد قال عنها حسن الوزان «توجد بتلمسان مساجد عديدة جميلة صينة، لها أئمة وخطباء، جيدة البناء مزدانة بالفسيفساء وغيرها من الأعمال الفنية»[2]. وكان الجامع الأعظم في تلمسان مركز إشعاع ديني وتعليمي وثقافي وفكري طيلة العهد الزياني، نتيجة لما أحاطوه بعناية فائقة، فكان شبه جامعة كجامع الزيتونة والقرويين بفاس[3].

وحسب ما ذكره حسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا «كل المدن الرئيسة والحواضر الكبرى في المغرب الأوسط كانت بها مساجد، فقال عن وهران أنها مدينة كبيرة بها بنايات ما تتميز به مدينة متحضرة، منها المساجد[4]، كذلك مدينة مستغانم فيها مسجد في غاية الحسن[5]، ومدينة مازونة فيها جامع ومساجد[6]، ومدينة بجاية فيها جوامع كافية[7]، وقسنطينة مليئة بالدور الجميلة والبناءات المحترمة كالجامع الكبير[8]، وعنابة فيها جامع في غاية الحسن مشيد على شاطئ البحر»[9].

وكان في بجاية الجامع الأعظم، تلقى فيه الدروس واعتبر هو الآخر مركز إشعاع علمي، حيث كان يدرس فيه أشهر العلماء وأهم العلوم، ذكرهم الغبريني في كتابه نذكر

---

1 – رزيوي زينب، مرجع سابق، ص39.

2 – حسن الوزان، مصدر سابق، ص19.

3 – رزيوي زينب، المرجع السابق، ص41.

4 – بشير رمضان التليسي، مرجع سابق، ص394.

5 – حسن الوزان، المصدر السابق، ص30.

6 – نفسه، ص36.

7 – نفسه، ص50.

8 – نفسه، ص56.

9 – نفسه، ص61.

منهم أبو إسحاق بن العرامة ولي صلاة الفريضة والخطابة بالجامع الأعظم في بجاية، ولقي من أفاضل أهل العلم ببلده من أخذ عنه واستفاد منه، وكان له مجلس للتدريس بالجامع الأعظم يدرس الرواية والدراية[1].

3 – الرحلات العلمية ودورها في نمو الحركة التعليمية:

لقد قامت الحضارة العربية بشكل أساسي على طلب العلم والمعرفة، لقوله ﷺ: «اطلبوا العلم ولو بالصين»، فالدين يدعو إلى العلم والمعرفة، والقرآن الكريم والأحاديث النبوية تدل على فضل العلم وطلبه، وتحث على الاجتهاد في تحصيله.

كانت الرحلات التي يقوم بها العلماء إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامي بجناحيه الشرقي والغربي تمثل مظهرا من المظاهر الحضارية الواضحة في مختلف العصور الإسلامية. فكان الحج مقصد طلب العلم، فالعلماء المغاربة عبر التاريخ يعتبرون الشرق مصدر المعرفة الإسلامية، لاسيما بلاد الحجاز مهبط الوحي، فقاموا برحلات إلى المشرق لتعميق معارفهم، حتى تحصل عند الناس الثقة بهم ، والمقصود بطلب العلم عندهم هو تحصيل علوم لم يكونوا قد درسوها من قبل[2]، أو الاستزادة من علوم كانوا قد نالوا منها نصيب ببلدهم الأصلي الذي خرجوا منه[3].

فموسم الحج كان موسما دينيا، وملتقى ثقافيًا في نفس الوقت، يجمع بين المسلمين على اختلاف بلدانهم، وكانت فرصة لعقد حلقات الوعظ والإرشاد، تقام فيها مجالس الأدب والعلم في رحاب المسجد الحرام والمسجد النبوي خلال القرنين السابع والثامن الهجريين[4].

ومن أدبيات الرحلة عند علماء المغرب الإسلامي عمومًا وعلماء المغرب خصوصًا تعريجهم في رحلاتهم إلى الحج على بلاد الشام، لأن فيها معالم لها رمزية من الناحية التاريخية كالمسجد الأموي بدمشق، ولأن فيها علماء كبارا [5]. كما عرفوا كذلك بتعريجهم

---

1 – أبو العباس الغبريني، مصدر سابق، ص256.

2 – لمين الناجي، <u>رحلات علماء المغربين الأقصى والأوسط الملكية وآثارها العلمية من خلال القرنين السابع والثامن الهجريين</u>، دار الكلمة، القاهرة، 2015، ص17.

3 – نفسه، ص18.

4 – نفسه، ص16.

5 – نفسه، ص18.

إلى مصر والاستفادة من علماء الأزهر، والدراسة فيه لمدة، حتى أننا لاحظنا أن بعض التسميات أضيفت إليها كلمة الأزهري، لأن ذلك العالم درس في الأزهر الشريف.

وكان الفضل في إدخال طرق جديدة للتدريس إلى الرحلات العلمية، بعد الاحتكاك مع العلماء والإطلاع على طرق التدريس المتداولة، سواء في المشرق أو تونس، فمثلا طريقة المحاورة في التدريس انتقلت من تونس إلى المغرب الأوسط وذلك من طرف العالمين الجليلين ابني الإمام، وترتكز هذه الطريقة على التحليل والمحاورة والابتعاد عن أسلوب الحفظ، وهذه الطريقة تجعل المدرسين يعتمدون كثيرا على البحث في القضايا العلمية، وخاصة فيما يتعلق بالعلوم العقلية، كالحساب والهندسة، ويكون الطالب هو النواة المحورية للوصول إلى حل هذه القضايا، في حين يبقى الشيخ يدير هذه المناظرة[1].

الرحلة في طلب العلم في بلاد المغرب الأوسط اتخذت عدة اتجاهات وشملت عدة مناطق ومكنت من جسور العلم وتبادل المعارف والثقافات عبر الأجيال، وكان الاتصال بتداول المعارف والكتب وتبادل الإجازات، إما باللقاء المباشر أو بالمكاتبة. وعلى هذا الأساس كانت الرحلة إلى تونس للمزيد من الدرس والتحصل على يد شيوخ الزيتونة، وإلى مدينة فاس للإجازة على مشايخ جامع القرويين، أو الأخذ من فقهاء غرناطة بالأندلس وبجاية ومدارس الإسكندرية والجامع الأزهر بالقاهرة، أو الانتساب إلى مراكز التعليم بمكة المكرمة والمدينة المنورة[2]. كما أن المغرب الأوسط اعتبر هو الآخر مركز إشعاع علمي يقصده الطلبة من البلاد العربية للدراسة في المدارس، والمساجد والزوايا والانتفاع من العلماء. فمثلا يذكر ابن مريم في البستان سيدي أحمد بن حاتم السطي نزيل القاهرة أخذ بتلمسان على جماعة منهم محمد بن أحمد بن قاسم العقباني، ومحمد بن الجلاب وحضر بتونس عند إبراهيم الخضرمي وقرأ بطرابلس الغرب على أحمد المغراوي وإبراهيم الباجي[3].

ولم يستثنوا من ذلك معاهد الشام وبغداد للتعمق في دراسة الفقه وأصوله، والاطلاع على المدارس النحوية واللغوية، وغيرها من علوم العصر، وتنافسوا مع غيرهم في تنشيط

---

1 – لمين الناجي، المرجع السابق، ص63.

2 – عيسى بن الديب، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسط، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص، ص152، 153.

3 – ابن مريم التلمساني، مصدر سابق، ص64.

المجالس العلمية وحلقات الدروس، كما أسهموا في نشر ما لديهم من علم ومعارف، وتركوا آثارا علمية وبصمات فكرية ذات سمعة طيبة لدى أهل المشرق والمغرب والأندلس[1].

ولقد اعتبرت الرحلة في طلب العلم من أهم عوامل نمو الحركة العلمية في المغرب الأوسط وتطورها، لأنها كونت لنا جيل من العلماء عرفوا بالمستوى العالي والتخصص في مختلف العلوم الشرعية، والأدب، الطب، الحساب. كما أن علماء المغرب الأوسط جعلوا من مقاصد رحلاتهم المشرقية طلب السند العالي في الأحاديث والآثار التي كانوا يروونها، والكتب التي كانوا يتلقونها، وذلك لبعد بلدهم عن مصدر الحضارة الإسلامية ومنبع العلوم الشرعية[2].

ومن الآثار العلمية لرحلات علماء المغرب الأوسط هو اتساع التأليف ولقد ساهمت هذه الحركة في إثراء مكتبات المغرب الأوسط بالكتب الرحلات و المشيخة ، كما أنها سوف تعد من أهم المصادر التي يمكن الاعتماد عليها في مجالس العلم والدراسة والبحث، لأنها تحتوي على معلومات ذات قيمة كبيرة لا نجدها في كتب التاريخ العام. إذ تجد فيها وصفا لمعالم البلدان، وعادات السكان، وذكر للقيادات العلمية والسياسية المؤثرة في المجتمع، وإحصاء للمساجد والمجالس العلمية، والكتب التي كانت تتداول فيها، وهذه المعلومات تمتاز بالدقة والأمانة لأنها صادرة عن شخص عالم ثقة عاين ما وصفه دون واسطة[3].كما كان الفضل للرحلات العلمية في إدخال مرويات بأسانيد عالية لم تكن معروفة بالمغرب الإسلامي، وإدخال كتب فقهية كان لها أثر بارز في تطور الدرس الفقهي، ككتاب (جامع الأمهات) أو (المختصر الفرعي) لابن الحاجب، أول من أدخله أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد بن عبد الحق الزواوي المشدالي سنة 731هـ، هذا الكتاب بدأ يزاحم المدونة الكبرى لابن القاسم، وأهم مظهر لهذه المزاحمة أن العلماء شرعوا في تدريسه بمجرد دخوله إلى بلاد المغرب، ومسارعة بعض فقهاء المغرب لشرحه[4]. ثم أدخل كتاب الشامل في الفقه وشرح لمختصر خليل كلاهما للشيخ بهرام بن عبد الله

---

1 – عيسى الديب، مرجع سابق، ص153.

2 – لمين الناجي، مرجع سابق، ص، ص18، 19.

3 – نفسه، ص33.

4 – نفسه، ص37.

المصري[1]، الذي تتلمذ على الشيخ خليل وتفقه به، والذي أدخل الكتابين هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن التلمساني الشهير بابن الإمام، وانصب علماء المغرب جهودهم على مختصر خليل تدريسا وحفظا وشرحا[2].

كما ان هذه الرحلات العلمية وما صاحبها من جلسات علم وتدريس ساهمت في تكوين علماء كبار جمعوا بين العلم والعمل، مما جعلهم قدوة لطلبة العلم، كما أنهم عند عودتهم إلى ديارهم، مارسوا التدريس، ونقلوا العلوم التي تعلموها إلى طلبة المغرب الأوسط، وساهموا بشكل كبير في تنشيط الحركة العلمية. وكان الفضل لهؤلاء العلماء الذين حصلوا العلم من مشرقه ومغربه في تكوين جيل من علماء المغرب الأوسط الذين دفعوا بالحركة العلمية والتعليمية نحو الأمام. وطائفة منهم اهتموا بالحديث وروايته سماعا لا إجازة، فأحيوا علوم الإسناد وأسهموا في بعث الحركة الحديثية من جديد بما درسوا من أمهات كتب الحديث. وهناك من اهتم بالعلوم الأخرى من آداب، حساب، وعلم الفرائض، الفقه، الطب والفلك. وفي الأخير يمكننا الخروج باستنتاج وإبراز دور الرحلة في طلب العلم، وجمعها في النقاط التالية:

- الدراسة في أهم المدارس والمساجد والزوايا التي عمرت أمدًا طويلاً وشكلت تاريخا ثقافيا مهما، وكان لها دور واضح في تطوير حركة التعليم، كما أنها ساهمت في حفظ الإرث الثقافي.
- الدراسة عند أشهر الأدباء والفقهاء، وتسجيل وتدوين كل الدروس والنقاشات ونقلها إلى المغرب الأوسط وتدريسها، إضافة إلى تسجيل واقتناء بعض المؤلفات والكتب وتوثيق مسمياتها. وذلك كان واردًا في كتب البرامج والمشيخة، مثل ما ذكره الغبريني في كتابه عنوان الدراية، حيث جاء فيه ذكر أهم مؤلفات وكتب المشرق.
- الجلسات العلمية التي كانت تعقد في المساجد، خاصة الحرم والشريف والأزهر، الزيتونة والقرويين بين المدرسين وأهل العلم، وما صاحبها من تبادل المعارف والعلوم، لذا ظلت الرحلة العلمية إلى المشرق والمغرب وتونس، المصدر الأساسي للعلم والمعرفة والحصول على الإجازة.

---

1 – لمين الناجي، المرجع السابق، ص38.

2 – نفسه، ص39.

– يلتقي الطلبة بالإمام والفقيه والمدرس، فيتبادلان الحوار العلمي، حيث أصبح العلم والارتحال من أجله هدفًا ساميًا يسعى لتحقيقه، حتى يبلغ صاحبه درجة رفيعة من الاحترام والتقدير، لذلك اعتبرت الرحلة في طلب العلم من أوسع أبواب المعرفة والثقافة.

4 – تأثير الهجرة الأندلسية على الحركة العلمية:

لقد عرف المغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط خصوصا هجرة الجالية الأندلسية، بعد سقوط غرناطة سنة 1492م، فقد شهدت الفترة الممتدة ما بين القرنين 14 – 15م توافد عدد كبير من الأندلسيين، وفي نفس الوقت بلغت الحركة الفكرية والأدبية ذروة ازدهارها في مملكة غرناطة في القرن 8ه/14م، وفيه ظهرت طائفة من كبار المفكرين والكتّاب والشعراء، الذين أنتجوا إنتاجا علميا بارزا في مجال العلم والأدب[1].

وبناء على ذلك فإن الجالية الأندلسية كان لها تأثيرها الواضح على كل نشاط ثقافي والازدهار الفكري والأدبي والفني في المغرب الأوسط، ولقد استقر الأندلسيون في بجاية، حيث استفادت من علماء القلعة وصقلية والأندلس، فصارت أعظم عاصمة عرفها العالم الإسلامي تضاهي عواصم الدنيا، انهال على بجاية علماء القلعة وصقلية والأندلس، وكانت أقوى جالية بها من العلماء جالية الأندلس الذين هاجروا بلادهم، واستفادت من هذه الهجرة وازدهرت بالعلوم من كثرة الواردين عليها من الفقهاء والمحدثين والأدباء، والفنانين والفلاسفة، وتكونت بفضل هؤلاء المهاجرين نهضة علمية امتزجت فيها العلوم والآداب الأندلسية بالعلوم والآداب الإفريقية[2].

ونتج عن الهجرة الأندلسية نحو بجاية حركة علمية وأدبية، وعلى يد أولئك العلماء النازحين، منهم جمهرة كبيرة من علماء الفقه والحديث والأدب واللغة، استمرت آثار هذه الحركة طوال القرن السابع الهجري، وكانت مدينة بجاية منزلا مفضلا لكثير من العلماء النازحين. وقد أقاموا بها مدرسة علمية زاهرة واستمرت عصرا، وبرز فيها كثير من

---

1 – عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1990، ص304.

2 – المهدي بوعبدلي، "مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ (2)"، مجلة الأصالة، العدد 07، مارس، أفريل 1972، ص10.

علماء العصر، واختيرت بجاية تحديدا لأنها كانت بعد العاصمة تونس من أهم مراكز التجمع العلمي، وكانت منذ البداية مقصد جمهرة من زعماء العلماء(1).

وبهذه المساهمة الأندلسية تبوأت بجاية مكانة مرموقة في مجال الثقافة العربية الإسلامية، وظلت لفترة تزيد عن ثلاثة قرون 12م – 13م – 14م إحدى منارات المعرفة ومراكز العلم ببلاد المغرب، فعن طريقها وبواسطتها تم انتقال التراث العلمي الأندلسي المتأخر نحو تونس والمشرق، ومن خلالها استقبلت بلاد القبائل خاصة والمغرب الأوسط عامة جموع علماء الأندلس الذين انتشروا في البوادي وتوزعوا في المدن الداخلية، يؤسسون المعاهد والزوايا ويحافظون على المعارف الإسلامية وتقاليد السلف، يشد أزرهم ويعاضدهم السكان وفي مقدمتهم الفقهاء، وشيوخ القبائل(2).

فقد عرفت قبائل زواوة في العهد الإسلامي أنها اشتهرت بمراكز ثقافية ممتازة، وتكونت بها أسر علمية توارثت العلم قرونا، ولم تقتصر شهرة هذه الأسر داخل البلاد فحسب، بل جاوزتها إلى بقية بلاد العالم الإسلامي شرقا وغربا، فكانت المعاهد منتشرة في معظم قراها، أي بوادي بجاية، وكان مؤسسها علماء البلاد الأندلسية، ولازالت كثير من الأسر تحتفظ بإجازات علمية أزهرية وباتصالها بكثير من علماء البلاد القدامى بإجازات تثبت الفنون التي كانت تدرس في بجاية، وهي نفس الفنون التي كانت ولازالت تدرس بالجامعات الإسلامية، كالأزهر والزيتونة والقرويين(3).وقد استمرت مدرسة بجاية العلمية وجل أساتذتها حسبما رأينا من الأندلسيين النازحين عصرا، وازدهرت طوال القرن السابع الهجري، ومن بعده أحقابا، على يد تلاميذها من ورثة التراث الأندلسي، وبثت في سائر الحواضر الإفريقية نهضة علمية زاهرة، كان لها أعظم الأثر في إحياء العلوم والآداب في المغرب الأوسط، وقامت في ذلك بنفس الدور العظيم الذي كانت تقوم به قرينتها ومنافستها تلمسان في الناحية الأخرى من المغرب الأوسط(4).

---

1 – عبد الله عنان، "مدرسة بجاية الأندلسية وأثرها في إحياء العلوم بالمغرب الأوسط"، مجلة الأصالة، العدد 13، صفر – ربيع الأول 1393ه/مارس – أفريل 1973.

2 – ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية، ط2، البصائر الجديد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص، ص102، 103.

3 – المهدي بوعبدلي، "تراجم بعض مشاهير علماء زواوة"، مجلة الأصالة، العدد 14-15، السنة الثالثة، ماي، جوان، جويلية، أوت 1973، ص267.

4 – عبد الله عنان، المرجع السابق، ص197.

فقد أصبح علماء الأندلس يشكلون نسبة كبيرة من سكان المغرب الأوسط، استقروا في أهم حواضر المغرب مثل بجاية وتلمسان والجزائر، وساهموا في تطوير النهضة العلمية، لأن هذه العائلات الأندلسية كانت تضم أهم الشخصيات العلمية الأندلسية، والتي كان تأثيرها واضحًا على الحياة الثقافية والعلمية في الجزائر خلال القرنين 14م – 15م.

كان التأثير الأندلسي لم يقتصر فقط على العلوم الدينية والأدبية، بل تعدّاه إلى الميدان العلمي، حيث استفاد المغرب الأوسط من استقرار عدد من الأطباء الأندلسيين في في بجاية، ذكر الغبريني البعض منهم، مثل أبو العباس أحمد بن خالد من أهل مالقة فقال عنه: "فكانت له شركة في الطب وله مشاركة في الحكمة وفي الطبيعيات"[1]. وهذا دليل على أنه كان من المطلعين على العلوم الطبيعية والمتخصصين في الطب، كذلك أبو القاسم محمد بن أحمد الأموي من أهل مرسية استقر في بجاية المعروقف بابن اندراس، قال عنه الغبريني: "ورد على بجاية وتبسط للطب طبيبا باحثًا جيدًا، تبسط لإقراء الطب والعربية" والمعروف عنه أنه تولى تطبيب الولاة ببجاية هو وبعض خواص الأطباء بها، وله "رجز" نظم فيه بعض الأدوية واستكمله وهو ببجاية، وقال الغبريني أنه كلفه بنظم بعض الأدوية على سبيل التعاون فنظمت له بعضها[2]. وكذلك أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الخزرجي الشاطبي، كان له علم بالعربية وأصول الفقه، وله مشاركة في أصول الدين وفي قوانين الطب[3].

لقد ساهمت الشخصيات العلمية الأندلسية المقيمة بحاضرة بجاية الحفصية وتلمسان الزيانية في إثراء الحركة الثقافية والعلمية، من خلال ممارستها للتعليم، بحيث أصبحت بجاية وتلمسان منارة علمية ومركز إشعاع ثقافي تجذب إليها طلبة العلم من مختلف المدن المغربية، ضف إلى ذلك فقد اعتبرت من أهم المحطات التي ينزل فيها العلماء لإلقاء دروسهم، كما سبق الإشارة إليه فيما يخص الآبلي. وهكذا فإن مدينة بجاية وتلمسان كانت ملتقى العلماء، ومن أهم عواصم العلم والثقافة في المغرب الإسلامي.كما أن طرق التدريس والإلقاء هي الأخرى تأثرت بالوجود الأندلسي، فتعددت الطرق حسب المدرس

1 – أبو العباس الغبريني، مصدر سابق، ص73.

2 – نفسه، ص، ص75، 76.

3 – نفسه، ص115.

وأنواع العلوم، فمثلاً أبا العباس ابن خالد المالقي كان يدرس علم المنطق على الطريقتين، طريقة الأقدمين أبي نصر الفارابي وغيره وطريقة المتأخرين محي الدين وغيره، وعلى طريقة الأوسطين كابن سينا[1].

ولا بدّ أن نشير هنا أن المشيخة الأندلسية لم يقتصر تأثيرها على مستوى الحركة العلمية، بل يتعداه إلى مناهج التعليم، فقد احتكر الأندلسيون ميدان التعليم في المغرب العربي، ونقلوا طريقتهم الخاصة إليها، ومن ذلك عدم الاقتصار في تعليم الأطفال على حفظ القرآن، كما كان الحال قبلهم، بل أضافوا إليه تعليم الحديث والقواعد العامة لمختلف العلوم وتدارس بعضها، كما علّموا روايات القرآن وأنواع قراءاته، ونشر الأندلسيون خطهم حتى ساد على خط المغرب العربي[2].

---

1 – أبو العباس الغبريني، المصدر السابق، ص، ص358، 359.

2 – أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص47.

الباب الأول:

المؤسسات التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني

الفصل الأول:

الكتّـــاب، المـــدارس والمكتبـــات

المبحث الأول: الكتّاب

المبحث الثاني: المدارس

المبحث الثالث: المكتبات

عرفت مدينة الجزائر خلال العهد العثماني بروز عدة مؤسسات ثقافية كان لها انعكاس مباشر على التطور العمراني والتنوع الوظيفي في المدينة والريف، أدّت هذه المؤسسات عدة أدوار ووظائف اجتماعية، دينية وتعليمية وثقافية أهّلتها للقيام بدور إدماجي في المجتمع. وهي تنقسم إلى ثلاثة أصناف: مؤسسات الشعائر الدينية (جوامع ومساجد)، مؤسسات التعليم (مدارس وكتاتيب)، المؤسسات الخيرية (الزوايا).

ولقد احتلت هذه المؤسسات الثقافية مكانة هامة في المجتمع، كما لقيت اهتماما كبيرا من سكان الجزائر، نظرا لاهتمام هذا الأخير بالجانب الديني والتعليمي، فساهم في بناءها ونشرها في حواضر وأرياف الجزائر.

فحسب ما جاء في المصادر التاريخية المتخصصة في الفترة الحديثة، هناك تباين نوعي بين المنشآت الثقافية في الجزائر، وجلها موجهة للشعائر الدينية والتعليم، ونستنتج هذا التباين في التطور العددي. فقد عرفت هذه المؤسسات تراجع في العدد خلال القرنين 15 – 16م، في حين تزايد عددها بداية من القرن 17، وخاصة القرن 18م. ومما يلفت الانتباه أكثر هو انتشار الزوايا، حيث تزايدت على نسق سريع مقارنة ببقية المؤسسات.

وهناك عدة عوامل كان لها دور في ذلك وأهمها عامل الاستقرار السياسي، الذي كان يؤثر على التطور العمراني، لما تلحقه الحروب من آثار الدمار. فإن كان هناك مساهمة للحكام في الترميمات يعاد بناءها، وإن كان هناك العكس تكون هناك مساهمات شعبية لإعادة بناء المؤسسات الثقافية. ولعبت الأوقاف دورًا هامًا في تمويل هذه العمليات حتى تبقى هذه المؤسسات لما كان لها من دور فعال في المجتمع، والتي سوف نفصل فيها من خلال مباحث هذا الفصل.

ويعتبر التعليم من القواعد الأساسية التي تساعد على ازدهار الثقافة وانتشارها في المجتمع، وقد أدرك الجزائريون أهمية التعليم ودوره في المجتمع، لهذا كانوا حريصين على تعليم أبنائهم. وما يؤكد ذلك العدد الكبير من المؤسسات التعليمية التي كانت منتشرة في البلاد، فكان يوجد في المدن الجزائرية عدد من المؤسسات التعليمية المتمثلة في

الكتاتيب والمساجد والمدارس والزوايا[1]، ولكن أغلب الناس يعلّمون أبنائهم في منازلهم، ويقوم بهذا الدور معلمون من رجال الدين، كما هي في المدارس المذكورة[2].

كانت هناك سبعة مراكز ثقافية (تعليمية)، كل منها يقوم بوظيفته التي أسندت إليه على أحسن وجه حسبما تتطلبه ظروف العصر، وتقتضيه قوانين إقليم القطر وعوائد سكانه، وهي كتاتيب القرآن، الزوايا، المساجد، المدارس، الدكاكين التجارية، الأندية المنزلية، المكتبات[3].

فمن خلال كتاب "المجابهات الثقافية في الجزائر المستعمرة، وخاصة في المدارس والطب والدين" ألفته الأستاذة ايفون تورين، تطرقت إلى وضعية التعليم والثقافة في بداية الاحتلال، وقد بيّن الكتاب أن المدارس والمؤسسات الثقافية كانت منتشرة في كافة أنحاء الوطن، وأن مستوى التعليم العام في الجزائر لم يختلف عما كان عليه في المدارس الفرنسية[4].

---

1 – أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني (1519 – 1830)، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، 2006/2005، ص332.

2 – جيمس كاثكارت، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982، ص99.

3 – محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص، ص59، 60، 61.

4 – بوعمران الشيخ، "المجابهات الثقافية في الجزائر المستعمرة من 1830-1880م، تأليف د. توريف ايفوان"، مجلة الأصالة، العدد 6، ص117.

المبحث الأول: الكتّاب

الكتّاب من المؤسسات التربوية القديمة المعروفة في المجتمع الجزائري، فضلاً عن المجتمعات المغربية، والعربية الإسلامية. وقد مارست هذه المؤسسات دورًا هاما في أحرج فترات التاريخ في المجتمع الجزائري حفاظا على أهم عناصر مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية(1).

ويمثل الكتّاب في الماضي المدرسة الابتدائية التي يقصدها التلاميذ، عند بداية عهدهم بالدراسة، وكثيرا ما يعبر عنه بالمكتب، وتعود هذه التسمية إلى أصول تركية. وقد خصصت كتاتيب القرآن لتحفيظ القرآن الكريم، وهي أول مكان يتلقى فيه الطفل الحروف الهجائية بواسطة اللوح المصلصل والقلم القصبي، وتكون هذه الكتاتيب غالبا في المساجد على مستوى القرى والمدن(2).

1 – أشكال الكتّاب:

يوجد الكتاب على أشكال متعددة، فقد يكون أحيانا ملحق بالمسجد منفصل عنه، كما يوجد أحيانا أخرى في شكل وحدات منتشرة بين مختلف التجمعات السكنية في المدن والقرى، فقد لا يكاد يخلو حي في أي مدينة من كتّاب لتحفيظ القرآن الكريم، ويظهر مبنى الكتاب في شكل حجرة واحدة صغيرة أو متوسطة الحجم على العموم ضمن أحد المنازل بالحي أو منفصلة أحيانا قليلة، وملحقة بالمساجد أحيانا أخرى(3).

وهذه الكتاتيب أحيانا بيوت منفردة، وأحيانا مجمعات من البيوت مختلفة الأحجام والأشكال، والأغلبية من تأسيس حفظة القرآن الكريم للارتزاق والحصول على لقمة العيش، وقد عرفت تطورًا كبيرًا وواسعًا في الجزائر خلال العصر الحديث، وهي موجودة في كل الحواضر والقرى بصورة مكثفة(4).

---

1 – مصطفى زايد، "من المؤسسات التربوية القديمة بالجلفة، الكتاب"، مجلة الثقافة، السنة السادسة عشرة، العدد 93، شعبان – رمضان 1406هـ/مايو – يونيو 1986، ص117.

2 – محمد سي يوسف، "نظام التعليم في بلاد زواوة، بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني"، المجلة التاريخية المغربية، السنة السابعة عشر، عدد 57-58، جويلية 1990، تونس، ص193.

3 – مصطفى زايد، مرجع سابق، ص118.

4 – يحيى بوعزيز، "أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين"، مجلة الثقافة، السنة الحادية عشر، العدد 63، رجب – شعبان 1401هـ/مايو – يونيو 1981م، ص13.

ولقد تعددت التسميات التي تطلق على هذه المؤسسة التربوية، وأقدمها هي الكتاب الذي عرف منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام والمكتب، ومن المرجّح أن إطلاق تسمية المكتب على الكتاب كان موجودا في الجزائر خلال العهد العثماني، ويثبت ذلك ما ورد في الوثائق المتمثلة في سجلات البايلك، حيث جاء فيها سجلات رواتب موظفوا المساجد، فمثلا مسجد حسن مزمورطو، فقد ذكر في نص الوثيقة "موسى خوجة مؤدب بالمكتب[1]. وقد تعددت الوثائق الذاكرة للكتاتيب، كما تعددت أشكالها.

والملاحظ من خلال سجلات البايلك أن الكتاب في مدينة الجزائر كان يطلق عليه اسم المسيد كذلك، على اعتبار أن هذه المؤسسة، اعتبرت مؤسسة ابتدائية دون غيرها من المؤسسات التعليمية الأخرى، باعتبار أن هذه المدرسة الابتدائية عوضت الكتاتيب وحلت محلها، ولو أنها لم تقض عليها، لأن الاختلاف يكمن في التسمية لا غير، والغرض واحد تعليمي.

ومن هذا الباب حاولت إعطاء لمحة عن أهم هذه المؤسسات "المسيد" التي كانت موجودة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، من خلال سجلات البايلك:

- **مسيد القصبة:** فقد ورد في وثيقة كراء "دار حسن معزول آغة أسفل مسيد القصبة"[2].
- **مسيد الترك:** فقد ورد في وثيقة كراء "حانوت تحت الجامع أعلا مسيد الترك"[3].
- **مسيد بوزريعة:** فقد ورد نص في السجلات حول مصاريف أوقاف الجامع الأعظم "قبض سيدي محمد جيلالي مسيد بوزريعة على شعبان 312"[4].
- **مسيد البرميل:** في حومة القصبة هناك سكة البرميل، أي شارع يحمل هذا الاسم[5]، كما ورد في نص وثيقة كراء "نصف دار قرب مسيد البرميل بيد عبد القادر يولداش بما قدره ريالات سنة 1106هـ/1694م"[6].

---

1 – سجلات البايلك، ع23، س146.
2 – سجلات البايلك: ع16، س77.
3 – سجلات البايلك: ع16، س77.
4 – سجلات البايلك: ع19، س100.
5 – سجلات البايلك: ع23، س159.
6 – سجلات البايلك: ع24، س167.

- **مسيد السلطان:** فقد ورد في عقد تحبيس "دخل تحبيس جميع الدار الكاينة قرب مسيد السلطان، قرب القهوة الكبيرة رهن بن الحاج على الحرفي في أوائل رمضان ريالات 1232هـ/1816م"[1]. كما ورد كذلك في نص وثيقة كراء "دار مع علويها قرب مسيد السلطان عند القهوة بسكة غير نافدة"[2]، وهو موجود في حومة القصبة، والذي لفت انتباهنا هو التسمية. هذا ما جعلنا نتساءل ما إذا كانت هذه التسمية نسبة إلى مؤسس هذه المؤسسة التربوية أم تكريمًا للسلطان.
- **مسيد شعيب:** كما ورد كذلك في نفس السياق ذكر حومة سيدي شعيب وضريح شعيب (1221هـ/1806م)[3].
- **مسيد سيدي الجردي:** فقد ورد في نص الوثيقة "الحمد لله قبض السيد محمد مؤدب الصبيان بمسيد سيدي الجردي في ماله في شهر الله شعبان 1207هـ/1792م[4].

وقد تبين لنا من خلال الوثائق أن تسمية المسيد اختص بها سكان مدينة الجزائر، وهو نفسه الكتاب أو المدرسة الابتدائية، لكن الاحتمال الوارد هو أن الكتاب في بدايته كان ملحقة تابعة للمسجد، وبعدها انفصل عنه واتخذت أماكن عديدة لممارسة التعليم (سوف نفصل فيها لاحقًا)، لذلك أصبح يطلق على هذه الأماكن "مسيد"، كون الكتاب أصبح مستقل عن المسجد.

رغم هذا الانفصال الذي كان الهدف منه هو إبعاد النجاسة والشوشرة عن المسجد كما سبق ذكره، إلاّ أن هذا الأخير لم يتخل عن الكتاب الذي ظل ملحقة تابعة له من حيث التسيير والتمويل من عائدات أوقافه، فمعظم مساجد الجزائر خلال العهد العثماني، كانت لا تخلوا من كتاب يتكفل بتعليم الصبيان. ولإعطاء صورة أوضح أخذنا نموذج مساجد مدينة الجزائر التي كانت بها كتاتيب:

- حامع الجديد.
- جامع الزاوية.

---

1 - سجلات البايلك: ع25، س186.

2 - سجلات البايلك: ع16، س77.

3 - سجلات البايلك: ع25، س186.

4 - سجلات البايلك: ع31، س287.

- جامع السيدة.
- مسجد حسن مزمورطو.
- جامع كتشاوة.
- جامع عبدي باشا.
- الجامع الأعظم[1].

وقد يكون مكان التعليم بيت المعلم أو بيتا منفصلا عن بيته اتخذه للتعليم، فهناك بيوت استأجرها المعلمون خصيصا لهذا الغرض، أو حبست من أجله، ويمكن أن نستدل من الوثائق "ربع حانوت بالبطحا، أسفل دار موسى آغا الصغيرة هي دار مكتب للصبيان... على محبسها..." [2].

كما اتخذت المحلات التجارية أماكن لتعليم الصبيان، ونستدل من هذه الوثائق "حانوت بير الجباح ملاصقة للفحام معدة لقراء الصبيان حبسة 1175 - 1176هـ/1762 - 1762م[3].

وكثيرا ما يعمد المحسنون إلى بناء محلات تجارية ويبنون فوقها مكتبا، ويحبسون هذه المحلات التجارية ويقفون مداخيلها على الكتاب، وبذلك يضمنوا الاستمرار والديمومة بفضل الحبس الذي ألحقوه بها.

كما أن الكثير من اضرحة الأولياء الصالحين، كانت كتاتيب لتحفيظ الأطفال القرآن الكريم خاصة في الأرياف، لأن هذه الظاهرة تقل في المدن، فمثلا في مدينة الجزائر مسيد شعيب الذي هو جزء من ضريح الولي الصالح سيدي شعيب، وكذلك مسيد سيدي الجردي وستنا مريم[4].

ويمكن إرجاع سبب تعدد أشكال الكتاب إلى غياب مؤسسة تابعة للدولة تشرف على التعليم وبناء المؤسسات التربوية، فلولا المبادرات الخيرية التي عملت على بناءها وحرص المجتمع على التعليم وضمان استمرارية نشاطها من خلال تمويلها من أموال الأوقاف، لزالت هذه المؤسسات.

---

1 – سجلات البايلك: (ع33، س327)، (ع33، س334)، (ع34، س331)، (ع31، س287).

2 – سجلات البايلك: ع23، س147.

3 – سجلات البايلك: ع24، س175.

4 – سجلات البايلك: ع15، س75.

يوجد في مدينة الجزائر عدد كبير من المدارس الصغيرة، وهذا ما عرف بالمسيد أو الكتاتيب[1]، لكن هذه الكتاتيب ليس لها خصائص مميزة[2]، والدليل على ذلك تعدد أشكالها وأماكن التدريس حسب ما بينته الوثائق، فقد خصصت لاستظهار كتاب الله العزيز، وتكون هذه الكتاتيب غالبا في أضرحة الأولياء وفي الدكاكين، والمساجد التي لا تقام فيها الصلوات الخمس[3] (ملاحق للمساجد).

فمن الناحية الثقافية والاجتماعية، فقد أجمع المؤرخون أنه كان عصرًا مزدهرًا ثقافيا وتعليميًا، فقد كان يقدر عدد المكاتب القرآنية في القطر الجزائري ثلاثة آلاف كتاب قرآني أو مسيد في اللهجة الجزائرية، وكان عدد المتعلمين وقلة الأميين أكثر من فرنسا، وهذا بشهادة بعضهم[4]. فقد كان في حاضرة مدينة الجزائر مائة مكتب مليئة بالأولاد، حيث أن المحل الذي يسع التلاميذ يجعلون فيه سدة يصعدون إليها الدرج يتعلمون القراءة والكتابة، ويحفظون القرآن العظيم وحفاظه كانوا كثيرين[5].

2 – الوسائل التعليمية:

المتداول في أغلب الكتب التاريخية أنه لا توجد دراسات حول قواعد التعليم والتربية ومناهج التدريس خلال العهد العثماني إلا بعض الإشارات التي وردت في كتب الرحالة والتراجم. لكن المتفق عليه أن الكتاب هو مدرسة ابتدائية يتعلم فيها التلاميذ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، وكان يدرس فيها مؤدب الصبيان.

الوسائل المعتمدة في الكتاب بسيطة سبق الإشارة إليها في الفصل التمهيدي، فهي لا تتعدّى الحصير واللّوح، ولم تعرف هذه الأخيرة التطور إلاّ في العهد العثماني، فقد أصبح للتلاميذ كراسي يجلسون عليها. وقد ورد في الوثائق ذكر الوسائل البيداغوجية المتمثلة في "الكراسه، كراسه، لوح، فوط، ستر"[6].

---

1 - M. Le Roy, Etat général et particulier du Royaume et la ville d'Alger, p. 13.

2 - Peysonel et Desfontaines, Voyages dans les régences de Tunis et d'Alger, Tome I, librairie de cide, Paris 1858, p. 453.

3 – محمد بن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص58.

4 – عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث: الجزائر، المدية، مليانة، ط1، شركة دار الأمة، الجزائر، 2007، ص248.

5 – نفسه، ص150.

6 – سجلات بيت المال والبايلك: ع8، س40.

بشكل عام لوحظ من خلال الدراسة الميدانية أن مبنى الكتاب يتكون من مواد البناء المحلية الشائع استخدامها في الوسط أو الحي أو المنطقة التي يوجد بها، أما التجهيزات فعادة ما يجلس تلاميذ الكتاب على حصائر مصنوعة من "الديس"، أو على مقاعد خشبية هي عبارة عن لوحات من الخشب والتي لا تكاد ترتفع إلا سنتميترات قليلة عن سطح الأرض، تجهيزاته تتميز بأقصى درجات الاقتصاد والبساطة[1].

كان التلاميذ يتحلقون حول المؤدب في دائرة، يجلسون متربعين على حصير، أما الأدوات التي كان يستعملها التلاميذ في الدراسة تتمثل في لوحات كبيرة أو صغيرة الحجم، البيضاء والملساء من تمرير الطين عليها، وكان يستعمل في الكتابة السمق الأسود وأقلام من القصب وكان بعضهم يكتب ألواحه بالطباشير[2].

أما لغة التدريس فكانت اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن والتي لا يمكن قراءة وفهم القرآن إلا بها، كما أن الصلاة لا تجوز بلغة غير اللغة العربية، وبالتالي فإن تعلم اللغة العربية قد ارتبط ولازم تعلم القرآن الكريم. فالطفل الذي يلتحق بالكتاب يبدأ مباشرة في تعلم أبجدية اللغة العربية كخطوة أولى يخطوها نحو تعلم القرآن الكريم، فالكتاب إذن يعلم اللغة العربية، وظيفته الأساسية والتي هي تحفيظ القرآن[3].

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هل التعليم في الجزائر كان باللغة العربية فقط، بحكم أن الأتراك عاشوا في الجزائر لمدة ثلاثة قرون، هل قاموا بتعليم لغتهم العصمنلي لأولادهم؟ حاولت البحث عن هذه النقطة من خلال المصادر والأرشيف، والمتداول أن الأتراك كانوا على المذهب الحنفي وكانت لهم مساجد يُدرس فيها، وأوقاف تشرف عليها. وهذا ما سوف نتطرق إليه في القسم الخاص بالمساجد والأوقاف، لكن هل كان هناك مدارس وكتاتيب تتولى تعليم هذه اللغة. ومن خلال اطّلاعنا على سجلات البايلك ورد في النصوص اسم مسيد الترك[4] الموجود في مدينة الجزائر (القصبة). لذلك الاحتمال وارد بحكم أن مدينة الجزائر كان يعيش فيها الأتراك، فكان لهم مؤسسة تعليمية تتكفل بتعليم

1 – مصطفى زايد، مرجع سابق، ص118.

2 – أبو القاسم سعد الله، ج1، مرجع سابق، ص339.

3 – مصطفى زايد، مرجع سابق، ص119.

4 – سجلات البايلك: ع16، س77.

أبناء الأتراك والكراغلة كمرحلة ابتدائية ويكملوا دراستهم في المساجد الحنفية لتكوين موظفين في الإدارة، هذا إضافة إلى اللغة العربية. وحاولت التعمق أكثر في الموضوع، لكن نظرا لنقص المعلومات في المصادر والوثائق تبقى الفكرة احتمال وباب البحث مفتوح.

كما ورد في سجلات بيت المال والبايلك مسجد زوية تورك، ومن بين الموظفين في المسجد، ذكر اسم سي أحمد معلم مسيد وحزاب(1)، واحتمال أن يكون مسيد الترك، لأنه ورد في وثيقة كراء سبق ذكرها "حانوت تحت الجامع أعلا مسيد الترك"(2). كما أنه تبين من خلال الوثائق كما سبق ذكره هناك بعض مساجد المذهب الحنفي التي يشرف عليها الأتراك في مدينة الجزائر كان لها مسيد، فمثلا جامع كجاوة من بين الموظفين في المسجد "مدرس المحمدية والمسيد إمام كجاوة" وجامع الجديد "كناس والفراش سي أحمد معلم مسيد"(3)، ومسجد حسن باشا مزمورطو ذكر "موسى خوجة مؤدب بالمكتب"(4)، وجامع عبدي باشا كان به مكتب لتأديب الصبيان(5).

وعلى أساس أن هذه المساجد كلها على المذهب الحنفي وكان بها ملاحق تتمثل في المسيد والكتاب، والسؤال الذي يطرح نفسه من يدرس في هذه المؤسسات التعليمية كون أنها على المذهب الحنفي؟ فمن المحتمل أن يكون أبناء الأتراك والكراغلة، لأن الإدارة العثمانية في الجزائر كانت تعتمد اللغة العثمانية في تعاملها، فهي بحاجة إلى تكوين موظفين للإشراف عليها، لذلك كانت هناك كتاتيب ومساجد تدرس المذهب الحنفي مخصصة لأبناء الأتراك والكراغلة، واحتمال أن يدرس فيها سكان مدينة الجزائر، وهذا ما ذكره **هايدو** في كتابه أنه كان مدارس مخصصة لتعليم اللغة العربية وأخرى اللغة التركية (العثمانية)(6).

---

1 – سجلات بيت المال والبايلك: ع8، س40.

2 – سجلات البايلك: ع16، س77.

3 – سجلات بيت المال والبايلك: ع8، س40.

4 – سجلات البايلك: ع23، س146.

5 – سجلات البايلك: ع29، س231.

6 - Diego de Haëdo, Topographie et histoire général d’Alger, édition Bouchene, 1998 p. 114.

3 – تلاميذ الكتاب:

تلاميذ الكتاب هم أبناء المحيط الذي توجد به المؤسسة وعادة ما تبدأ أعمارهم هؤلاء من خمس سنوات تقريبا، والملاحظ أن هذا التحديد في عمر القبول في هذه المؤسسة، ينصب حسب قول العديد من المعلمين إلى حديث الرسول ﷺ ينص على أن: الطفل يتعلم على خمس وخمس أي خمس سنوات وخمسة أشهر، والسبب يرجع إلى أن الطفل دون هذا السن يصعب عليه الفهم والتعلم[1]، وهذا ما أكده وليام شالر في كتابه.

لكن الملاحظ أنه كان اختلاف في تحديد سن دخول الطفل إلى الكتاب، فحسب الدكتور أبو القاسم سعد الله كان عمر التلاميذ الذين يدرسون في الكتاب يتراوح ما بين السادسة والرابعة عشر، حيث يكون حينها قد حفظ القرآن الكريم، فيقضي التلميذ بقية السنوات في تكرير القرآن على شيخه، وفي بعض الأحيان يكلفه بمساعدته في تحفيظ التلاميذ الصغار[2]. فهناك بعض الكتاتيب التي يتولى التدريس بها معلم (طالب) واسع الاطلاع بالقضايا الفقهية، أو مطلع قليلاً عليها، يتولى أيضًا تدريس بعض أمور الفقه الإسلامي وإن قل هذا[3].

الدراسة في الكتاب تكون يومية مقسمة إلى فترتين صباحية ومسائية، يدرس فيها التلاميذ مدة ساعتين للحصة، الجلسة الصباحية هي أكثر أهمية لأن ذهن التلميذ يكون صافي، لذلك تتم خلالها الاستظهار والمحو والكتابة من جديد بعد مراجعة الدرس من طرف التلميذ والتأكد من حفظه، يعرضه على المؤدب، وإذا تمكن من حفظه أذن له بمحوه، وهكذا دواليك حتى يتمكن كل التلاميذ من حفظ الدرس والدخول في درس جديد[4].

أما الفترة المسائية تعتبر فترة مراجعة لما درس في الصباح، حيث يقوم التلاميذ بتلاوة ما كتب على اللوح في الفترة الصباحية، ويقرؤونه بأصوات جهورية، حتى يحفظونه ثم يمحونه في صباح اليوم الموالي، ويكتبون غيره، وهكذا بصفة دورية ودائمة حتى يأتوا

---

1 – مصطفى زايد، مرجع سابق، ص119.

2 – مدارس مدينة الجزائر يتردد عليها الأطفال من سن الخامسة والسادسة، انظر: وليام شالر، مذكرات وليام شالر، تعريب إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (بدون تاريخ النشر)، ص82.

3 – أبو القاسم سعد الله، ج1، مرجع سابق، ص342.

4 – نفسه، ص340.

على كل سورة وأحزاب القرآن الكريم(1). فجلسة المساء هي الغالب لحفظ الدرس القديم استعدادًا لاستظهاره ومحوه في صباح اليوم التالي وهكذا(2).

وكان تلاميذ الكتاب يستفيدون من فترة استراحة بين الفترة الصباحية والمسائية، ويشير إليها المؤدب وذلك بضرب الحائط بالعصا مرتين أو ثلاثا، إعلانًا عن انتهاء الفترة الصباحية وإعطاء الإذن للتلاميذ بالانصراف للغذاء والرجوع في المساء، هذا إضافة إلى الراحة الأسبوعية يومي الاثنين والجمعة(3)، والأعياد الدينية. فالكتاب مكان يجمع كل الصغار بقطع النظر عن أجناسهم وألوانهم أو انتماءهم، فكان عدد المتعلمين في كل كتاب يتراوح ما بين خمسة عشر وعشرين تلميذا أو أكثر(4).

وهناك اختلاف في تحديد عدد التلاميذ في الكتاب، حيث يتوقف هذا العدد على كثافة سكان الحي، وعلى نجاح المؤدب وسمعته، ولا توجد إحصاءات دقيقة وشاملة لعدد التلاميذ ولعدد الكتاتيب، وكان عدد التلاميذ يتراوح ما بين العشرين والثلاثين. ومن ذلك أن الخمسين مدرسة أو كتاب في تلمسان كانت تحتوي على نحو 2000 تلميذ، وأن 90 مدرسة ابتدائية في قسنطينة كانت تضم حوالي 1350 تلميذا، ومدارس مدينة الجزائر الابتدائية كانت تضم حوالي 2000 تلميذ(5).

والتلميذ في هذه المرحلة يسكن عند أهله والكتاب يكون قريب من أهله عادة، فيذهب في أوقات الدراسة ويعود في المساء إلى منزله. غير أنه يلاحظ أن بعض سكان الريف كانوا يرسلون أبناءهم إلى المدينة للتعلم، وفي هذه الحالة يسكن التلاميذ عند أصدقاء أو أقارب العائلة(6)، ولا يعني ذلك أن أرياف الجزائر كانت تخلوا من التعليم الابتدائي، لأن الزوايا كانت تشكل إطار الحياة الثقافية في الأرياف، يتعلم فيها التلاميذ القراءة والكتابة ويحفظون أجزاء من القرآن عن ظهر قلب. وينتشر التعليم الابتدائي بين

---

1 – يحيى بوعزيز، أوضاع المؤسسات الدينية...، مرجع سابق، ص14.

2 – أبو القاسم سعد الله، ج1، مرجع سابق، ص340.

3 – نفسه، ص340.

4 – محمد بن شوش، التعليم في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي (1830 – 1870)، رسالة لنيل درجة الماجستير، جامعة بن يوسف بن خدة (2007 – 2008)، ص8.

5 – أبو القاسم سعد الله، ج2، مرجع سابق، ص333.

6 – نفسه.

أهل الريف في كل دوار أو قرية حتى قيل: إن التعليم الابتدائي أكثر انتشارًا في مدينة الجزائر وما جاورها في الكثير من البلاد الأوروبية[1].

ولفرض الانضباط على التلاميذ كان مؤدب الصبيان ملزم بتطبيق بعض العقوبات، وأخف أنواعها هو التأنيب بالكلام وأقساها تسليط (الفلاقة) عليه، فالمؤدب يؤنب الطفل بكلمات جافة أو ينهره بقوة، وقد يضربه على أصابع يده أو حتى على رأسه، وأغلب الأباء كانوا يرضون بتصرف المؤدب لأنه موضع ثقتهم ويوجهون اللوم إلى التلميذ[2]. وأشد درجة العقاب هي (الفلقة)، والتي كانت تستخدم في احكام الإمساك بقدمي التلميذ وضبطها في وضع خاص ليضرب بالعصى. إلا أن هذا النوع من العقاب الشديد لم يكن يستعمل إلا في الحالات الاستثنائية أو حالات المخالفات الكبيرة[3]، وهذه الحالات نادرة عندما يرتكب التلميذ خطأ مخالف للشريعة، مثل السرقة والتلفظ بالكلام الفاحش وغيرها من السلوكات المسيئة، لأن مؤدب الصبيان كلف بمهمة التعليم وتأديب وتربية الصبيان على السلوك الحسن، وهذه القسوة في المعاملة كانت بسبب هروب التلاميذ وانقطاعهم المؤقت أو الدائم عن التعليم[4].

كما أن استخدام العديد من هؤلاء المعلمين وسائل مختلفة لمكافأة المجد، كتقديم بعض الحلوى، أو إظهار الرضى وغيرها من الوسائل التشجيعية الأخرى[5].

ورغم أن الطريقة المتبعة في التعليم الابتدائي صارمة، إلا أن العلاقة بين التلميذ ومؤدب الصبيان قائمة على الاحترام. واحترام حفظة القرآن ورجال العلم هي عادة تميز بها المجتمع الجزائري، وكان الأباء يربون أبناءهم وينقلون إليهم هذه التقاليد، حتى وإن كان التلميذ مسؤولا، فهو ينظر إلى مؤدبه نظرة اجلال واحترام، فهو حسب التقاليد والده الروحي[6].

---

1 – ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني (1791 – 1830)، دار البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص390.

2 – أبو القاسم سعد الله، ج1، مرجع سابق، ص، ص340، 341.

3 – مصطفى زايد، مرجع سابق، ص120.

4 – أبو القاسم سعد الله، ج1، المرجع السابق، ص، ص340، 341.

5 – مصطفى زايد، المرجع السابق، ص120.

6 – أبو القاسم سعد الله، ج1، المرجع السابق، ص340.

المبحث الثاني: المدارس

المدارس وظيفتها تعليم مختلف العلوم الدينية وغير الدينية، وظهرت بعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية واتصل المسلمون بحضارات شعوب أخرى غير إسلامية، واحتكّوا بها، ودعت الحاجة إلى اقتباس علومها ومعارفها والاستفادة منها، ولم يكن باستطاعة المسجد وحده أن يقوم بهذا الدور، فاهتم المسلمون بإنشاء مثل هذه المدارس[1].

وظهرت بالمغرب العربي كما سبق وذكرنا ابتداء من القرن 7هـ/13م على يد المرينيين والزيانيين بعد إعلان هاتين الدولتين تمسكهما بالسنة والعقيدة الأشعرية في التوحيد فنبه رجال السياسة لأهمية التعليم المنظم حماية لهذه العقيدة الرسمية[2].

يفهم مما أوردته المصادر أن ظهور المدرسة في صورة مؤسسة ذات نظام تعليمي، تأخر في المغرب والأندلس كما تم في المشرق، حيث ظل الجامع والكتاب ومنزل المدرس موئلا للحياة التعليمية في مختلف مراحلها ومستوياتها، ثم تكثف بناء المدارس خاصة منذ وخلال القرن 8هـ/14م. ومع مجيء العثمانيين ظلت المدرسة تحتل مكانة مهمة وبارزة في تاريخ التعليم الإسلامي، وعلى غرار العهود التي سبقت العهد العثماني، فإن المدارس التي أنشأها الأشخاص ووقفوا الأموال والأملاك في سبيل إدامتها، وكان لها مدرّسوها ومعيدوها وطلابها الذين يتلقون من المدرسين دروسا وفق منهاج موضوع سلفًا[3].

1 – تعريف المدارس:

يعرّف أبو راس الناصري المدرسة بقوله: "المدرسة المتعارفة عندنا الآن وهي التي تبنى لدراسة العلم أي لتعليمه وتعلمه، كالمدرسة البوعنانية بفاس، ومدرسة ابني الإمام بتلمسان والمدرسة المستنصرية والباشية بتونس، والقشاشية في الجزائر والمحمدية بأم عسكر نسبة إلى بانيها أبي الفتوحات المنصور بالله سيدي محمد بن عثمان فاتح وهران"[4].

---

1 – يحيى بوعزيز، أوضاع المؤسسات الدينية...، مرجع سابق، ص12.

2 – عبد المجيد مزيان، "الأنظمة الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار"، مجلة الثقافة، السنة الخامسة عشر، العدد 90، صفر – ربيع الأول 1406هـ/نوفمبر – ديسمبر 1985م، ص41.

3 – عمر بلبشير، "مدارس العلم بغرب الجزائر في العهد العثماني، المدرسة المحمدية بمدينة معسكر نموذجا" المجلة التاريخية المغاربية، العهدان الحديث والمعاصر، السنة 43، العدد 164، جوان 2016، تونس، ص14.

4 – أبو راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف، رقم المخطوط 1632، المكتبة الوطنية، الحامة، ص91.

وجرت العادة أن تؤسس هذه المدارس بجوار المساجد، نظرا للصلة الوثيقة بين الدين والعلم، ولكن هذا ليس شرطا، غير أن كل مدرسة لا بد أن يؤسس داخلها بيت (مسجد) للصلاة وتنوعت العلوم والمعارف التي تدرس بها[1]. فهي مجموعة من الأبنية، وهي في الغالب بالقباب البديعة والنقوش الجميلة والزجاج الملون والأقواس الرائعة، بها حجرات واسعة لإيواء التلاميذ وتدريسهم، إن هذا النوع من المدارس كان منتشرا بكثرة قبل الاحتلال، إذ تدل بعض الإحصائيات على وجود 86 مدرسة بها ألف وثلاث مائة وخمسون تلميذ بقسنطينة، وخمسون مدرسة بتلمسان وهي غالبا تقوم بتدريس المرحلة الثانوية والعالية[2]، وتعتبر مشاتل حقيقية لتخريج الطلبة الذين يصبحون فيما بعد معلمين وفقهاء وعلماء، والمدارس لا توجد إلاّ ببعض المدن الرئيسية مثل: قسنطينة، الجزائر، بجاية، وهران تلمسان، وكانت بهذه المدارس غرف يسكنها الطلبة الغرباء[3].

2 – مدارس الجزائر خلال العهد العثماني:

1.2 – مدارس مدينة الجزائر:

تعتبرمدينة الجزائر عاصمة الدولة، ومن أهم حواضر بلاد المغرب، ولقد عرفت هذه الأخيرة تطورًا عمرانيًا، واشتهرت بعدة مباني كان من أهمها المدارس، ولقد اختلفت المصادر والدراسات حول تحديد عدد المدارس في مدينة الجزائر، لأن البعض منها يمزج بين الكتاب والمسيد والمدرسة، لكن المدرسة المقصود بها هي التي تدرس فيها المرحلة المتوسطة بعد الإبتدائي في الكتاب، ومن خلال المعطيات الواردة نجد اختلاف في تحديد عدد المدارس.

فحسب جيمس كارثكارت يبلغ عدد المدارس العمومية في الجزائر أربعا، وهي عبارة عن بنايات مربعة تحتوي على غرف يدرس الطلبة فيها القراءة والكتابة والحساب، والمعلمون عادة هم أئمة المساجد[4]. ذكر بيسونال أن مدينة الجزائر بها ثلاث معاهد كبيرة، وعدد لا يحصى من المدارس للأطفال الصغار[5]. ونفس الإحصاء قدمه لوراي

1 – يحيى بوعزيز، أوضاع المؤسسات الدينية...، مرجع سابق، ص13.

2 – محمد بن شوش، مرجع سابق، ص42.

3 – محمد بن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص59.

4 – جيمس كاثكارت، مرجع سابق، ص98.

5 - Peysonel et Desfontaines, op.cit, p. 453.

(Le Roy)، حيث ذكر ثلاث معاهد كبيرة أو مدارس شعبية، وعدد كبير من المدارس الصغيرة للأطفال الصغار، وهذا ما عرف بالمسيد أو الكتاتيب[1].

أما الدراسات المعاصرة حول الفترة الاستعمارية فقد أشارت إلى وضعية التعليم مع بداية الاحتلال، منها دراسة ايفون تورين، حيث بيّن الكتاب أن المدارس والمؤسسات الثقافية كانت منتشرة في كافة أنحاء الوطن، وأن مستوى التعليم العام في الجزائر لم يختلف عما كان عليه في المدارس الفرنسية، وأوردت في البحث أرقام وإشارات، ففي العاصمة المدارس 24 في المنطقة و 299 مدرسة و 5583 تلميذ[2].

وحسب الدراسة التي قامت بها تورين إيفون (Turin Yvonne)، أن كل القبائل وأحياء المدن كان فيها مدرس قبل الاحتلال الفرنسي. وحسب دوماس (Daumas) قدر بين 2 و 300 في الإيالة عدد المتمدرسين في المدارس في التعليم المتوسط و 6 و 800 الذين يدرسون مختلف العلوم[3].

الرحالة الألماني مورتيس فاغنز خلال زيارة قصيرة إلى الجزائر سنة 1835 يشير أن عدد المدارس قبل دخول الفرنسيين كان مرتفعا، فقد بلغ حوالي 100 مدرسة، لم يبق منها اليوم سوى النصف تقريبا، ويذكر مواد الدراسة، ويصف علاقة الأستاذ بطلابه والثقة التي تسود هذه العلاقة وبقاءها حتى بعد انتهاء الطالب من دراسته[4].

رغم أن الإحصائيات لا تعكس لنا صورة واضحة حول مدارس مدينة الجزائر، لأنها مزجت بين الكتاتيب والمدارس، لكن يمكننا أن نستنتج أهم مدارس مدينة الجزائر من خلال الدراسات التاريخية والمتمثلة في:

- **مدرسة القشاش:** التي اشتهرت بالجزائر وذكرها أبو راس في عجائب الأسفار، إذ شاهدها بالعاصمة عندما زارها لأول مرة في طريق رحلته إلى الحج سنة 1204هـ/ 1789م، اندثرت ولم يبق عند الاحتلال الفرنسي إلا مسجدها ذكر المؤرخ دوفو في تأليفه les édifices religieux أنه عثر على عقد حبس مؤرخ في أواخر القرن العاشر الهجري يذكر أحباس زاوية القشاش[5].

---

1 - M. Le Roy, op.cit, p. 13.

2 – بوعمران الشيخ، مرجع سابق، ص117.

3 - Turin Yvonne, Affronrements culturels dans l'Algérie coloniale, librairie François Maspero, Paris, 1971, p.127.

4 – أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830 – 1855)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص33.

5 – المهدي بوعبدلي، "مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ (2)"، مرجع سابق، ص93.

• **مدرسة أبي عنان أو المدرسة العنانية:** وهي التي هدمت وبني على أنقاضها الجامع الجديد الحنفي حوالي سنة 1070هـ/1660م.

والمدرسة الثالثة بالجزائر هي مدرسة الجامع الأعظم وكانت تشتمل على مسجد صغير من دون منارة وزاوية خاصة بالعلماء الفقراء، وهي تشتمل على طابقين بنيت أو جددت حوالي سنة 1039هـ/1629م[1].

أما الدور التعليمي للجامع الأعظم وزاويته، فكان من أبرز المظاهر التي تميز بها خلال العهد العثماني، ويذكر أن 19 أستاذًا، كان يشرف على التدريس، وقد وجدت بالجامع مكتبة كبيرة زاخرة بالكتب والمخطوطات لتغذية الجو التعليمي[2]. فلطالما كان المسجد الأعظم معهد للدراسة، إضافة إلى مدرسة ملحقة بالجامع التي توجد في زاوية الجامع[3].

الملاحظ من خلال ما ورد في الدراسات التاريخية أن مدارس مدينة الجزائر، إما تكون ملحقة بأحد المساجد أو الزوايا، فمثلا زاوية القشاش تأسست قرب جامع ملاصقة له يحمل اسم القشاش، لذلك أخذت نفس اسم الجامع، وكانت سنة التأسيس 1069هـ/1659م على يد علي محمد الشريف المعروف بابن جامع، وكانت هذه الزاوية كبيرة تحتوي على مجموعة من الغرف، حيث لعبت دور المأوى والمدرسة[4]. وانطلاقا من هذه المعلومات استنتجنا أن مدارس مدينة الجزائر التي صنفت على أساس أنها معاهد، هي التي كانت مؤسسات كبيرة الحجم، وبها مأوى للطلبة، وتابعة إما لمسجد أو زاوية لها مؤسسة وقفية، تقوم بتمويلها من عائداتها المالية مثل: مدرسة القشاش، الجامع الأعظم وكتشاوة، والبقية هي مدارس صغيرة للأطفال الصغار.

---

1 – المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص93.

2 – عبد الجليل التميمي، "من أجل كتابة تاريخ الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، المجلة التاريخية المغربية، السنة السابعة، العدد 19 – 20، أكتوبر 1980، تونس، ص159.

3 - Tall Shuval, La ville d'Alger vers la fin du XIII siècle, CNRS édition, Paris, 1998, p. 191.

4 – أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، القسم الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص83.

جامع القشاش الذي كان يسمى أيضا الجامع القديم، فكان يعتبر من أجمل جوامع مدينة الجزائر، وكانت تتبعه زاوية بنفس الاسم، اشتهرت خلال العهد العثماني بالعلم، كمدرسة عليا، وهي المدرسة التي تحدث عنها أبو راس وأشاد بها[1].

- **مدارس اليهود:** كانت توجد في معابد اليهود في مدينة الجزائر مدارس لتعليم أبنائهم، وكان يتولى مهمة تدريسهم الربانى، وينقسم التعليم إلى مرحلتين، يتعلم التلاميذ في المرحلة الأولى القراءة، أما في المرحلة الثانية يتلقون مبادئ الكتابة والحساب، وكان التلاميذ يتدربون عليها، بإعادة كتابة الكتب المقدسة والتاريخ، وكان التعليم يتم باللغة العبرية، وكان المدرسون يتقاضون أربعة موزونات في المرحلة الأولى من التعليم، وثماني موزونات في المرحلة الثانية، وهناك مدرسة خاصة بالتلاميذ المعوزين يتم فيها التدريس بالمجان. والملاحظ أن بعض الأسر اليهودية كانت ترسل أبناءها إلى الدول الأوروبية لتعليم اللغات، وعلوم التجارة، وكان التعليم مقصورا على الذكور فقط، أما الإناث فكن يتعلمن في مدارس خاصة الطرز والخياطة وطريقة كي الملابس[2].

2.2 – مدارس بجاية:

مدينة بجاية من أهم حواضر بلاد المغرب الإسلامي، حيث قال عنها التمغروطي: "بجاية مدينة عظيمة في القديم كانت دار علم، ومستقر العلماء والصالحين منهم الولي الصالح المتبرك به أبو مدين شعيب، ابن حسن الأنصاري..."[3]. تعتبر بجاية من أهم مراكز الثقافة في المغرب الأوسط، إذ هي محط رحال طلاب العلم ورجالات الكلام والفلسفة والتصوف وعلماء اللغة والآداب والصناعات المختلفة، فكان يأوي إليها المشتغلون بعلوم الأوائل، وأصحاب المذاهب الصوفية والعقول المستقلة، يجدون فيها متعة الإقامة وراحة العقل، مما يتيح لهم أن يتأملوا وأن يؤلفوا. وزاد من أهميتها أنها مرسى وثغر يمر بها الحجاج وطلاب العلم الذين يقصدون المشرق ويقيمون بها ويأخذون عن علمائها[4].

---

1 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص253.

2 – أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص335.

3 – أبي الحسن علي أبي عبد الله محمد الجزولي التمجروني، النفحة المسكية في السفارة التركية، تقديم وتعليق سليمان الصيد، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ص19.

4 – عمار طالبي، "الحياة العقلية في بجاية الفلسفة والكلام والتصوف"، مجلة الأصالة، العدد 19، ص153.

بجاية أيام الحفصيين كانت مزدهرة بالعلوم، ومن علمائها الذين ألقوا بها دروسا بمسجدها الأعظم ابن خلدون[1]، وكانت بها عدة معاهد واصلت التدريس ببجاية ثم بقراها المجاورة، خصوصا بعد احتلال الإسبان لبجاية[2]، فكانت معاهد العلم منتشرة في معظم قراها أي بوادي بجاية، وبني يعلى، العجيسي، زمورة، وكان مؤسسها علماء البلاد والأندلسيين، ولازالت كثير من الأسر العلمية تحتفظ بوثائق تثبت أصلها البجائي[3].

كما سبق وأن أشرنا في الفصل التمهيدي أنه كان من بين عوامل نمو الحركة التعليمية والثقافية في الجزائر هو الهجرة الأندلسية التي امتدت من القرن 10-2هـ/8-16م، واستمرت خلال العصور الحديثة 10 – 13هـ/6 – 19م، وكون أن بجاية كانت أهم محطة للجالية الأندلسية، فكان النشاط الثقافي والإشعاع العلمي استمرارًا للإسهام الفكري والإنتاج العلمي الأندلسي، وكانت في طليعة المراكز والمدارس الفكرية الأندلسية بالمغرب العربي مدرسة بجاية التي لعبت دورًا مهما في الحياة الثقافية[4].

الهجرة الأندلسية إلى بجاية صاحبت معها توافد أهم العلماء الاندلسيين، كانوا واسعي الثقافة، متنوعي الاختصاصات، فالعالم في المنطق له معرفة بمسائل الفقه، والمتضلع في الفنون الأدبية له مشاركة في التاريخ، والعارف بالرياضيات ومسائل الطب له اطلاع على العلوم الشرعية، والكتب والتراجم أحصت أكثر من خمسين عالما أندلسيا استقر نهائيا ببجاية واتخذها موطنا وأقام بها مدة قبل أن ينتقل إلى تونس أو المشرق[5]. هؤلاء العلماء ساهموا في بناء المدارس ونشر العلم والمعرفة وسط المجتمع البجائي، والمعروف عنهم أن معظمهم مارس مهنة التدريس، سواء في المدارس أو الزوايا أو المساجد، وكان لهم الدور البارز في تجديد طريقة التدريس، وتطوير أساليب تلقي المعلومات، وهذا ما سوف نتطرق إليه في مناهج التدريس.

---

1 – رابح بونار، "بجاية من خلال بعض الرحالة المسلمين"، مجلة الأصالة، العدد 19، ص، ص65، 66.

2 – المهدي بوعبدلي، "الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين الحفصية والتركية وآثارها"، مجلة الأصالة، العدد 19، ص147.

3 – المهدي بوعبدلي، "تراجم بعض مشاهير علماء زواوة"، مجلة الأصالة، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، السنة الثالثة، العدد 14 – 15، ماي، جوان، جويلية، أوت 1973، ص267.

4 – ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، مرجع سابق، ص97.

5 – نفسه، ص106.

3.2 – مدارس تلمسان:

كانت مدينة تلمسان عاصمة الدولة الزيانية، مركز إشعاع علمي، ومن أهم حواضر المغرب الأوسط، فقد وصفها العبدري: "تلمسان مدينة كبيرة سهلية جبلية، ولها جامع عجيب مليح متسع، وأما العلم فقد درس رسمه في أكثر البلاد، وغاصت أنهاره فازدحم على التمادي"[1].

لقد انتشرت المدارس في تلمسان قدر عددها 50 مدرسة أغلبها صغيرة، وكان يتردد عليها ما يقارب 2000 تلميذ و 800 طالب بالمدرستين مدرسة المسجد الكبير وابني الإمام[2]، هذا إضافة إلى 3 معاهد، لها نظام داخلي يحتوي التدريس في المرحلة الأولى على الكتابة والقراءة والنحو والحساب والقرآن، وفي المعاهد والمساجد يدرس الأدب والتاريخ والفقه والتوحيد[3].

علمًا أن مدارس تلمسان كان عددها خمسة مدارس في مرحلة سابقة، واستفادت من إصلاحات الباي محمد الكبير وذلك من أجل إعطاء نفس جديدة للتدريس بها[4]. فإن أول مدرسة بنيت في الجزائر هي مدرسة ابني الإمام، بلغ هذان العالمان شهرة في العالم الإسلامي، إذ كان من جملة تلامذتهما المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون، ولسان الدين بن الخطيب التلمساني، كما تخرّج عليهما جل علماء المغرب العربي في تلك الفترة، والذين واصلوا على دربهم في نشر العلم والثقافة. والمدرسة الثانية هي المدرسة التاشفنية التي تواصل نشاطها خلال العهد العثماني، وبقيت قائمة إلى سنة 1873م[5].

المدرسة الثالثة هي مدرسة العباب، والمدرسة الرابعة هي مدرسة الشيخ الحلوي، واندثار هذه المدرسة والزاوية كان في العهد العثماني[6]. والمدرسة الخامسة هي المدرسة اليعقوبية، وكانت المساجد الملحقة بالمدارس خاصة بالأساتذة وتلاميذ المدرسة، فمدينة تلمسان

---

1 – محمد العبدري البلنسي، الرحلة المغربية، تقديم سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007، ص28.

2 – الواليش فتيحة، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1993-1994، ص13.

3 – بوعمران الشيخ، مرجع سابق، ص117.

4 – الواليش فتيحة، المرجع السابق، ص168.

5 – المهدي بوعبدلي، "مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ (2)"، مرجع سابق، ص88.

6 – نفسه، ص90-91.

كان بها خمسة مدارس، فالرحالة الشهير[1] الوزان الفاسي المشهور بليون الإفريقي قال أنه وجد بتلمسان خمس مدارس عندما زارها في أوائل القرن العاشر الهجري.

مدارس مدينة تلمسان استفادت من إصلاحات الباي محمد الكبير العمرانية والثقافية، وإليه يعود الفضل في إعادة الحياة لبعض مدارس تلمسان[2]، وبعث الحركة التعليمية من جديد بعد تراجع نشاطها خلال العهد العثماني، نتيجة الأوضاع السياسية، وعدم اهتمام الحكام العثمانيين بالحركة التعليمية، والسبب في بعض الأحيان يرجع إلى نقص عائدات الأوقاف التي كانت تنفق على هذه المدارس واندثار البعض منها.

4.2 – مدارس قسنطينة:

كانت قسنطينة في عهد الأتراك، عاصمة دينية وكان العلماء يتمتعون بالسيادة المطلقة والنفوذ التام. كما أنها كانت غاصة بعدد كبير من الطلبة يغترفون من خمسة وعشرين مدرسة للعلوم الدنيوية والأخروية، ثم يتفرقون في أنحاء القطر لينشروا ما اغترفوه من العلوم. لقد كانت قسنطينة مبعث نور الجزائرحقا ، كما كانت تشرف العلماء وتقدرهم حق قدرهم[3]. وقال عنها الورتلاني: "لا تخلو عن العلم غير أن تدريسه فيها إنما يكون في بعض الأوقات كالشتاء وأول الربيع، أما سائر الأوقات فليس فيها العلم الغزير ولا انعدامه رأسا، فليس يفقد جمله ولا يستمر كله، فولاتها لم يشغلوا ببناء المدارس ولا بكثرة الأوقاف والأحباس، لما علمت أنها ضيقة وملكها ليس كملك تونس... وهذه المدينة غير خالية من العلماء ولا من الفضلاء والصلحاء"[4]. مدينة قسنطينة كان بها المدارس 80، المعاهد 07، ففي المنطقة 300 مدرسة وزاوية، وبعد الاحتلال بقيت 30 مدرسة[5].

أهم مدارس قسنطينة مدرسة سيدي لخضر، وهي مدرسة عمومية لتدريس اللغة العربية، أسسها صالح باي الذي عمل عند وصوله إلى الحكم على إنشاء عدة معاهد، وضاعف عدد المدارس الابتدائية[6]، وهذه المدرسة ملحقة بالجامع الأخضر، أسسها سنة 1789. كما

1 – المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص، ص89، 90.

2 – عمر بلبشير، مرجع سابق، ص18.

3 – محمد بن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص52.

4 – حسين بن محمد الورتلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ط1، المجلد 2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006، ص، ص791، 792.

5 – بوعمران الشيخ، مرجع سابق، ص117.

6 - A. Cherbonneau, Inscription Arabe de la medersa de Sidi – Akdar à constantine, in R.A., 3ème année, n°34, 1858, p. 469.

كان من مآثره العمرانية إنشاءه لحي سيدي الكتاني، وقد بادر في تجميل الحي الذي أنشأ به مسجدا ومدرسة سنة 1775م[1]. وتعتبر من المعاهد العليا وهي ملحقة بالمسجد[2].

مدرسة جامع سوق الغزل، فقد ذكر أحمد بن المبارك بن العطار في كتابه تاريخ قسنطينة، الشيخ فتح الله ولد بالشام ثم انتقل إلى مصر ومنها إلى الجزائر ثم إلى قسنطينة، قبل دولة صالح باي، وصار يدرس العلم بها، الفقه والحديث وعلم العربية، علم الفلك، وكانت بيده مدرسة جامع سوق الغزل يدرس بها العلم إلى أن توفي رحمه الله[3]. ومدرسة ابن القنفد، التي درس بها محمد بن محمد الزواوي ولد ببجاية وعاش في قسنطينة[4].

5.2 – مدارس معسكر:

بلغت معسكر أوج عظمتها، وعرفت أزهى أيامها تحت حكم الباي محمد الكبير الذي مكث بها من 1779 إلى 1792م، وأقام بها المدارس والمساجد وشيد بها المرافق العامة فقصدها العلماء وتقاطر عليها الطلبة للدراسة في معاهدها العليا والتتلمذ على يد أساتذتها[5]. فقد حفلت معسكر بنخبة من أدباء وعلماء القرن الثامن عشر، الذين توافدوا عليها من الأقاليم المختلفة أو الذين تخرجوا من مدارسها الرسمية أو درسوا بها[6].

ومن أهم مدارس معسكر المدرسة المحمدية سميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها الباي محمد بن عثمان الكبير، ويشير في هذا أبو راس الناصري إلى أن "المدرسة المحمدية بأم عسكر نسبة إلى بانيها أبى الفتوحات المنصور بالله سيدي محمد بن عثمان فاتح وهران[7]، هذه المدرسة التي كاد العلم أن ينفجر من جوانبها، وحبس عليه خزانة كتب هي البيت التي بناها لأجلها[8]. فقد ألحقت المدرسة بمكتبة كبيرة وزودت بقاعات المطالعة وحبست لها الكتب خدمة للطلبة والأساتذة.

---

1 – ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثمانية ، المؤسسة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1988 ، ص ص 64-66.

2 - Ernest Mercier, Histoire de constantine, J. Marle et F. Biron Inprimeur, éditeur 1903, p. 292.

3 – أحمد بن المبارك بن العطار، تاريخ قسنطينة (1790 – 1870)، تحقيق عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر، قسنطينة 2011، ص، ص144، 145.

4 – عادل نويهض، مرجع سابق، ص، ص363، 364.

5 – ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص248.

6 – نفسه، ص، ص249، 250.

7 – أبو راس الناصر، مصدر سابق، ص91.

8 – أحمد بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي بوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2013، ص136.

كان للباي محمد الكبير أيادي بيضاء في تشجيع الثقافة وبعثها من جديد، من خلال إنشاء المدرسة المحمدية التي كانت مجهزة بكافة الوسائل التعليمية والتثقفية، كما عمل على تعليم الأساتذة الأكفاء بها ليتفرغوا لمهمة التعليم لا غير. وبالتالي ظلت المدرسة عبارة عن معهد يظم الآلاف من الطلبة والتلاميذ الذين سارعوا إلى الإقبال على العلم بلهف شديد[1].

وكانت إدارة المدرسة تديرها هيئة مشرفة من العلماء تتكون من ثلاث شخصيات من كبار علماء المنطقة وهم: محمد بن عبد الله الجيلالي: مديرها وهو من كبار علماء معسكر نشأ بين علم يقتبسه وأدب يلتمسه، ثم رحل إلى فاس والتقى بعلمائها الأكابر واستفاد منهم، وشهد له أكابرهم، ولما عاد إلى الوطن دأب على التدريس، وقد برع في علوم عدة منها: الفقه، الحديث، التوحيد والأصلين، إضافة إلى اللغة العربية وعلومها[2]. كما كان الشيخ محمد المصطفى بن عبد الله بن زرفة الدحاوي من علماء وشرفاء غريس، عضو هيئة التدريس بالمدرسة المحمدية، والشيخ محمد بن الطاهر بن عبد القادر بن محمد المعروف بابن حوا أحد المشرفين والمدرسين فيها[3]. وكان من أشهر من تولى مهمة التدريس العلامة أبوراس الناصر المعسكري، حيث كثر الطلب حوله متلهفين للأخذ من علمه، وفي هذا يشير أبى راس "وقد اجتمع عندي في بعض السنين سبعمائة وثمانين طالبا. ولاتساع شهرته خصص له كرسي للتدريس على طريقة كبار العلماء، فخصص لتدريس الفقه شرحا للخرشي على مختصر سيدي خليل وتدريس النحو على ألفية ابن مالك[4].

وقد اشتهرت مدرسة معسكر (المحمدية) بتدريس العلوم الدينية، حيث أن الطلبة كانوا يتحملون المشاق قادمين إليها من جبال الظهرة والونشريس، ندرومة، ووجدة،

1 – صالح فركوس، "الباي محمد الكبير وبعث الحركة الثقافية ببايلك الغرب الجزائري"، مجلة الثقافة، العدد 71، السنة الثانية عشر، ذو القعدة – ذو الحجة 1402هـ/سبتمبر – أكتوبر 1982، ص90.

2 – عمر بلبشير، مرجع سابق، ص، ص24، 25.

3 – محمد بن الطاهر بن عبد القادر بن محمد (ابن حوا): من كبار علماء غريس، عالم أديب وشاعر، ينتمي إلى أسرة علمية توارث أفرادها العلم قرونا، تولى منصب قاضي قضاة معسكر وكان أحد المشرفين والمدرسين في المدرسة المحمدية... انظر: عمر بلبشير، نفسه، ص26.

4 – عمر بلبشير، المرجع السابق، ص27.

المدية، تيهرت، البليدة وغيرها، وكان جلهم من الأوساط الفقيرة[1]، وقد كان التعليم بالمدرسة المحمدية قد بلغ درجة عالية، تجسدت نتائجه العلمية في ثقافة السكان واستنارتهم[2].

وأهم العلوم التي كانت تدرس بالمدرسة الفقه المالكي وفروعه، علم التوحيد إلى جانب علوم اللغة العربية، علم الأصول، علم الحديث. كما أن بعض المدرسين في المدرسة المحمدية قد تطرقوا في مجالسهم لبعض العلوم العقلية، كالحساب والفرائض والفلك بغرض معرفة الفرائض وقسمة التركات بين الورثة والمسائل التجارية، أما الفلك فكانت دراسته بهدف التعرف على مواقيت الصلاة وتحديد الشهور[3].

لقد اعتبرت المدرسة المحمدية من مصاف المعاهد العليا التي عرفتها الإيالة الجزائرية خلال العهد العثماني، مثلها مثل المدرسة الكتانية في قسنطينة، والمدرسة القشاشية في الجزائر العاصمة، غير أن مكانتها العلمية وسمعتها الواسعة فاقت المدرستين الأخيرتين لمكانة علمائها. وبذلك تكون قد ساهمت مساهمة فعالة في صناعة الفعل الثقافي وتثمين الحياة العلمية زمن أبي راس الناصر كما قدم علماء وفقهاء هذه المدرسة جهودا وعطاءات فكرية وعلمية معتبرة خلدت تاريخ المنطقة وتاريخهم[4]. فضلا عن ذلك فقد أدت هذه المؤسسات التعليمية إلى تكوين عدد كبير من الأطر الفقهية والإدارية في رحاب بايلك الغرب، بل للقطر الجزائري عامة[5].

6.2 – مدرسة مازونة:

هذه المدرسة من مآثر الباي الفاتح محمد الكبير خلّد فيها صفحة من صفحات الجهاد، أسسها جزاء لرئيس معهد مازونة الشيخ محمد بن أبو طالب الذي شارك في حرب وهران سنة 1209هـ/1791م، على رأس مائتي طالب من تلاميذ المعهد وابنيه. بنى الباي هذه المدرسة وحبس عليها أحباسا هامة وكتبا، مازالت المدرسة تحتفظ بجزء صحيح مسلم عليه نص التحبيس[6].

---

1 – محمد بن شوش، مرجع سابق، ص82.

2 – صالح فركوس، مرجع سابق، ص17.

3 – عمر بلبشير، المرجع السابق، ص، ص28، 29، 30.

4 – نفسه، ص30.

5 – نفسه، ص24.

6 – المهدي بوعبدلي، مراكز الثقافة...، مرجع سابق، ص، ص94، 95.

ولقد كانت مدينة مازونة مقر المدرسة وملتقى العلماء ومقر مبادرات فكرية وسياسية استقطبت الطلبة ودرس بها علماء بارزون منهم أبو راس الناصري حيث يقول: "ولما ذكر لي طلبة مازونة وكثرة مجالسها ونجابة طلبتها وقريحة أشياخها، وكنت أقرأ في النهار وأسول في الليل، فلقيت في المشي على صغري مشقة، لكن ذلك شأن أهل السفر للعلم، ثم انصرفت من مازونة بعد ثلاث سنوات وتمكنت من معرفة وإتقان الفقه"[1].

اشتهرت مدرسة مازونة في عهدها الأخير بأنها تخصصت لدراسة الفقه المالكي، فكانت علوم الفقه من ميزة إنتاج مازونة الفكري وصيغت ثقافتها، مثل أعمال كل من أبي عمران المازوني صاحب "الدرر المكنونة" وابنه يحيى بن موسى المغيلي المازوني صاحب "الدرر المكنونة في نوازل مازونة"[2]. وحتى المدرسة المعاصرة ذكرت هذه المدرسة، حيث قالت تورين ايفون في دراستها أن مازونة بها معهد للدراسات الفقهية مشهور يأتيه الطلبة من عدة جهات[3].

وكان يقصد هذه المدرسة علاوة على طلبة الجزائر، طلبة المغرب الذين كانت شهادة مدرسة مازونة معتبرة عندهم، وبقي هذا الاعتبار ساري المفعول حتى في عهد الحماية، حيث كانت السلطات المغربية تعين المجازين من مازونة في وظائف العدالة والقضاء، إلى أن توقفت الدراسة بها سنة 1940[4]. لقد اكتسبت هذه المدرسة شهرة مغاربية، وأدت دورًا هاما في الإشعاع الثقافي، وتطوير الحركة التعليمية في الجزائر.

ولقد عرف بايلك الغرب حركة علمية وثقافية من خلال نشاط المدارس، منها مدينة وهران خاصة بعد أن أصبحت عاصمة بايلك الغرب، وقد ساهم الباي محمد الكبير في تطور الحياة الثقافية في المدينة، فشجع العلماء على مواصلة نشاطهم العلمي، وبنى المدارس، واعتنى بطلبة العلم[5]. فقد ظلت مدينة وهران طيلة الاحتلال الإسباني لها تعيش في عزلة وفراغ ثقافي، لأن الإسبان عمل على طمس معالمها العلمية والثقافية. وبعد أن

---

1 – محمد بن شوش، مرجع سابق، ص11.

2 – الواليش فتيحة، مرجع سابق، ص168.

3 – بوعمران الشيخ، مرجع سابق، ص117.

4 – المهدي بوعبدلي، مراكز الثقافة...، المرجع السابق، ص، ص94، 95.

5 – عبد القادر بلغيث، الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة وهران، 2013-2014، ص146.

عادت وهران إلى حظيرة الوطن، اتخذها الباي عاصمة لبايلكه وأخذ في تشييد المدارس والمساجد التي لعبت دورًا كبيرًا في التعليم[1].

ولم تكن مدينتي مستغانم وندرومة تضما مدارساً هامة، لكن لعبت المساجد وملاحقها دورًا هاما في الحياة الثقافية، حيث أن التعليم بمدينة ندرومة حظي دائما بمكانة هامة في الثقافة المحلية، كما شكلت المدينة العاصمة الدينية بعد تلمسان على مستوى بايلك الغرب، ولعبت المؤسسات الثقافية لمدينة مستغانم دورًا هاما في تنشيط الحياة الثقافية، وتجاوز دور مدرسة معسكر الثقافي حدود المدينة، حيث ساهمت في تكوين عدد هام من الطلاب والعلماء[2]، وسدا للنقص القائم في المؤسسات التعليمية

وكانت مدينة وهران من المدن العلمية التي يقصدها الطلبة لدراسة العلوم الدينية، ومن المدارس التي كانت متخصصة في ذلك، مدرسة ختف النطاح التي أسسها الباي محمد الكبير، وكان أغلب طلبتها يأتون من البادية أو من المدن المجاورة، وكانوا يقيمون في فنادق خاصة بهم. وكانت حياة الطلبة العادية في عهد الباي محمد الكبير جيدة وأحسن بكثير مقارنة مع بقية البايات الآخرين الذين حكموا وهران وذلك لاهتمامه بالحياة الثقافية والعلمية[3].

كما لم تخلو صحراء الجزائر من المدارس، فقد قال الدرعي في رحلته: "مررنا بأولاد جلال من أكبر قرى الزاب وهي قرية جامعة، فيها مدرسة للطلبة المهاجرين، وهم يسمون الغرباء مهاجرين"[4]. كما كانت مدرسة توات سنة 1810 حاملة لراية العلم في الصحراء الواسعة، فقد بلغ عدد الطلبة بها 400 طالب، ولما توفره من تسهيلات للطلبة من إقامة وإطعام، قصدها الطلبة لشهرتها من الواحات المجاورة والساورة، كما قصدها كذلك طلبة من الدول الإفريقية أهمها دولة المالي[5].

---

1 – صالح فركوس، مرجع سابق، ص18.

2 – الواليش فتيحة، مرجع سابق، ص169.

3 – عبد القادر بلغيث، مرجع سابق، ص155.

4 – أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية (1709 – 1710)، تحقيق وتقديم: عبد الحفيظ ملوكي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2011، ص138.

5 – محمد بن شوش، مرجع سابق، ص12.

المبحث الثالث: المكتبات

اشتهرت الخزائن بالكتب في الجزائر، واعتبرت المكتبات من أهم المؤسسات الثقافية تتوفر على أمهات الكتب في مختلف العلوم، استفاد منها كل من المدرسين والطلبة على اعتبار أن الكتاب وسيلة ضرورية في العملية التعليمية، ففي بعض العلوم يجب الرجوع إلى مصدر المعلومة، خاصة العلوم الدينية (تفسير القرآن، الحديث) التي تتطلب السند الصحيح. فقد وصف بعض الرحالة الذين زاروا الجزائر هذه المكتبات كعبد الرحمن الجامعي الفاسي عندما زارها حوالي سنة 1120هـ/1708م وابن زاكور الفاسي في أواخر القرن الحادي عشر، والزياني (1147 – 1249هـ/1735 – 1834م) الذي اطلع بنفسه عندما زار تلمسان وأقام بها مدة واطلع على عدة كتب من ضمنها "تاريخ سليمان بن إسحاق المطماطي وتاريخ هاني بن يصدور القوصي، وتاريخ كهلان بن أبي لؤي الأوروبي في أنساب البربر وأيامهم في الجاهلية والإسلام لأنهم كانوا نسابة البربر"[1].

ويمكن تقسيم المكتبات في الجزائر خلال العهد العثماني إلى أنواع، فمنها من جمعها ملوك وحكام مثل ما فعل بعض ملوك بنو زيان، ومنها ما يعتبر مرفقًا تابعًا إلى مسجد أو زاوية، ومنها من قام بجمعها علماء أو فقهاء من باب حب الاطلاع أو قاموا بتدريسها للطلبة، فكانت الجزائر غنية بكتب المشرق الإسلامي والمغرب والأندلس.

1- المكتبات العامة:

المكتبة المحمدية: الباي محمد الكبير بعد بناء المسجد والمدرسة ألحقت بهما مكتبة كبيرة تعرف "بمكتبة المحمدية" وزودت هذه المدرسة بقاعات المطالعة لطلاب العلم، وحبست لها الكتب خدمة للطلبة والأساتذة، حيث كان الباي حريصا على جمع نفائس الكتب ويبذل من أجل ذلك الأموال الطائلة للحصول على الكتب النادرة. كما كان يطلب من الخطاطين المهرة بإعادة نسخها وكثيرا ما كان يأمر بقراءتها بحضرته في مجالسه، وفي هذا يشير ابن هطال التلمساني: "وكان لا يكتفي بالمخطوطة الواحدة في خزانته، بل كان يأمر بنسخ عدة منها..." [2].

---

1 – المهدي بوعبدلي، مراكز الثقافة...، مرجع سابق، ص102.

2 – عمر بلبشير، مرجع سابق، ص22.

كما عرف الباي كذلك بتشجيعه لحركة التأليف، فكم من تأليف نشأ بأمره، فمنها أنه أمر بعض الطلبة سالفا بجمع فتاوى العلماء في جوائز الملوك، كما طلب من ابن سحنون الراشدي جمع طب (القاموس) فضممته وزاد عليها من كلام الأطباء، فكان تأليفا بديعا حسن الترتيب، ومقابل هذا العمل منحه خمسين سلطانيا.

فكان الباي محمد الكبير يشجع الطلبة والعلماء على التأليف من خلال منحهم مكافأة مالية معتبرة. ومن شدة محبته للعلم والأدب كان يشتري كتبه بالثمن البالغ ويستكثر منها ويقوم بنسخ الكتب التي لم يسمح مالكها ببيعها وكثيرا ما يأمر بقراءتها بحضرته في مجلس حكمه[1].

كما كان يحث العلماء والكتاب على التأليف في التاريخ، فمثلا عندما كان يحاصر مدينة وهران أمر أحد الكتاب وهو المصطفى بن عبد الله بن زرفة بتدوين الأحداث التاريخية في مؤلفه "الرحلة القمرية في الأخبار المحمدية". كما نجد الكثير من العلماء والكتاب من أرّخ لمدينة وهران وللأمم التي تداولتها الأحداث التاريخية التي وقعت بها. وكذا لتاريخ بعض الدول الأخرى، كتاريخ الدولة الفاطمية بالجزائر والمغرب الأقصى وطرابلس وغيرهما. وهناك من يعتني بنسب بعض القبائل والتأريخ لها، وبنسب البربر ومساكنهم والتعريف بزعمائهم وملوكهم والدور الذي قاموا به عبر التاريخ إلى غاية سقوط دولهم وإماراتهم[2].

خزانة أسرة المقري: المتحدث عنه في هذه الدراسة في ترجمة أسرته الذين اشتهروا بتأسيسهم لأول شركة تجارية قال: "فخرجت أموالهم عن الحد وكادت تفوت الحصر والعد... ولما درج هؤلاء الأشياخ جعل أبناؤهم ينفقون ما تركوا لهم، ولم يقوموا بأمر التثمير... فها أنا ذا لم أدرك من ذلك إلا أثر نعمة اتخذنا فصوله عيشا، وأصوله حرمة، ومن جملة ذلك خزانة كثيرة من الكتب"[3].

خزانة آل الفكون: وهي أسرة من قسنطينة اشتهرت بالعلم، واعتبرت من البيوتات العلمية التي أنجبت عدة علماء، وكانت لها مدرسة تدرس فيها العلوم الدينية، منهم عبد الرحمن الفكون (الجد)، كان معتكفا على الإقراء والتدريس، ومحمد الفكون (الوالد). كان فقيها

1 – أحمد بن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص، ص154، 155.

2 – صالح فركوس، مرجع سابق، ص، ص22، 23.

3 – المهدي بوعبدلي، مراكز الثقافة...، مرجع سابق، ص103.

صوفيا، وكان لهذه الأسرة كتب عديدة أشهرها كتاب " منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية" لعبد الكريم الفكون[1].

مكتبة الجامع الأعظم: اشتهرت في الجزائر مكتبة الجامع الأعظم التي ذكرها ابن المفتي في التقاييد "مكتبة الجامع الأعظم بمدينة الجزائر التي نقلت كتبها إلى برج مولاي حسن خارج باب الجديد أعلى المدينة، وذلك أيام تعرض المدينة للقنبلة من طرف الفرنسيين سنة 1682م. وذكر ابن المفتي أن هذه المكتبة الضخمة قد تقاسمتها الأيدي فيما بعد، ولم يبق فيها على عهده سوى ثلاثمائة كتاب فقط" وقال كذلك "رفعوا كتب الجامع الكبير ونقلوها إلى برج مولاي حسن خارج باب الجديد أعلى المدينة، نقلوها على الإبل ثلاثة أيام وأما عدة الإبل لا أدري كان اثنين أو أكثر كذا أخبرني شيخنا سيدي محمد العنابي"[2].

فقد وجدت بالجامع الأعظم مكتبة كبيرة زاخرة بالكتب والمخطوطات لتغذية الجو التعليمي، ويذكر المدرس ابن العنابي أنه تم تحويلها كما سبق ذكره، فهذه المكتبة من شأنها أن تعطي بعدا مهما لازدواجية دور الجامع الأعظم الديني والتعليمي ثم السياسي خلال الفترة العثمانية. أما الخزانة العامة الدولية فكان مقرها بالجامع الجديد الحنفي مركز شيخ الإسلام الحنفي[3]. ونجد في بعض الوثائق التاريخية قائمة بعض الكتب اشتراها ناظر أحباس الجامع المالكي الشيخ سعيد قدورة من ربع الحبس الفاضل على مصاريف المسجد، ومن بين هذه الكتب "شرح الإمام العيني لصحيح البخاري" في ثلاثة أسفار اشتراه بألف دينار واحدة وأربعمائة دينار[4].

والنسخة المشهورة بالخروبية في عشرين جزءًا مكتوبة في الرق "سبعمائة دينار"، وهذه النسخة كان يملكها العلامة محمد بن علي الخروبي إمام الجامع المالكي. وقد كتب عليها بخطه نقلها من نسخة قديمة كانت من أملاك المسجد يرجع عهدها إلى أوائل القرن الخامس، أي عليها خط وإجازة محمد بن أحمد بن محمد الهروي إمام الرواة، ومن عليه المدار في زاوية البخاري (355 – 435هـ).

---

1 – عبد الكريم الفكون، مصدر سابق، ص، ص51، 52.

2 – حسين بن رجب شاوش بن المفتي، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمعها: فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ص–ص29-99.

3 – عبد الجليل التميمي، مرجع سابق، ص159.

4 – المهدي بوعبدلي، مراكز الثقافة...، مرجع سابق، ص103.

كان مجموع ما أنفقه ناظر الأحباس في شراء كتب أسرة الخروبي والذي يلفت النظر هنا هو قيمة الكتاب إذ ذاك والاهتمام به[1].

2- المكتبات الخاصة:

خزانة المؤرخ أبي راس الناصر: محمد عبد القادر المعسكري (1165 – 1238هـ/1751 – 1823م): من أشهر المدرسين في معسكر، كان يدرّس الفقه مع غيره من الفنون، وكان صديق الباي مصطفى المنزالي الذي أسس له مكتبة حافلة تحتوي على ثلاثة آلاف مجلد، وبها غرفة للمطالعة تدعى بيت المذاهب الأربعة، انقطع فيها للمطالعة والتأليف وتدريس العلم[2]. والتي قال عنها في رحلته "ثم إني أختم هذا الباب الإبداع بما مدحت به مصريتنا التي هي بيت المذاهب الأربعة، وهذا مكتوبة في بيت كتبنا في بهوها بخط بعض تلامذتنا:

فَلِلَّهِ قبه يعــز نظيــرهــا ★★★ وبهوها قد حاز المباهي مباهيــا
تقول لمن يأتي لها متنزها ★★★ تأمل جمالي تستفد شرح حاليــا
بنيت لخدمة العلوم وبثهــا ★★★ لمن يروح تحوي ومن هو غاديا[3]

محمد بن علي الجزائري: (1080هـ/1669م): المعروف بأقوجيل حافظ للحديث، من فقهاء المالكية، من آثاره "عقد الجمان اللامع من قعر البحر الجامع"، منظومة نظم بها أسماء مخرجي أحاديث الجامع الصحيح للبخاري، وعدد الأحاديث لكل منهم مخطوط، ومخطوطه في دار الكتب بالقاهرة[4].

محمد بن علي الخروبي: (963هـ/1555م): صدر علماء الجزائر في بداية العهد التركي، كان متمكنا من العلوم الشرعية أديبا بليغ القلم واللسان خطبًا. وكان صاحب عناية تامة بجمع الكتب النفيسة واقتنائها حتى أصبحت مكتبته العامرة مضرب الأمثال بين العلماء[5].

محمد بن علي الطرابلسي (أو السفاقسي) الجزائري أبو عبد الله: فقيه الجزائر في عصره، مفسر محدث من كبار العلماء، ولد في قرية قرقاش من قرى طرابلس الغرب

---

1 – المهدي بوعبدلي، مراكز الثقافة...، مرجع سابق، ص، ص103، 104.

2 – عبد المنعم القاسمي الحسني، مرجع سابق، ص، ص322، 323.

3 – المهدي بوعبدلي، مراكز الثقافة...، المرجع السابق، ص104.

4 – عادل نويهض، مرجع سابق، ص111.

5 – عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص337.

ونشأ بالجزائر وولي الخطابة بها، مات بالجزائر العاصمة وخلف خزانة من كتب العلم "رسالة ذوي الإفلاس إلى خواص أهل فاس"، "تفسير القرآن"[1].

خزانة الشيخ عبد القادر بن يسعد البرذعي: دفين قرية الدب قرب قلعة هوارة (غليزان)، كان من علماء القرن 10هـ/15م فتخرج من مجاجة على الشيخ محمد بن علي شيخ سعيد قدورة. كان هذا العالم يستكتب اللاجئين الأندلسيين للنسخ، وقد أسس هذه الخزانة وشحنها بأمهات الكتب، وقد بقيت هذه الخزانة رغم وجودها في بادية منقطعة محتفظة ببعض كتب نسخها اللاجئون الأندلسيون، ومن أهم ما كانت تحتفظ به هذه المكتبة وعثر عليها كتاب "الدرر المكنونة في نوازل مازونة"[2].

مكتبة الشيخ سعيد قدورة: كما اشتهرت مكتبة سعيد قدورة إلى أن بيعت منذ أربعين سنة، وما زالت بعض الكتب من عهد جامعها ومؤسسها قرئت عليه، وكذلك بعض مؤلفات ابن أبي محلى كان أهداها له عند اجتماعه به وتداخله في الخلاف الذي كان بينه وبين الشيخ عبد القادر بن محمد بن سليمان بن سماحة المشهور بالشيخ، مؤسس أسرة أبناء سيدي الشيخ المشهورين بثورة 1864م[3].

خزانة الباي محمد المصطفى بن زرفة الدحاوي: صاحب "الرحلة القمرية في الأخبار المحمدية" التي سجل فيها حرب وهران، قال متحدثا عن الباي محمد بن عثمان المذكور: "فكان من سابغ فضله أن زودني من خزائن كتبه عمرها الله تعالى بطول عمره ودوام منصبه ما استظهر به عليه ما أنا بصدده، فكان كالدليل المعين عن السفر..." [4].

محمد بن محمد المديوني (ابن مريم): من رجال القرن 11هـ/16م، تلقى تعليمه بمدارس تلمسان وأخذ عن أبيه مبادئ اللغة العربية والفقه، اشتغل بالتدريس خلفا لوالده عام 985هـ/ 1577م. كان كثير المطالعة للكتب، ترك عند وفاته مكتبة تضم أكثر من 600 كتاب، وله نحو ثلاثة عشر تأليفا بتلمسان، ظل مواظبا على التدريس مهتما بالتأليف حتى وافته المنية حوالي 1020هـ/1605م[5].

---

1 – عادل نويهض، مرجع سابق، ص132.

2 – المهدي بوعبدلي، مراكز الثقافة...، مرجع سابق، ص، ص104، 105.

3 – نفسه، ص105.

4 – نفسه، ص104.

5 – عبد المنعم القاسمي الحسني، مرجع سابق، ص، ص367، 368.

محمد بن عبد الله الزحاي (13هـ/18م): من أبرز علماء تلمسان، كان معاصرا للباي محمد الكبير، اشتهر بالنساخة وحسن الخط، كان ينسخ الكتب لنفسه، واشتهرت مكتبته التي كانت تحتوي أحمالا من المجلدات والأسفار والتي تبعثرت أثناء حروب درقاوة وثورة ابن الأحرش، ألف كتب في التصوف والتفسير والنحو[1].

مكتبات بجاية:

بجاية أصيبت بالاحتلال الإسباني الذي اشتهر بأنه كان أشد خطرًا على الكتب العربية من المغول والتتار والصليبيين الأولين، وقد عرفنا مصير الكتب بتونس بعد سقوط غرناطة، كما ذكر ذلك بتفصيل صاحب المؤنس، وكتب الله النجاة لبعض كتب بجاية بفضل اللاجئين الأندلسيين الذين أسسوا المعاهد بوادي بجاية وبني يعلى وتمقرا فأنقذوا الكثير منها، كما أنقذت مؤلفات عبد الحق الإشبيلي ومنها ديوانه الذي ذكره صاحب عنوان الدراية وكان مفقودا بعد ذلك، فقد احتفظت به خزانة القرويين العامرة، كما احتفظت بجل تآليفه إلا "العاقبة"، فإنها بقيت ببجاية إلا أن اشتراها المرحوم الشيخ أبو الجبال مفتي بجاية وهي الآن في المكتبة الوطنية ضمن كتبه.

الشيخ أحمد التجاني: مؤسس الطريقة التجانية في عين ماضي (جنوب الجزائر) كان من بين أملاكه مكتبة كبيرة[2].

المكتبات العامة والخاصة هي التي كانت تضم أشتات المخطوطات في مختلف فنون الوقت، كما كان يرتادها الطلبة والأساتذة من جميع النواحي للمطالعة فيها لاسيما المكتبات العامة التي كانت وقفًا وحبسا على المساجد والزوايا والمدارس. وكانت موزعة على القطر الجزائري حسب أهمية الأماكن من حيث الثقافة والاعتناء بتدريس العلوم، لاسيما أهم حواضر الجزائر، مثل الجزائر العاصمة[3]، وتلمسان ومازونة وندرومة، وفيما بعد مستغانم، حيث ضمت أكثر من 20 مكتبة، وإضافة إلى المكتبة الهامة التي أوقفها الباي محمد الكبير على المدرسة المحمدية التي سبق ذكرها، واشتهرت مكتبة مازونة بمخطوطاتها[4].

---

1 – عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص329.

2 – أبو القاسم سعد الله، مجموع رحلات – رحلة الأغزاطي الحاج ابن الدين، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص، ص88، 89.

3 – محمد بن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص61.

4 – الواليش فتيحة، مرجع سابق، ص170.

أما قسنطينة فقال عنها بول قافاريل Paul Gaffarel: "... وكان أهل قسنطينة مولعين باقتناء الكتب والبحث عن نفائس المخطوطات أين وجدت، وقد وجدت فرنسا عند دخولها لمدينة قسنطينة 17 مكتبة خاصة تحتوي على 14000 من المجلدات..."[1].

الحاجة إلى الكتب دعت المجتمعات إلى الاهتمام به والمجتمعات الإسلامية منذ نشأتها شعرت بهذه الحاجة، فاتجه الناس يساهمون في صنع الكتاب ونشره، حتى تكونت لديهم على مر العصور مكتبات ضخمة، حوت كتبا مختلفة ومتنوعة في موضعاتها واستفاد منها العلماء في أبحاثهم، والطلاّب في دراساتهم. كما أصبح لهذه المكتبات تنظيماتها وأعرافها سهلت على الطلبة اقتناء الكتب والاستفادة منها.

والجزائر خلال العهد العثماني كغيرها من المجتمعات الإسلامية اهتم مجتمعها بالعناية بالكتب تأليفا ونسخًا وجمعًا وتجليدًا، حتى أصبح لها تراثها المكتبي، ولقد كان للجزائريين جهودهم الخاصة بالتأليف الذي ظل مستمرا عبر العصور التاريخية رغم الاضطرابات التي كانت تعرفها الجزائر، إلا أن المؤلفين يزدادون عطاءً وإنتاجًا.

3 – الدكاكين التجارية والأندية المنزلية:

الدكاكين التجارية كانت تستعمل نهارًا للبيع والشراء، وفي الليل للمسامرات الأدبية، فكانت محل مناظرات علمية بين العلماء والأدباء، هذا إضافة إلى التي كانت تقام في منازل وجهاء البلاد وأعيان ذوي النفوذ والسلطة المحلية. وقد استمرت هذه العادة إلى زمان الاحتلال الفرنسي، فكان الداي والباي والآغا والقاضي والمفتي يجتمع لدى كل منهم بعض من الرعية بعد تناول العشاء في منازلهم ثم يشرعون في قراءة كتاب ما قد اتفقوا على قراءته[2].

فقد عرف عن الباي محمد الكبير وعلاقته الطيبة مع العلماء، حيث كان يعمل على تقريبهم إليه، فيختار من جلسائه العلماء والأدباء من كتّاب وشعراء، خاصة في المناسبات "... والأعياد فإنه كان يعم فيها أهل الوظائف كالخطباء والأئمة والمؤذنين والمدرسين..."، وكان يستشيرهم في القضايا الهامة[3]. فالمدن الجزائرية لم تكن تخلوا من جلسات العلم

---

1 – محمد بن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص61.

2 – نفسه، ص60.

3 – صالح فركوس، مرجع سابق، ص25.

سواء في مجالس الحكام أو بيوت العلماء، فقد ذكر أبو القاسم الزياني في كتابه الترجمانة الكبرى أنه لما نزل في قسنطينة قدم إليه الأديب صاحب القصائد العالية ومدحه بأبيات جعلها مقدمة اللقاء، وهو السيد ونيس البوزنياري، كما ذكر أن مسكنه مجاور للمسجد اجتمع مع الطلبة به، فقد اتخذ من منزله كنادي علمي يلتقي فيه مع الطلبة لمناقشة القضايا العلمية أو قراءة كتاب أو بعض من البيوت الشعرية[1].

وكانت المناسبات الدينية تكثر فيها الجلسات العلمية، خاصة في شهر رمضان بعد صلاة التراويح يشرعون في دروس دينية حسبما جرت بها العوائد الإقليمية في مجالس شهر رمضان الفضيل. وكانت منازل العلماء أندية ومراتع دروس يومية، يتلقاها الطلبة عن هؤلاء في منازلهم، وبعد الدروس يرجع كل طالب إلى منزله ليعود في الغد. واستمرت هذه العادة خلال العهد العثماني، وقد ذكر ابن ميمون في كتابه أنه مارس هذه الطريقة أيام تعلمه ببلدية "زمورة"، فقد وصف منازل العلماء على أنها كانت مدرسة للمتعلمين[2].

---

1 – أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا (1147 – 1249هـ/1734 – 1833م)، تحقيق: عبد الكريم فيلالي، دار نشر المعرفة، الرباط، ص-ص154-156.

2 – محمد بن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص60.

الفصل الثاني:

الزوايا والمساجد معاهد للتعليم

المبحث الأول: الزوايا

المبحث الثاني: المساجد

كانت الزوايا والمساجد الإسلامية هي معاهد للتعليم عبر العصور الإسلامية، وعرفت انتشارًا في البلاد العربية من بينها الجزائر، وقد لقيت اعتناء من طرف المجتمع الجزائري عبر العصور التاريخية من بينها العهد العثماني. قد حظيت مكان الصدارة كمراكز ثقافية لنشر العلم والمعرفة، كما اشتهرت بشيوخها وعلمائها من حيث المؤهلات العلمية وشهرة المجالس العلمية التي كانت تلقى فيها حتى أصبحت منارة علمية تضاهي قريناتها في المشرق والمغرب العربيين.

فما هي أهم زوايا العلم في الجزائر؟ وهل كانت هناك مساجد تُلقى فيها الدروس؟ سوف نحاول من خلال مباحث هذا الفصل حصر أهم الزوايا والمساجد في الجزائر إبان العهد العثماني التي كانت تلعب دور المؤسسات التعليمية لنشر العلم والمعرفة.

المبحث الأول: الزوايا

كانت تحتل مكان الصدارة بين مراكز الثقافة من ناحية تثقيف المعوزين والفقراء من أبناء الشعب المتعطشين للعلم والمعرفة، فقد عرفت الزوايا منذ ظهورها في الجزائر بدورها التعليمي، وكانت مقسمة إلى قسمين، كل منهما يقوم بدوره أحسن قيام.

النوع الأول كان يقوم بوظيفة تحفيظ القرآن الكريم للأطفال الصغار، وكان يشبه الكتاتيب، يؤمه الغرباء الذين سبق لهم أن تعلموا الحروف الهجائية واستظهروا بعض السور من آيات الذكر الحكيم على الأقل.

ولقد عرفت هذه الزوايا انتشارا خاصة في المناطق التي لا توجد فيها كتاتيب لتعليم الأطفال الصغار، وانتشرت خاصة في المناطق الريفية أين كانت الزوايا تشرف على مراحل التدريس الابتدائية والمتوسطة.

والنوع الثاني من الزوايا يقوم بتدريس بعض فنون الوقت لاسيما الفقهيات، والعقائد وقواعد النحو والصرف وفنون البلاغة والمنطق، وبعض المبادئ في علم الفلك، وهذا القسم لا يؤمه غالباً إلا المستظهرون لكتاب الله العزيز من طلاب العلم الشريف. وقد صنف البعض من هذه الزوايا بمثابة معاهد عليا، تدرس فيها مختلف العلوم تحت إشراف نخبة من علماء الجزائر ورجال التصوف خلال العهد العثماني[1].

1 – محمد بن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص، ص58، 59.

1 – زوايا الجزائر خلال العهد العثماني:

لقد شكلت الزوايا مقر عبادة ودراسة، كتدريس علوم الدين والفقه ومبادئ القراءة والكتابة، إضافة إلى كونها مقر نزول ابن السبيل، حيث يجد المأوى والمأكل، وفي غياب المدارس لعبت دورًا هامًا في الحركة الثقافية والتعليمية، خاصة على مستوى الأرياف حيث انعدمت المدارس، لعبت الزوايا دورًا هامًا في هذا الميدان. لقد كانت تمثل معاهد للتعليم، كما كانت تشمل مساجد بها الشيخ المرابط ومبيتا للطلبة الداخليين ومساكن للفقراء والغرباء[1].

وكانت الزوايا يدرس فيها جميع مراحل التعليم حتى شبهت بالجامعات، وأن بعض الطرق الصوفية كالقادرية والرحمانية قد أعطت أهمية كبيرة للتعليم. فنجد الطريقة الرحمانية مثلا قد ربطت بين التربية الروحية ونشر التعليم، وكانت كل طريقة لها زوايا تحمل أسماء مختلفة حسب المناطق والمشايخ والمقدمين. وعلى العموم فإن الزوايا كانت كثيرة تفوق المساجد عددًا، حيث أشارت المصادر إلى أنها بلغت حوالي 349 زاوية بها 2149 طالبا و 57 معلما[2].

للزوايا رسالة سامية ومهمة نبيلة، وعمل شريف يتمثل في المحافظة على الإسلام والعربية والحرص على صيانة عقيدة المسلم وحمايتها من الزيغ والانجراف بواسطة نشر الوعي الديني في المدن والقرى والجبال، والتركيز على تعليم القرآن الكريم وتحفيظه، والعناية بدراسة العلوم الإسلامية واللغوية. وبمرور الوقت تطورت وانفصلت عن المساجد، وأصبحت قائمة بذاتها، تستقبل الطلاب، وتوفر لهم الإقامة مجانًا[3].

ولقد عرفت هذه الزوايا باسم زوايا العلم والقرآن، أو الزوايا العلمية، وسوف نركز على هذا النوع من الزوايا لأنها أصبحت مؤسسات تربوية وتعليمية، عرفت انتشارًا خلال القرن 18م، وتزايد عددها فعمت كل جهات البلاد وخاصة غربها ووسطها. وقد بلغ عدد الزوايا حسب آخر الإحصائيات حوالي 500 زاوية في القطر الجزائري كله، غير أن

---

1 – الواليش فتيحة، مرجع سابق، ص170.

2 – محمد بن شوش، مرجع سابق، ص، ص9، 10.

3 – صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية في الجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق ، بيروت ، 2002، ص، ص203، 204.

أغلبها تعرض للهدم والتخريب أثناء حرب التحرير نتيجة مواقف شيوخها المؤيدة والمدعمة للثورة[1].

ومن ضمن الزوايا التعليمية في الجزائر:

- الشاذلية (656هـ/1258م).
- العيساوية (936هـ/1523 – 1524م).
- الكرزازية (الأحمدية) (1016هـ/1608م).
- الشيخية (1026هـ/1615م).
- الطيبية (1089هـ/1678 – 1679م).
- الحنصالية (1114هـ/1702م).
- القادرية (1125هـ/1713م).
- الزيانية (1145هـ/1733م).
- التيجانية (1196هـ/1781 – 1782م).
- الرحمانية (1208هـ/1793 – 1794م).
- السنوسية (1250هـ/1835م).

وكل زاوية من هذه الزوايا لها فروع كثيرة تحمل أسماء مختلفة حسب المناطق والمشايخ والمقدمين. وقد أورد الضابط لويس رين للشاذلية وحدها إحدى وعشرين طريقة وزاوية فرعية لكل منها اسم خاص[2].

1.1 – زوايا مدينة الجزائر:

زاوية محمد الشريف الزهار: عبارة عن محل تلقى فيه دروس للطلبة الكبار، بخلاف المسيد، فهو الكتاب، وقد تكون الزاوية ملجأ للطلبة أو العلماء الغرباء يجدون فيها المأوى مجانا، وكانت هذه الزاوية محل تلقى فيه الدروس وتعليم، ويقام فيها درس في التوحيد في ليالي رمضان[3].

---

1 – صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص-ص 204-207.

2 – يحيى بوعزيز، أوضاع المؤسسات الدينية...، مرجع سابق، ص، ص17، 18.

3 – نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر – من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص166.

زاوية سيدي أحمد بن عبد الله الزواوي: من أبناء القرن التاسع الهجري، وهو صاحب المنظومة الجزائرية، وكانت زاويته تشمل على بيوت للعلماء، وتقع بنهج الأندلس بالجزائر، بسوق السمن في الجهة السفلى من نهج الباي الجديد، وقد أسست هذه الزاوية سنة 1623م لتحفيظ القرآن وتعلم الكبار مع مصلى لإقامة الصلوات الخمس، وكان يشرف على تسييرها الشيخ محمد الأبلي وبقيت هذه الزاوية إلى سنة 1843م[1].

زاوية القشاش: تأسست قرب جامع ملاصقة له يحمل اسم القشاش لذلك أخذت نفس اسم الجامع، وكانت سنة التأسيس 1069هـ/1659م، كانت هذه الزاوية كبيرة تحتوي على مجموعة من الغرف، حيث لعبت دور المأوى والمدرسة، فكان يبيت فيها الطلبة الفقراء والغرباء وكانوا يحصلون فيها على الطعام[2].

زاوية الجامع الكبير: كان بنهج باب الجزيرة مشتملة على مسجد بدون منارة ومدرسة للصغار، وطابقين فيهما بيوت للعلماء والغرباء أو الفقراء منهم الذين لا مأوى لهم، وكان في أسفلها الماء اللازم للشرب وللوضوء[3].

زاوية سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري[4] (1133 – 1208هـ/1715 – 1793): بعد أن درس في الأزهر العلوم الفقهية انتقل إلى قرية الحامة قرب مدينة الجزائر، واستقر هناك وتصدى للتعليم والتف حوله عدد كبير من الطلبة، فعلا صيته وذاعت شهرته، وأهدى له أفراد عائلة بن عيسى قطعة أرض بنى عليها زاويته. كما عرف عنه أنه عاد إلى مسقط رأسه آيت إسماعيل بجرجرة وأسس هناك زاوية جديدة وتفرغ للتعليم[5].

زاوية سيدي أحمد بن عبد الله الزواوي الجزائري: من أهم زوايا مدينة الجزائر كانت تشمل على مسجد وبيوت للعلماء بالنهج المسمى بسوق الجمعة في دار طرأ عليها تغيير

1 – صلاح مؤيد العقبي، مرجع سابق، ص210.

2 – ياسين بودريعة، أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر 2، 2006-2007، ص101 .

3 – نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص، ص166، 167.

4 – محمد بن عبد الرحمن الأزهري، ينسب إلى عرش آيت إسماعيل من بلاد جرجرة، لقب بالأزهري نسبة إلى الأزهر الشريف الذي جاوره مدة طويلة. ولد ببلاد زواوة تتلمذ على يد الشيخ الحسن بن أعراب، استقر بالأزهر وتلقى العلوم على أيدي العلماء... انظر: عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف، ص، ص315، 316، 317.

5 – نفسه، ص، ص316، 317.

كبير وتبديل عن شكلها الأصلي، والشيخ أحمد بن عبد الله من أبناء القرن العشر الهجري، وتوفي سنة 884هـ/1479م، فكان معاصرا للشيخ عبد الرحمن الثعالبي[1].

زاوية الأندلس: في سنة 1033هـ/1623م اجتمع عدة أندلسيين من أهل صناعات مختلفة، واشتروا دار من مالهم الخاص، بقصد هدمها وبناء زاوية في موضعها للدروس العلمية للكبار وتعليم القرآن الكريم والمبادئ للصغار، مع إضافة مسجد فيها لأداء الصلوات وما يلزم لذلك. وحبسوا كل ذلك لجماعة الأندلسيين، وعيّنوا واحد منهم وضعوا فيه أمانتهم وثقتهم، ودامت هذه الزاوية قائمة بمهمتها إلى سنة 1843م[2].

قاموا بشراء دار تقع بحومة مسيد الدالية من طرف محمد العبلي بثمن قدره 2000 دينار جزائرية خمسينة العدد، وهدمت الدار وعوضت في مكانها زاوية بنيت من طرف الأندلسيين تحتوي على مدرسة لتعليم القرآن والعلوم الأخرى ومسجد للصلاة، حيث جاء في نص الوثيقة: "... أشهد الآن الجماعة المذكورون أنهم حبسوا جميع الدار المذكورة التي جعلت مدرسة الآن المذكورة فيه على جماعة الأندلس بجميع حدودها ومنافعها... ووكلوا المحبسون المذكورون المكرم محمد العبلي المذكور على حوز الحبس المذكور لمن ذلك القيام بشأنه وإصلاح ما يجب إصلاحه، وقبض ما يعود على نفعه على المدرسة المذكورة من مطعم وغيره، وتوليه ذلك وصرفه فيما يراد مصرفه..."[3].

زاوية كجاوة: هي عبارة عن زاوية ومؤسسة تعليمية تتكون من عدة مرافق، أسسها محمد خوجة سنة 1201هـ/1786م، وهذا ما ورد في نص الوثيقة: "أشهد الآن السيد محمد خوجة دفتر دار المالك المذكور شهيديه على نفسه أنه حبس ووقف لله تعالى... على أسس من التقوى جميع ساحة الفندق والعلوي المذكورين على يبنى هنالك مدرسة... وعين المحبس المذكور ألف دينار واحد كلها ذهبا عينا سلطانية يبنى بها المسجد والمدرسة المسطورة على الصفة المتقدمة المسطورة..."[4]. ولقد ورد في الوثيقة تكلفة بناء الزاوية ومرافقها وقدر بـ 1000 دينار ذهبا سلطانية.

---

1 – نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص170.

2 – نفسه، ص، ص170، 171.

3 – سلسلة المحاكم الشرعية، علبة 82، وثيقة 2.

4 – سلسلة المحاكم الشرعية، علبة 129، وثيقة 11.

وكان لزاوية كجاوة عدة مرافق وتتمثل في:

- خمس بيوت لإسكان الطلبة الذين يقومون بالقراءة والإشغال بالعلم.
- بناء مسجد تقام فيه الصلوات الخمس للطلبة ولعامة المسلمين.
- تبنى بيوت أخرى تستعمل في الكراء سواء للسكن، أو كحوانيت للتجارة، وربما أراد المحبس ضمان عائدات مالية دائمة للزاوية.
- ما فضل من ساحة الفندق تبنى فيها مطهرة أو مطهرتين للطلبة ولعامة المسلمين، كما أوقف ماء بئر هناك للوضوء.

كما جاء في نص الوثيقة المستخدمين في الزاوية من بينهم مدرس يدرّس العلوم العقلية والنقلية فروعها وأصولها وأدبها، إن وجد من يحسن ذلك، وإلا من يحسن بعضها[1].

زاوية عبد الرحمن الثعالبي: أمر بشأنها الأمير الحاج أحمد بن الحاج المصلي سنة 1108هـ/1696. وكان من سياسة دولة الجزائر أن يعظموا شخصية كالشيخ عبد الرحمن الثعالبي[2]، الذي اشتهر في الأوساط الإفريقية والشرقية، وكانت إقامته بمدينة الجزائر مع ما كان متحليا به من الأخلاق وبذل معارفه، مما زاد في ترقيتها وتشهيرها، وقد قصده جملة من الطلبة أبقوا اسما مذكورا بعدهم كما سيأتي في ترجمته[3].

هذا بالإضافة إلى زوايا أخرى كانت تزخر بها مدينة الجزائر، مثل زاوية سيدي عبد القادر الجيلاني، وزاوية سيدي محمد الشريف وزاوية والي دادة وغيرها. وقد بلغ عدد الزوايا بمدينة الجزائر عقب الاحتلال الفرنسي 12 زاوية تعرّض أغلبها للهدم والتخريب تحت غطاء إقامة مصالح عمومية، وعرفت المدن المحيطة بالعاصمة عددًا لا بأس به من الزوايا. ففي مدينة البليدة مثلا نجد زاوية ابن الباي وسيدي المهدي، وفي القليعة زاوية علي مبارك وفي الأربعاء زاوية المربوسي، وفي بني مسوس زاويتي النملي وخير الدين وغيرها[4].

---

1 – سلسلة المحاكم الشرعية، علبة 129، وثيقة 11.

2 – نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص171.

3 – عبد الرحمن الثعالبي يقولون أنه تولى القضاء بالجزائر ومشيختها، ولكنه تخلى عنهما وفضل القيام بالتعليم، قصده إلى الدراسة والقراءة عليه طلبة العلم، وصار بعض منهم من أشهر علماء قطر الجزائر، ولا شك أنهم وجدوا فيه في آن واحد المعلم الماهر والمربي الكبير المجرب... انظر: نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص، ص175، 176، 177، 178، 179.

4 – صلاح مؤيد العقبي، مرجع سابق، ص، ص210، 2011.

وقد اعتادت قبائل الأطلس على إرسال أبنائها إلى أقرب الزوايا إليها، فطلبة بني صالح يقصدون زاوية سيدي أحمد الكبير، وطلبة الخشنة وبني جعاد زاوية سيدي محي الدين، وطلبة اولاد منديل زاوية سيدي الجبشي وطلبة بني موسى زاوية المربوسي. وتعتبر هذه المؤسسات التعليمية مشاتل حقيقية لتخريج الطلبة الذين ينتشرون فيما بعد في الوسط الريفي كمعلمين وفقهاء متمرسين في الشؤون الخاصة بعالم الريف[1].

القطاع الشرقي من دار السلطان بلغ عدد الزوايا فيه 08 من بينها زاوية بن إبراهيم بوطن يسر، والقطاع الأوسط من دار السلطان بلغ عدد الزوايا 11 منها زاوية سيدي عيد بين الدويرة وبوفاريك بوطن بن خليل. والقطاع الغربي من دار السلطان بلغ عدد الزوايا 06 منها زاوية محمد العربي بوطن حجوط[2].

زاوية سيدي أحمد الكبير الأندلسي: بالبليدة التي تخرجت منها أفواج عديدة من طلبة العلم أغلبهم من نواحي متيجة وجهات الأطلس البليدي من بني صالح وبني خليل.

زاوية سيدي علي بن مبارك: بالقليعة التي ظلت منذ تأسيسها على يد الوالي الذي تنتسب إليه في أوائل القرن 17م، تقدم التعليم وتوفر الإيواء للطلبة خاصة، وهذا ما أكسبها مكانة خاصة بين السكان في تلك الجهات وجعلها ملجأ للهاربين من بطش الحكام[3].

2.1 – زوايا بايلك الغرب:

كان عدد الزوايا في الغرب الجزائري أكثر انتشارًا من المناطق الأخرى، وذلك يعود إلى استمرار الجهاد في الغرب دون الشرق أو الوسط، إضافة إلى القرب من المغرب الأقصى مقر الزوايا والمرابطين، كما علّل ذلك بعض المؤرخين المعاصرين كالدكتور سعد الله.

وفي مدينة وهران عاصمة الغرب الجزائري التي كانت تعج بالعلماء، قام بعض أهل الخير والبر والإحسان بتأسيس زوايا لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الدينية واللغوية. وقامت زوايا الغرب الجزائري بدور هام في نشر التعليم، أما تلمسان ونواحيها فقد بلغ عدد الزوايا بها أكثر من ثلاثين زاوية أواخر العهد العثماني، نذكر منها على سبيل

---

1 – ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية...، مرجع سابق، ص391.

2 – نفسه، ص، ص391، 392، 393.

3 – ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، المرجع السابق، ص، ص56، 57.

المثال لا الحصر: زاوية سيدي الطيب، وزاوية سيدي بومدين، وزاوية محمد السنوسي، وزاوية أحمد الغماري، وزاوية عين الحوت، وزاوية سيدي الحلوي[1].

واشتهرت مدينة معسكر بزاوية القرط في قرية الكرط أسسها محمد بن يحيى المغراوي (920هـ/1513م)، ولما تغلّب الإسبان على مدينة وهران انتقل إلى واد فروحة وأسس هناك زاوية لطلاب العلم، فقصدها الطلبة من الآفاق وانتشر العلم بسببه بوطن راشد حتى صار كعبة للعلماء وقبلة الطلبة النجباء الذين حملوا راية العلم ثلاثة قرون[2]. زاوية الكرط تخرج منها علماء الحشم ومشاييخهم، وزاوية أبي راس الناصري، وزاوية كاشرو حيث ضريح والد الأمير عبد القادر الشيخ محي الدين[3].

واشتهرت مدينة معسكر بزاوية القطنة المشهورة، ولم يقتصر التعليم بالزاوية على المواضيع الدينية، بل عملت على صقل بعض الأذواق الأدبية، والأمير عبد القادر ابن القطنة دليل على هذا المستوى[4]. وفي مازونة التي كانت حاضرة علم ومركز إشعاع ونور، شيد المصلح سيدي محمد بن علي السنوسي زاويته الأولى قبل مغادرته أرض الوطن والتحاقه بالصحراء الليبية، حيث بنى معاقله الكبرى. ونشير ونحن في غرب الوطن إلى الزاوية القادرية بوادي الخير نواحي مستغانم لشيخها ابن الأحوال، وزاوية سيدي حمو الشيخ الولي الصالح المعروف بالمدينة المذكورة، وزاوية سيدي عدة في بلدية سيدي خطاب نواحي غليزان، وزاوية الشيخ المدني وادي الجمعة[5].

وكذلك زاوية بن علي المجاجي (945 – 1008هـ/1535 – 1589م) نسبة إلى مجاجة بالغرب الجزائري (شلف)، كان يقيم بزاويته حوالي 300 طالب، يدرسون علوم الشريعة من فقه وتفسير وحديث وتوحيد وعلوم اللغة، من طلبته الذين تخرجوا على يديه مفتي الجزائر سعيد قدورة[6].

---

1 – صلاح مؤيد العقبي، مرجع سابق، ص213.

2 – عبد المنعم القاسمي الحسني، مرجع سابق، ص، ص382، 383.

3 – ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، مرجع سابق، ص، ص249، 250.

4 – الواليش فتيحة، مرجع سابق، ص172.

5 – صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص213.

6 – عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص، ص341، 342.

3.1 – زوايا بايلك الشرق:

مدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري، بلغ عدد الزوايا بها حسب الإحصائيات 16 زاوية، ويلاحظ أنها تحمل أسماء الأسر والعائلات التي قامت بوقفها على تحفيظ القرآن الكريم وتعليم الدين، وإلى جانب إقامة الصلوات بها مثل: زاوية ابن الفقون، زاوية مولاي الطيب، زاوية سيدي جليس، زاوية سيدي راشد، زاوية سيدي عفان، زاوية عبد المؤمن، زاوية ابن محجوب، وزاوية الرقاقين. بالنسبة لزاوية ابن الفقون كانت تنشر العلم وتطعم الطعام، لمن يقصدها من الزوار الذين لا ينقطعون طول أيام السنة يأتون إليها من حدب وصوب. وقد تخرج من هذه الزاوية الكثير من أهل العلم والمعرفة من بينهم الفقيه النحوي محمد بن راشد الزواوي، قدم من زواوة طالبا منه قراءة المرادي، فنزل علينا بالزاوية المشهورة بأولاد الفكون وأشاد به عبد الكريم الفكون أنه كان السبب في تعلقه بعلم النحو. ثم عاد إلى وطنه وكان يقرأ المكودي والجرومي[1].

ونذكر منهم كذلك أحمد بن خليفة جاء بقصد قراءة النحو، وافتتح قراءة المكودي، وكان يقرأ في ابن الحاجب قبله على غيره وتصدى لإقرائه وجمع الطلبة عليه لذلك، ولإقراء المكودي على الألفية نزل علينا بالمدرسة المذكورة (زاوية آل الفكون)[2]. وأبو الحسن بن عثمان الشريف من جبل زواوة من قبيلة تدعى بني بترون قدم علينا بقصد القراءة 1028هـ/1618م، فأجزته بعد طلبه وانصرف وهو الآن صاحب درس عظيم وأقبلت عليه الدنيا وصار يطعم الطلبة من عنده[3].

فقد ذكر ابن الفكون الكثير منهم في كتابه منشور الهداية وأهم الطلبة كانوا من منطقة زواوة والطلبة المغاربة، والمراد بها أهل وسط الجزائر وما جاورها غربا. ومن زوايا مدينة قسنطينة نذكر زاوية ابن نعمون وهي لأسرة تنحدر من سلالة بايات قسنطينة وفيها مقابرهم وبها تقام الصلوات الخمس وتؤدى الجمعة وتلقى الدروس. وزاوية النجارين المعروفة بزاوية حنصالة وفيها يعلم القرآن الكريم للأطفال. وزاوية الشيخ باش

---

1 – عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1987، ص107.

2 – نفسه، ص109.

3 – نفسه، ص-ص205-207.

تارزي لمؤسسها الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن حمودة بن مامش المعروف بباش تارزي وهو دفين هذه الزاوية وزاوية ابن رضوان[1].

وفي مدينة بجاية التي كانت مركز إشعاع علمي منذ القرن التاسع الهجري، وبعد الاحتلال الفرنسي داس على كل المقدسات الدينية والثقافية ، وهدم الكثير منها وتحويل بعضها لأغراض عسكرية. لذلك سوف نقوم بذكر هذه الزوايا لأنه تواصل نشاطها التعليمي خلال العهد العثماني. أهم الزوايا العلمية في بحاية:

- زاوية سيدي الحاج حساين دائرة سيدي عيش ولاية بجاية تأسست عام 770هـ/1370م، أغلقت سنة 1954م[2].
- زاوية سيدي سعيد أمسيسن بصدوق تأسست في القرن التاسع الهجري أغلقت سنة 1956م.
- زاوية سيدي أحمد أويحيى أمالو تأسست في القرن التاسع الهجري أغلقت سنة 1956م.
- زاوية أحمد أوحداد دائرة اكفادو، تأسست أواخر القرن العاشر الهجري، أغلقت سنة 1954.
- زاوية يحيى أوموسى دائرة سيدي عيش، تأسست ما بين القرنين السادس والسابع الهجري، أغلقت سنة 1954 واستأنفت نشاطها بعد الاستقلال[3].
- زاوية أبي القاسم الحسيني البوجليلي بدائرة أقبو، تأسست في أوائل القرن الحادي عشر للهجرة السادس عشر ميلادي، تخرج منها كثير من حفظة القرآن العظيم والفقهاء.
- زاوية سيدي يحيى العدلي بتموقرة تأسست في أواسط القرن التاسع الهجري[4].
- زاوية سيدي سعيد بلدية سمعون دائرة أميزور تأسست في القرن التاسع الهجري، أغلقت الزاوية سنة 1956[5].
- زاوية سيدي موسى أويدير دائرة اكفادو أسسها سيدي موسى أويدير في القرن العاشر الهجري وأغلقت سنة 1956.

1 – صلاح مؤيد العقبي، مرجع سابق، ص212.

2 – محمد نسيب، مرجع سابق، ص218.

3 – نفسه، ص219.

4 – نفسه، ص220.

5 – نفسه، ص223.

– زاوية سيدي موسى تينبذاز دائرة سيدي عيش تأسست أواخر القرن العاشر الهجري، توقف نشاطها أثناء الحرب التحريرية[1].

– زاوية سيدي أحمد زروق دائرة سيدي عيش تأسست في القرن التاسع الهجري، أغلقت أثناء حرب التحرير.

– زاوية بوداود بلدية إغرم دائرة أقبو تأسست في القرن 9هـ، توقفت عن نشاطها في بداية ثورة التحرير.

– زاوية علي الشريف شلاطة دائرة أقبو تأسست في القرن 19م، توقفت عن نشاطها في بداية ثورة التحرير[2].

لقد بلغ عدد الزوايا في مدينة بجاية التي يعود تأسيسها إلى القرن 14م و 15م والتي تواصل نشاطها خلال العهد العثماني، ليتم توقيفها من طرف الاحتلال الفرنسي في بداية الثورة التحريرية، نتيجة نشاطها الجهادي 13 زاوية.

أما مدينة تيزي وزو (القبائل الكبرى) كانت هي الأخرى تعرف بأنها مركز إشعاع علمي، لكثرة الزوايا العلمية فيها، أهمها:

– زاوية تيفريت ناث الحاج دائرة أزفون، أسسها سيدي محمد وعلي والحاج في حدود القرن التاسع الهجري، تخرج منها عدد كبير من حفظة القرآن الكريم والأئمة.

– زاوية سيدي علي والطالب دائرة عين الحمام، تأسست في القرن السادس عشر ميلادي.

– زاوية سيدي عمر والحاج بوزقان دائرة عزازقة أسسها سيدي عمرو الحاج سنة 805هـ/1402م، أغلقها جيش الاستعمار الفرنسي واتخذها مركزًا له.

– زاوية سيدي سحنون، أسسها في القرن السابع الهجري، توقف نشاطها خلال الحرب التحريرية.

– زاوية سيدي أبي بكر بتقزيرت أسسها في أوائل القرن السابع الهجري، وأغلقها الجيش الفرنسي سنة 1956م[3].

---

1 – محمد نسيب، المرجع السابق، ص، ص223، 224.

2 – نفسه، ص224.

3 – نفسه، ص، ص217، 218.

– زاوية سيدي علي أويحيى مقرها بني كوفي دائرة بوغني، أسسها في القرن التاسع الهجري، هدمها الجيش الفرنسي سنة 1958[1].

– زاوية عبد الرحمن اليلولي، أسسها عبد الرحمن بن يسعد اليلولي (1105هـ/1691م) على قمة من قمم جرجرة سنة 1635م والتي اشتهرت بتحفيظ القرآن الكريم وتجويده، بالإضافة إلى العلوم الشرعية واللغوية. وكانت محط رحال كثير من العلماء والدارسين من مختلف أنحاء القطر الجزائري، وأدت دورًا كبيرًا في الحركة العلمية، وبقيت ملكًا للطلبة يسيرونها إلى أن هدمها الاستعمار الفرنسي[2].

– زاوية سيدي امحمد بن عبد الرحمن بني إسماعيل دائرة بوغني، أسسها سيدي امحمد بن عبد الرحمن حوالي سنة 1770م.

– زاوية سيدي بهلول الشرفاء دائرة عزازقة، أسسها سيدي بهلول أحمد الغبريني بن عاصم ما بين القرن السابع والثامن الهجري، أغلقها الاستعمار الفرنسي سنة 1956م.

– زاوية سيد أحمد بن مالك قرية تفريث أمالك بوزغان دائرة عزازقة، تأسست في القرن التاسع الهجري.

– زاوية سيدي منصور قرية تميزار دائرة عزازقة، تأسست في القرن التاسع الهجري[3].

قدر عدد الزوايا في مدينة تيزي وزو 11 زاوية، هذا إضافة إلى عدة زوايا يعرفها بايلك الشرق منها زاوية جد الحسن بن محمد السعيد الورتيلاني (1193هـ/1779م)، حفظ فيها القرآن في بني ورتلان، ودرس على يد والده وعلماء قريته مثل يحيى العيلاوي، أحمد الزروق، بن أحمد البوني[4].

وهناك زاوية تنسب إلى عائلة بني العطار في ميلة، أحمد عمر القسنطيني (1204–1287هـ/1790 – 1870م)، قضى طفولته بميلة عند أعمامه بني العطار حيث حفظ القرآن ودرس مبادئ الفقه واللغة العربية بزاويتهم[5]. وزاوية الرابطة في ولاية البويرة أسسها ابن منصور بن يحيى في حوالي القرن الثامن الهجري وخربها الاستعمار الفرنسي[6].

---

1 – محمد نسيب، المرجع السابق، ص220.

2 – عبد المنعم القاسمي الحسني، مرجع سابق، ص199.

3 – محمد نسيب، المرجع السابق، ص، ص221، 222، 223.

4 – عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص144.

5 – نفسه، ص87.

6 – محمد نسيب، المرجع السابق، ص22.

زاوية سيدي أحمد السعدي بلدية أعفير دائرة دلس ولاية بومرداس، تأسست في القرن الحادي عشر ميلادي خربها الاستعمار الفرنسي، وزاوية اولاد بومرداس، تأسست حوالي القرن السابع الهجري، دمرها الاستعمار الفرنسي[1].

4.1 – زوايا الجنوب الجزائري:

في جنوب الجزائر أسس الشيوخ الزوايا وفتحوا أبوابها للطلبة يتلقون فيها العلم والمعرفة، ويتلقون فيها التربية الروحية، رغم أن عدد المؤسسات التعليمية أقل من التي كانت في الحواضر الكبرى. إلا أن هذه الأخيرة ساهمت في نشر التعليم بكل مراحله رغم نقص عددها، أهمها:

زاوية الشيخ أبو الأنوار عبد الكريم التنلاني (1168هـ/1773م): أنشأ له زاوية بمنطقة تيكديلت إحدى مناطق إقليم توات، اعتكف بها يدرّس العلوم الشرعية وقدم إليه الطلبة من كل مناطق توات ليأخذوا عنه العلوم والمعارف لما اشتهر به من العلم والمعرفة[2].

زاوية المهدية: ناحية أدرار أسسها عمر بن عبد الرحمن التنلاني (1221هـ/1806م)، وظل مواظبا على تدريس العلم وفعل الخيرات والإفتاء[3].

زاوية خنقة سيدي ناجي: قرب بسكرة بالجنوب الجزائري مؤسس بلدة خنقة سيدي ناجي بن قاسم ناجي (1031هـ/1622م) أسس زاوية واهتم بنشر العلوم والثقافة، فصارت البلدة مركزًا للإشعاع العلمي والحضاري تعج بالطلبة والعلماء[4].

كما ورد في ترجمة العالم الصوفي أحمد بن محمد الهجرسي (ق 12هـ/18م)، أنه أسس زاوية بزريبة الوادي لنشر العلم والطريقة الصوفية. وفي خنقة سيدي ناجي ربط علاقات جيدة مع زعيم البلدة الشيخ محمد الطيب بن محمد بن أحمد المبارك، وهناك تولى تدريس الرياضيات والفلك بإشارة من صديقه محمد الطيب، وبعد مدة أسس زاوية خاصة به عرفت كذلك بزاوية سيدي ناجي، أو احتمال أن تكون نفسها[5].

---

1 – محمد نسيب، المرجع السابق، ص–ص217-221.

2 – عبد المنعم القاسمي الحسني، مرجع سابق، ص216.

3 – نفسه، ص252.

4 – نفسه، ص275.

5 – نفسه، ص114.

زاوية كرزاز: أسسها أحمد بن موسى الحسني (الكرزازي) (907 – 1016هـ/1505 – 1608م) من أشهر رجال الطرق الصوفية أسسها في جنوب القنادسة في الطريق المؤدية إلى توات. وعرفت الزاوية شهرة واسعة بالمنطقة، وامتد نفوذها إلى مختلف المناطق المجاورة، وذلك لمجهودات مؤسسها في التعليم والإكرام والإصلاح[1].

زاوية رزق الله الواسع: في الجنوب الجزائري منطقة تنلان أسسها العالم أحمد بن يوسف التنلاني (1002 – 1078هـ/1592 – 1666م) اشتهرت زاويته وقصدها الطلبة من النواحي البعيدة[2].

زاوية الشيخ عبد الباقي الجلالي (12هـ/18م): في صحراء بسكرة، زاويته مشهورة بالعلم، يعرفها الخاص والعام[3].

زاوية القنادسة: أسسها محمد بن عبد الرحمن القنادسي (بوزيان) (1145هـ/1733م) بالقنادسة (بشار) وشرع في تدريس العلوم والمعارف الدينية، فأصبحت مقصد لطلاب العلم والمعرفة، كانت حياته حافلة بالنشاط العلمي والصوفي[4].

زاوية قرية البرج بالزاب: أسسها محمد بن عزوز الحسني الإدريسي (1233هـ/1818م)، عالم في الشريعة الإسلامية، أسسها لنشر العلم والدين[5].

زاوية المختار: أولاد جلال ولاية بسكرة، أسسها الشيخ المختار بن عبد الرحمن 1812م، توقف نشاطها في بداية الثورة[6].

زاوية أولاد عمر موسى: مقرها أولاد متليلي ثم انتقلت إلى بلدية منصورة حاليا ولاية غرداية، أسسها سيدي الزغم وأبناؤه في نصف القرن العاشر الهجري[7].

---

1 – عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص120.

2 – نفسه، ص122.

3 – نفسه، ص180.

4 – نفسه، ص321.

5 – عادل نويهض، مرجع سابق، ص32.

6 – محمد نسيب، مرجع سابق، ص220.

7 – نفسه، ص225.

زاوية سيدي الحاج يحيى: مقرها حي القصر القديم المنيعة ولاية غرداية، أسسها سيدي الحاج بحوص في آخر القرن العاشر هجري.

زاوية التجانية : بعين ماضي ولاية الأغواط، أسسها سيدي أبي العباس أحمد التجاني، لقد ساهمت هذه الزاوية في نشر الإسلام في إفريقيا[1].

5.1 – زوايا بايلك التيطري:

المدية عاصمة بايلك التيطري، كانت تقدر العلم وتحترم العلماء. إن الروح الدينية التي ورتها هذه البلدة من الفتح الإسلامي المبين جعلهم يحترمون كل ذي قيمة علمية وخصوصا إذا تلبس لباس الإسلام وتدين بالكتاب والسنة. وقد صرح بذلك الرحالة المشهور الحسن بن محمد الوزاني الفاسي فقال: وإذا زارهم أجنبي ذو علم ومعرفة فإنهم يعظمونه ويبجّلونه، ويبقونهم عندهم ليفصل في قضاياهم، ويعملون بقوله، ويصوبون رأيه[2].

وقد عرفت مدينة المدية نشاط تعليمي للزوايا كغيرها من حواضر الجزائر خلال العهد العثماني، وأهمها زاوية سيدي سليمان لتعليم القرآن[3].

زاوية بوحمامة بلدية العساوية دائرة تابلاط ولاية المدية، أسسها سيدي محمد ابن عبد الله سنة 1470م، واصلت نشاطها حتى الثورة التحريرية الكبرى، وكذلك زاوية شلابي بلدية القلب الكبير دائرة تابلاط ولاية المدية أسسها أحمد شلابي سنة 1700م. وزاوية أولاد سيدي العوفي بلدية الميهوب أسسها سيدي العوفي سنة 1600م[4].

2 – أهمية الزوايا:

لقد كانت الزوايا معاهد للتعليم سهلت انتشار التعليم، خاصة في الريف، وكانت هذه المؤسسات تتكون من مرافق مختلفة، مثل غرف النوم لإيواء الطلبة ومكتبات، هذا ما شجع طلاب العلم للالتحاق بها، كما أنها مؤسسات شعبية تفتح أبوابها لجميع فئات

---

1 – محمد نسيب، المرجع السابق، ص226.

2 – عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث...، مرجع سابق، ص244.

3 – نفسه، ص248.

4 – محمد نسيب، المرجع السابق، ص225.

المجتمع. وكانت لها أهمية كبيرة في الحياة الاجتماعية والثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، فقد اهتمت بتحفيظ القرآن ونشره بصورة مكثفة في الأجيال الإسلامية المتعاقبة بين مختلف الطبقات الاجتماعية، كما احتضنت اللغة والثقافة العربية الإسلامية ونشرتهما بشكل واسع، وفتحت أبوابها لطلاب العلم والمعرفة وأنفقت عليهم بسخاء، وكان ذلك شكل من أشكال مقاومة الجهل والأمية ونشر العلم والمعرفة، كما عملت على نشر الإسلام في المواطن التي لم يصل إليها، خاصة الأقاليم الصحراوية النائية. إضافة إلى أنها كانت بمثابة مخازن ودور للكتب والمخطوطات في مختلف العلوم والفنون، وذلك بفضل اهتمام شيوخها وأتباعها بالعلم والتعليم والنسخ والنقل والتأليف والجمع[1].

1 – يحيى بوعزيز، أوضاع المؤسسات الدينية...، مرجع سابق، ص، ص18، 19.

المبحث الثاني: المساجد

كانت المساجد الإسلامية هي معاهد التعليم الأولى عبر العصور الإسلامية، منذ بدء الدعوة الشريفة حتى أوائل القرن الرابع الهجري ظلت المساجد هي المعاهد الأولى والأساسية التي تمد المدارس الإسلامية التي أنشئت في القرون الوسطى. وانتشرت المساجد مع انتشار الإسلام في البلاد العربية، من بينها الجزائر، فكانت العناية بها والاهتمام بها عبر العصور التاريخية[1].

أما المساجد فكانت العناية بها واضحة في المجتمع الجزائري، فلم تكن تجد حيا في المدينة إلاّ وله مسجد خاص به، وكان المسجد ملتقى للعبادة ومكان اجتماع أعيان المدينة ومحور نشاط الحياة العلمية والاجتماعية، وكان يمثل روح الحي في المدينة، وحوله كانت تنتشر السكنات والأسواق والكتاتيب[2]. وكانت المساجد فيما عدا أوقات الصلاة مرتعًا لحلقات الدروس اليومية ومحطة لفنون العلوم التي كانت تدرس في ذلك العهد، لاسيما في المدن والقرى حيث لا زوايا تقوم بدورها في بث ما أمكنها من العلوم المتواطئ عليها والمتداولة بين الناس[3].

الجامع هو منطلق النظام الجماعي يحتوي على نوعين من الثقافة، ثقافة عالية للطلاب، وحلق للدروس العمومية مخصصة للجماهير، ويهيمن عليها كبار الأساتذة ورجال الفكر والإفتاء. وهو ملتقى الجماعة بكل أطرافها من القادة السياسيين وكبار الموظفين والعلماء وكافة المواطنين وكافة السكان، وهو محل الشورى الواسعة وحبك الرأي العام، ومنبع التدابير الكبرى، ومنطلق كل سياسة ثقافية للبلاد[4].

لم يكن المسجد ملتقى للعبادة فقط، وإنما كان دوره بارزًا في تنشيط الحياة التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني، وانتشار المساجد وكثرة عددها دليل على اهتمام السكان بالتعليم، ومن شدة كثرتها تضاربت الإحصائيات في تقدير عددها. لأن العناية بالمساجد كانت ظاهرة بارزة في المجتمع الجزائري، وتشييدها كان بمبادرات فردية من طرف

---

1 – المهدي بوعبدلي، مراكز الثقافة...، مرجع سابق، ص86.

2 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص، ص244، 245.

3 – محمد بن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص59.

4 – عبد المجيد مزيان، مرجع سابق، ص، ص40، 41.

الأغنياء والمحسنين ويقوم بالوقف عليه وصيانته. وكان أهل الحي والقرية يساهمون من خلال التبرعات، لكن الدولة لم تكن مسؤولة عن بناء المساجد، رغم أن بعض الحكام قاموا ببناء المساجد لكن كان ذلك بمبادرة فردية ومن ماله الخاص، وكان يعبر هذا السلوك بدرجة أولى عن واجب ديني وليس سياسي[1].

ومن هذا المنطلق سوف نحاول إعطاء صورة حول أهم مساجد الجزائر خلال العهد العثماني، وسوف نركز على المساجد التي كانت تقام فيها حلقات للدروس والدراسات العليا، من خلال نماذج حول مساجد مدينة الجزائر، تلمسان، قسنطينة، عنابة، معسكر، وذلك من باب أنه لا يمكننا حصر كل مساجد الجزائر لكثرة عددها.

1 – مساجد مدينة الجزائر من خلال الوثائق والمصادر:

الباحث في وثائق تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، يجد أنه ورد ذكر اسم الجامع والمسجد. فالجامع اصطلاحا أكبر حجما من المسجد، فهو الذي تؤدى فيه الصلاة الجامعة أو الجمعة أو العيدين، ويسمى كذلك جامع الخطبة، وبعض هذه الجوامع كان أيضا يسمى بالجامع الكبير أو الأعظم، غير أن هناك بعض الباحثين يذكرون "**المساجد**" فقط ثم يفصلون كبيرها وصغيرها، ما له صومعة وما ليس له صومعة، وفي الغالب أيضا كانت أسماؤها تنسب إلى مؤسسها من السياسيين والتجار والعسكريين ونحوهم[2].

ومن خلال سجلات البايلك تمكنا من وضع قائمة لهذه الشخصيات سياسية كانت أو عسكرية، لكن الملاحظ أن معظمها حكام مدينة الجزائر وقمت بتسجيل الأسماء كما وردت في الوثائق، لذلك استعملنا مصطلح الجامع مثل: جامع شعبان خوجة[3]، جامع خضر باشا، جامع علي بجين، جامع عبدي باشا[4]، جامع حسن باشا مزمورطو[5]، مسجد رمضان باشا. فقد ورد في الوثائق ذكر بعض حكام مدينة الجزائر قاموا ببناء مساجد، وهذا العمل كان لخدمة الدين والعلم من جهة، ومن باب الشهرة من جهة ثانية.

---

1 – محمد بن شوش، مرجع سابق، ص09.

2 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص245.

3 – سجلات البايلك: ع33، س327.

4 – سجلات البايلك: ع15، س75.

5 – سجلات البايلك: ع31، س287.

كما عملوا كذلك على صيانتها وتجديد بنائها، فقد ورد في إحدى الوثائق ما يلي: "الحمد لله هذا دفتر مبارك إن شاء الله تعالى على ذكر الأملاك المحبسة على المسجد الذي استجد بناؤه السيد حسن باشا رحمه الله سمت رحبة الزرع داخل محروسة الجزائر... [1].

كما أن بعض المساجد كانت تنسب إلى الأحياء الواقعة فيها أو السوق القريب منها. مثل: مسجد حومة القايد موسى، مسجد حارة السلاوي، مسجد باب الجزيرة، مسجد الشماعين، مسجد سوق الواد، مسجد سوق السمن، مسجد البطحا، جامع قاع الصور، جامع الصباغين، مسجد مسيد الدالية[2]، جامع القبة، جامع البلاط، جامع الزيتونة[3]، جامع باب عزون[4]، والبعض منها نسب إلى شيخ زاوية معينة أو مؤسسها من الأولياء الصالحين الذين اعتنوا بتعليم اللغة العربية، وإلقاء دروس في الحديث والفقه منها:

- مسجد سيدي عبد الرحمن الثعالبي.
- مسجد سيدي علي الملياني.
- مسجد سيدي الجودي.
- مسجد سيدي الرحبي.
- مسجد الولي الصالح سيدي أحمد بن عبد الله.
- مسجد الولي الصالح سيدي بن داود.
- مسجد الولي الصالح سيدي سليمان الشريف.
- مسجد الولي الصالح سيدي مصباح[5].

وقد ذكر في الوثائق زاوية تنسب إلى امرأة سميت "ستي مريم" ولها مسجد كذلك ستنا مريم، وبعض المساجد كانت الأصل زوايا[6] ثم حولت إلى مساجد مثل: زاوية كجاوة التي أصبحت من مساجد الجزائر جامع كجاوة[7] وجامع سيدي محمد الشريف الزهار وهو مسجد مالكي ويسمى أيضا زاوية سيدي محمد الشريف، وكانت هذه الزاوية محل لدراسة والتعليم، ويقام فيها درس في التوحيد في ليالي رمضان، وجامع سيدي بن علي هو الشيخ

1 – سجلات البايلك: ع23، س146.

2 - Archives National, série Z – Aix – Mi Bobine, 66.

3 – سجلات البايلك: ع24، س165.

4 – سجلات البايلك: ع24، س165.

5 - Archives National, série Z – Aix – Mi Bobine, 66.

6 – سجلات البايلك: ع24، س175.

7 – سجلات البايلك: ع15، س175.

محمد بن علي وضريحه[1] في مقبرة صغيرة، فهو عالم جزائري شهير تولى الإفتاء الحنفي من سنة 1150هـ إلى 1169هـ، وجعلوا منه مدرسة قرآنية[2].

2 – مساجد المذهب المالكي والحنفي:

كانت المساجد المبنية قبل العهد العثماني للمذهب المالكي، وأول مسجد بني في العهد العثماني للمذهب الحنفي هو مسجد سفير (أو صفر). ثم أسس العثمانيون وأحفادهم الكراغلة مساجد للمذهب الحنفي كمساجد الباشاوات والجامع الجديد، بل كان في كل عاصمة إقليم جامع للأحناف وجميعها تحت مؤسسة وقفية عرفت بــ "**سبل الخيرات**"[3]، ومسجد سفير هو من المساجد العتيقة بمدينة الجزائر شيده القائد صفر بن عبد الله من ماله الخاص وكان من أعيان المدينة، وكانت له معرفة باللغة العربية، وقد أعاد بناءه حسين باشا سنة 1242هـ الموافق بــ 1826-1827م[4]. والجامع الجديد وتسميته هذه بالنسبة إلى الجامع[5] الأعظم لأن مدينة الجزائر كان لها قبل تشييد الجامع الجديد مساجد أخرى حنفية بناها الأتراك وهو على شكل مساجد تركيا، وكان بناءه على نفقة مؤسسة سبل الخيرات في سنة 1070هـ/1660م[6].

وأهم مساجد المذهب المالكي في مدينة الجزائر الجامع الكبير أو المسجد الأعظم، ومما يلاحظ أن أغلب المدن الجزائرية كانت تشمل على مسجد يطلق عليه اسم المسجد الكبير الذي اشتهر بين الناس إما لقدمه أو لسعته. ولكن الكبير هنا لا يعني دائما السعة الحقيقية، فقد يكون في المدينة من المساجد ما هو أوسع من المسجد الكبير مساحة. لأن هذا الأخير يكون قد بني في وسط المدينة القديمة أثناء نموها، والمعروف عن مدينة الجزائر كان بها المسجد الأعظم أو المسجد الكبير الذي يعود تأسيسه إلى ما قبل العهد العثماني[7]، وهو للمالكية وتشييده يزيد بكثير على تسعة قرون سنة 409هـ/1018م.

---

1 – سجلات البايلك: ع16، س77.

2 – نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر...، مرجع سابق، ص169.

3 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص، ص253، 254.

4 – نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص، ص164-165.

5 – نفسه، ص169.

6 – سبل الخيرات مؤسسة أو هيئة تنظر في مساجد المذهب الحنفي والأملاك المحبسة عليها والإعلانات.

انظر: نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص161.

7 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، ص، ص246، 247.

ولقد كان الجامع الكبير مقر للمفتي المالكي[1]، كان يعقد فيه مجلس كل يوم خميس يحضره كل من المفتي المالكي والحنفي، والقاضي المالكي والحنفي، وكبار العلماء والباشا، وكان المجلس ينظر في القضايا الفقهية الشائكة التي تحتاج إلى فتاوى من قبل العلماء. كما كان ينظر في القضايا والمنازعات التي لم تفصل فيها، ويشرف على توزيع المواريث على مستحقيها، وكان يعرف بالمجلس الشريف[2].

ومنه يمكن القول أن الوجود العثماني في الجزائر جعل ظهور المذهب الحنفي فيها ضرورة، رغم أن معظم السكان يتبعون المذهب المالكي، في حين يخضع الأتراك المذهب الحنفي، كما أن المساجد هي الأخرى صنفت إلى نوعين: مالكية وحنفية، والجدول التالي يبين ذلك:

جدول مساجد المذهب المالكي والحنفي في مدينة الجزائر[3]:

اسم المسجد	سنة التأسيس	المذهب
الكبير	1108م	مالكي
سيدي رمضان	1551	مالكي
سفير	1534	حنفي
السيدة	1565	حنفي
القصبة	1571	مالكي
خيضر باشا	1596	حنفي
كتشاوة	1612	حنفي
علي بتشين	1622	حنفي
الجديد	1664	حنفي
مزمورطو	1685	حنفي
بن خوجة	1693	حنفي
عبدي باشا	1726	حنفي
علي باشا	1785	حنفي
القصبة	1818	حنفي

1 – نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص155.

2 - Venture De Paradis, Alger au XVIII ème siècles, 2ème édition Bouslama, Tunis, pp. 157-1580

3 - Tall Shuval, op.cit., p. 194.

نلاحظ من خلال الجدول أن معظم المساجد يعود تأسيسها إلى القرن 16م و 17م، والجدير بالذكر أن معظمها بنيت على أنقاض زوايا أو مساجد مثل مسجد علي باشا بني في مكان زاوية سيدي لكحل سنة 1669م، ومسجد خيضر باشا بني في مكان مسجد الوالي الصالح أبو داود سليمان القبايلي، ومسجد السيدة أعيد بناؤه وبقي يحمل نفس الاسم سنة 1564م، الجامع الجديد بني مكان المدرسة العنانية والبعض منها استجد بناؤه مثل مسجد كتشاوة[1].

وإذا كانت مساجد العثمانيين في الغالب جيدة وأنيقة وكثيرة الأوقاف، فإن مساجد الأهالي كانت في الجملة متواضعة مبنية بالجبس أو الحجر، وقائمة على عرصات ضخمة وصوامع منخفضة، وليس فيها من الفرش سوى الحصير أو الزرابي البسيطة مع قليل من الإضاءة، أما المساجد العثمانية امتازت بدقة البناء واستعمال الزليج والرخام في العرصات والمحراب، وقناديل الزيت والثريات والزرابي الغنية والزخرفة والنقوش بالحروف العربية والتركية على الجدران، والعناية بالعيون والإضاءة والنظافة، كما شاع فيها استعمال الفسيفساء وزخرفة النوافذ والأبواب، ومن أجمل مساجد الجزائر مسجد السيدة، المسجد الجديد، مسجد كجاوة، مسجد علي بتشين[2].

وتختلف المصادر من حيث إحصاء مساجد مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، وتكتفي معظمها بالحديث عن المدن الرئيسية، كما أن بعضها لا تذكر إلاّ الجوامع أو مساجد الخطبة، ثم إن بعض الإحصاءات تختلط فيها المساجد المؤسسة قبل العهد العثماني. كانت في مدينة الجزائر خلال هذه الفترة عدة مساجد، كالمسجد الكبير، ومسجد سيدي رمضان، مسجد القشاش، ويسمى جامع سيدي رمضان أحيانا، مسجد القصبة أيضا، وقد سمي على ولي صالح مدفون فيه. ومسجد القشاش كان يعتبر من أجمل جوامع مدينة الجزائر، وكانت تتبعه زاوية بنفس الاسم[3].

وحسب **هايدو** كان في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني 100 مسجد من النوع الكبير والصغير، لكل واحدة منها إمام يصلي بالناس حسب مواقيت الصلاة المعتادة يوميا. تم بناؤها من طرف سكان مدينة الجزائر والأتراك، والكثير منها شيدت بطريقة جميلة

---

1 - Tall Shuval, op.cit., pp. 194-195.

2 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص، ص254، 255.

3 – نفسه، ص253.

فيها عرصات وأعمدة. ولم يستعمل في بنائها الرخام لأنه غير متوفر في الجزائر، لذلك شيدت بالحجارة والجير. وحسب **هايدو** من 100 مؤسسة دينية يوجد سبع مساجد رئيسية[1].

وحسب **دفــو** يذكر هو الآخر 13 جامع كبير، وهذا المصطلح يقصد به جامع الخطبة، لكن هناك بعض المؤرخين ذكروا أنه كانت في مدينة الجزائر نهاية العهد العثماني 14 جامع خطبة[2]. ففي سنة 1830 عدد المساجد 103 منها 14 على المذهب الحنفي و 89 على المذهب المالكي[3]، المساجد كانت داخل مدينة الجزائر، أما الزوايا والمقابر كانت خارجها، فتم إحصاء 13 جامع كبير و 109 من الحجم الصغير[4].

وانطلاقا من تقرير وضع من طرف السلطات الفرنسية سنة 1833م حول المؤسسات الدينية في مدينة الجزائر ذكر فيها الجامع والمسجد، حيث تم إحصاء 13 جامع الخطبة:

- جامع القشاش.
- جامع سيدي رمضان.
- جامع سفير.
- جامع خضر باشا.
- جامع علي بتشين.
- جامع سيدي عبد الرحمن الثعالبي.
- جامع سيدي علي الملياني.
- جامع بن هلال.
- جامع بن سلال.
- جامع سيدي الجودي، جامع قاع الصور، جامع سيدي الرحبي، جامع الصباغين، جامع البطحا، جامع خوجة باشا، جامع القايد علي، جامع المالكي، جامع البكوش قرب كتشاوة، المجموع 18 جامع من 100 مؤسسة دينية ذكرت في التقرير من مساجد وجامع وزوايا[5].

1 - Diego de Haëdo, op.cit., p. 207.

2 - Tall Shuval, op.cit., p. 193.

3 - Aumerat, **La propriété urbaine à Alger**, in R. A. n°41, Office des Publications Universitaires, Alger, 1897, p. 327.

4 - Aumerat, **La propriété urbaine à Alger**, in R. A. n°42, pp. 177-178.

5 - Archives National, série Z – Aix – Mi Bobine, 66.

تختلف الإحصائيات حول عدد مساجد مدينة الجزائر، فحسب وليام شالر المباني العمومية في الجزائر تتكون من تسعة مساجد كبيرة، هذا إلى جانب عدد لا يحصى من المساجد الصغيرة[1]. في حين يقول هايدو (Haëdo) أنه في مدينة الجزائر هناك نحو خمسين مسجدًا، يشرف على تسييرها رجال الدين، وتقام فيها الصلوات الخمس، والمساجد الرئيسية عددها سبعة هي: جامع القشاش – جامع السيدة – جامع سيدي الرهبي – جامع كتشاوة – جامع سيدي رمضان – الجامع الأعظم[2]. أما بايسونال (Peysonel) يقول أنه في مدينة الجزائر 10 مساجد كبيرة و 50 صغيرة[3]، ونفس الإحصاء قدمه لوراي (Le Roy)[4].

وفي نهاية العهد العثماني أحصى دفو (Devoulx) 166 مؤسسة دينية منها 13 جامع كبير و 109 مساجد صغيرة[5]. وحسب أوميرا (Aumerat) كان عدد المساجد في الجزائر سنة 1830م 103 منها 14 حنفية و 89 على المذهب المالكي[6].

مدينة الجزائر رغم الأوضاع السياسية التي عاشتها والدمار الذي لقيته، إلا أن وصف الرحالة لها كان يبين أنه كان فيها نشاط تعليمي واسع في مساجدها ومدارسها، فقد قال عنها عبد الرحمن الجامعي: "وأما مدينة الجزائر فأول بلد لقيت بها مثل من فارقته من أدباء بلدي فيها الأديب الماهر الدال وجوده على صحة القول... فهي الجزائر دار الفرد في الأدب وعلم العقل والنقل وتنبت العلماء والصالحين كما تنبت الماء البقل... وهذه المدينة لا تخلو من قراء نجباء، مساجدهم بالتدريس معمورة، ومكاتب أطفالهم بالقراءة مشهورة، وقد ذكرت ما فيه غنيمة من علمائها الأخيار، وكلهم متضلعون بعلم النحو"[7].

وقال عنها التمغروطي أواخر القرن 16م: "وفيها المسجد الجامع واسع، إمامه مالكي المذهب، وفيها ثلاث خطب إحداهما للترك إمامهم حنفي المذهب، وطلبة العلم فيها

---

1 – وليام شالر، مذكرات وليام شالر، قنصل أمريكا في الجزائر [1816 – 1824م]، تعريب وتعليق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص98.

2 - Diego de Haëdo, op.cit., pp. 207-208.

3 - Peysonel et Desfontaines, op.cit, p. 453.

4 - M. Le Roy, op.cit, p. 13.

5 - Aumerat, **La propriété urbaine à Alger**, in R. A. n°41,… op.cit., p. 327.

6 - Tall Shuval, op.cit., p. 193.

7 – عبد الرحمن الجيلالي، مرجع سابق، ص149.

لا بأس بهم، إلا أن حب الدينار وإيثار العاجلة والافتتان بها غلب عليهم كثيرا، والكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد إفريقية، وتوجد فيها كتب الأندلس كثيرًا"[1].

مدينة الجزائر لها آثار من العهد الزيري والحمادي لم يبق منها إلاّ الجامع الكبير الذي يعود تاريخ تأسيسه إلى سنة 490هـ/1097م، وكذلك جامع سيدي رمضان الذي يعود تأسيسه إلى هذا العهد. أما العهد التركي فقد لبست المدينة حلة معمارية جديدة اشتهرت بمساجدها[2].

وقد لاحظ جورج مارسي: إن أول ما يلفت انتباه المسافر عندما يحل بأرض الجزائر هو الوجود التركي الذي يتجلى فيما تركوه من آثار معمارية زاهية، وما تمثل المساجد والزوايا جزءًا كبيرًا. وقد بلغ عددها في العصر التركي ما جاء في وثيقة عثرنا عليها بقسم الوثائق 98 مسجدًا وزاوية[3].

1.2 – الجامع الأعظم:

عرف الجامع الأعظم خلال العهد العثماني كله نشاطا قضائيا ودينيا وتعليميا واجتماعيا وسياسيا مهما جدًّا غطّى على كل أنشطة الجوامع الأخرى التي بناها الولاة العثمانيون أنفسهم أمثال: الجامع الجديد، جامع القصبة، جامع كجاوة، جامع شعبان باشا، جامع صفر، جامع دار القاضي، جامع شابرليه وغيرها. والدور التعليمي لهذا المسجد كان من أبرز المظاهر التي تميز بها خلال العهد العثماني، إذ كان من بين موظفيه 19 أستاذًا يشرفون على تقديم الدروس[4]، حيث كان بمثابة معهد للدراسات العليا[5].

وذكر محمد زاكور في رحلته الشيوخ الذي قرأ عليهم في حلقات دروسهم بالجامع الأعظم بمدينة الجزائر "... فاهتديت بأنوارهم السنية إلى قطف ما رق من أنوراهم الجنية ورتعت في رياض آدابهم فتمتعت ونهلت من حياض علومهم حتى تضلعت وكرعت في أنهار بلاغتهم... ونست ببشرهم وتأنيسهم وما اقتبسته من المعارف في تدريسهم ما عانيته من رهج القفار وقاسيته في لحج البحار، إلى أن قال: فمهما أقبسني بكلتا يديه وأجازني

1 – أبى الحسن علي محمد الجزولي التمجروني، مصدر سابق، ص90.

2 – رابح بونار، "مدينة الجزائر، تاريخها وحياتها الثقافية"، مجلة الأصالة، العدد 08، ربيع الثاني، جمادي الأول 1392هـ/ ماي، جوان 1972م، ص83.

3 – عبد الرحمن الجيلالي، مرجع السابق، ص221.

4 – عبد الجليل التميمي، مرجع سابق، ص159.

5 - Tall Shuval, op.cit., p. 193.

رواية ما لديه العلم أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمن المانجلاتي... ثم أخبر أنه ختم كتاب جمع الجوامع عليه (سنة 1094هـ/1683م)"[1]. وكان قراءة الكتاب مع شراحه كالمحلي، وولي الدين العراقي والكوراني وحواشي مع بعض شراح مختصر ابن الحاج[2].

كما ذكر الشيخ المانجلاتي ما درس من الفنون والعلوم في مدينة الجزائر على يد علماء من أجلّهم الشيخ أبو الحسن علي ابن عبد الواحد السجلماسي الأنصاري، ويقول أنه لازمه أربع عشرة سنة بمدينة الجزائر، وقرأ عليه مع جماعة من الطلبة الأخيار. وأهم العلوم التي درسها الأصول، البيان، المنطق، الحديث، الفقه، السير، التصوف[3].

والملاحظ أن أهم العلوم التي كانت تدرس في الجامع الأعظم من العلوم الدينية، كما درس كذلك عند سعيد قدورة بن إبراهيم الجزائري إمام الجامع الأعظم أخذ عنه الحديث، الفقه، النحو، الحساب، الفرائض، علم التوقيت[4]. فقد وصف مدينة الجزائر في القرن الحادي عشر الهجري بأنها ازدهرت بأهل العلم والأدب[5]، والدروس العليا كانت تلقى في المساجد، وبالخصوص في الجامع الأعظم. ونزول العالم ابن زاكور بها من مدينة فاس ليقرأ على علمائها ومشايخها دليل على المستوى العلمي في الجزائر في تلك الفترة، لأن هذه الشخصية على معرفة فقهية وأدبية[6].

ومن أبرز العلماء والمدرسين في الجامع الأعظم أبو عثمان سيدي سعيد بن الحاج إبراهيم قدورة، الذي تولى الفتوى بها وأقرأ وعلم بالجامع الأعظم وانتفع به عدد كبير من الطلبة إلى أن توفي سنة 1066هـ/1656م. والحاج مهدي الحاج صالح، تولى خطتي الفتوى والخطابة بالجامع الكبير العالم الوجيه الأصولي البياني، وكان قد شغل منصب القضاء قبل ذلك، وبقي خمسة أشهر بعد تعمير الجامع الكبير يدرس الحديث، وكان له باع ويجمع عليه الجموع في الجامع[7].

---

1 – نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص، ص228، 229.

2 – نفسه، ص229.

3 – نفسه، ص229.

4 – نفسه، ص، ص228، 229.

5 – نفسه، ص226.

6 – نفسه، ص207.

7 – حسين بن رجب شاوش بن المفتي، مصدر سابق، ص107.

2.2 – الجامع الجديد:

وتسميته هذه بالنسبة إلى الجامع الأعظم، لأن مدينة الجزائر كان لها قبل تشييد الجامع الجديد مساجد أخرى حنفية بناها الأتراك، وكان في موضعه مدرسة بوعنـــان أو المدرسة العنانية، فهدموها ليتسع لهم المكان. وكان بناء الجامع الجديد على نفقة مؤسسة سبل الخيرات[1] سنة 1070هـ/1660م[2].

ولقد كانت تقدم في هذا المسجد دروس، فقد ورد في الوثائق التي تخص الموظفين ذكر: "مفتي حنفي، خطيب ومدرس فقه والتفسير حاجي أحمد أفندي" و "مدرس محمدية والمسيد إمام كجاوة"[3]. فقد تبين أن العلوم التي كانت تدرس في هذا المسجد منها الفقه، التفسير والحديث، كغيرها من مساجد مدينة الجزائر التي تدرس فيها خاصة العلوم الدينية.

لكن الملفت للانتباه من خلال اطلاعنا على الوثائق أن العلماء لم يقدموا الدروس في مسجد واحد، بل يمكنهم التنقل عبر مساجد المدينة، وإلقاء الدروس فيها، كما يمكن للإمام أن يقدم دروس في (المسيد) وفي نفس الوقت في المسجد مثلا "مسيد مع دروس المحمدية في الجامع الجديد عثمان خوجة"[4]. كما هناك من استقر في منصبه لعدة سنوات مثل محمد بن علي بن المهدي بن رمضان بن يوسف العلج، كان مفتيا وخطيبا ومدرسا بالجامع الجديد لمدة 6 سنوات[5].

3.2 – مسجد عبدي باشا:

هذا المسجد كانت تقدم فيه دروس في الفقه والحديث، كذلك مسجد عبدي باشا، فقد ورد في الوثائق من بين الموظفين، أو كما عرفوا في الوثائق "ناس المساجد" مدرسين "لراوي الحديث المدرس"[6].

---

1 – مؤسسة سبل الخيرات كانت هيئة أو إدارة لها النظر في مساجد المذهب الحنفي، والأملاك المحبسة عليها، أنشئت في أواسط القرن الحادي عشر الميلادي، وبقيت إلى حوالي 1841م. انظر: نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص161.

2 – نفسه، ص161.

3 – سجلات بيت المال والبايلك: العلبة 8، السجل 40.

4 – نفسه.

5 – حسين بن رجب شاوش بن المفتي، مصدر سابق، ص92.

6 – سجلات بيت المال والبايلك: العلبة 8، السجل 40.

4.2 – جامع كتشاوة:

مسجد حنفي شيد في السنوات الأولى من القرن 11هـ/17م، والداي بابا حسن باشا أعاد بناءه وزاد في توسيعه سنة 1209هـ/1795م[1]. وأقدم وثيقة حول المسجد تعود إلى سنة 1071هـ/1612 – 1613م تؤرخ إلى وجود المسجد[2].

كما أن الوثائق تؤكد أن هذا المسجد كان له نشاط تعليمي من خلال تأسيس زاوية ملحقة بالمسجد أهم المدرسين فيها سنة 1244هـ/1828م السيد الحاج حمودة. كما أن المسجد كانت تلقى فيه دروس من طرف مفتي السادات الحنفية، ومفتي السادات المالكية[3].

5.2 – جامع سفير:

هو من المساجد العتيقة بمدينة الجزائر في حي الجبل، شيده القائد صفر بن عبد الله من ماله الخاص، وكان من أعيان مدينة الجزائر، وكانت له معرفة باللغة العربية سنة 941هـ/1535م.

6.2 – جامع مزمورطو:

من أشهر مدرسيه محمد بن العالم محمد بن أحمد بن موسى النيقرو، تولى مكان أبيه بالتدريس بجامع مزمورطو بباب عزون، وكان والده يجمع بين الفتوى والخطابة والتدريس بالجامع الأعظم ورواية الحديث بزاوية الأندلس[4]، وابنه الآخر محمد بمسجد ستنا مريم[5].

من مميزات مساجد مدينة الجزائر أنها كانت ملحقة إما بالكتاب أو المسيد لتعليم الصبيان، كما سبق ذكره أو كانت ملحقة بالزاوية مثل جامع كتشاوة، جامع محمد الشريف الزهار، هذه الزوايا هي مدارس للتعليم، فهذه الأخيرة كان يقام فيها درس في التوحيد في

1 – نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص164.

2 - A. Devoulx, Les édifices religieux de l'ancien Alger, in R. A. n°67, janvier 1868, Bastide, librairie éditeur, Alger, p. 107.

3 – سجلات البايلك: ع33، س329.

4 – حسين بن رجب شاوش بن المفتي، مصدر سابق، ص112.

5 – جامع ستنا مريم قرب باب الواد المشهور بمسجد ابن نيقرو ومسجد ستنا مريم تسميته الصحيحة مسجد ستي مريم وهي امرأة محسنة أعادت بناءه لقدمه من من مالها الخاص أواخر القرن 11هـ. انظر: نفس المرجع السابق، ص93.

ليالي رمضان. وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار أن عملية فصل الكتاب عن المسجد جاءت من باب إبعاد الصبية والنجاسة عنه كما سبق ذكره، وأن إلحاق المساجد بالزوايا من منطلق أن الزوايا تساعد المساجد في العملية التعليمية. ولربما خصصت الزوايا للدراسة الثانوية والمساجد كمعاهد تدرس فيها الدراسات العليا، والجامع الأعظم كمثال عن ذلك. وكذلك نقص المؤسسات التعليمية، وغياب مؤسسة تشرف عليها، جعل التنسيق يكون بين الكتاب والمسيد والزوايا والمساجد لإتمام المسار الدراسي لطلاب العلم في مدينة الجزائر، ويمكن اعتبار هذا التقليد أنه ساهم بشكل كبير في انتشار التعليم واستمراريته.

3 – مساجد بايلك الشرق:

الملفت للانتباه من خلال دراسة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، أنه لا تخلوا مدينة من مدنها على الجامع الأعظم أو الجامع الكبير، اعتبارًا أنه الأقدم أو لأنه من المعاهد العليا تلقى فيه الدروس وأهم العلوم.

فمدينة عنابة كان بها الجامع الكبير الذي ذكره أحمد ساسي البوني التميمي، أين ختم فيه دراسة رسالة أبي زيد، وذكره باسم الجامع الأعظم أي جامع سيدي أبي مروان. كما أشار إلى وجود علماء البلد وفضلائها وخواصهم وعوامهم سنة 1140هـ/1727م[1]. والمعروف أن أحمد بن قاسم البوني درس فيه (1653م – 1726م) وبرع في العلوم الشرعية، ويعتبر من أبرز مرابطي وعلماء القرن 11هـ/17م[2]. كما درس به أبو عبد الله محمد المراكشي الضرير، العالم، القارئ، الناظم، الناثر، النحوي اللغوي العروضي، قدم إلى عنابة بعلوم كثيرة ونوادر غزيرة، وكان يدرس بالجامع الأعظم[3]. فلقد عرفت عنابة حياة فكرية نشطة وكانت مسقط رأس قائمة طويلة من رجال العلم والمعرفة، وكان المسجد مركز إشعاع ثقافي وتعليمي خلال العهد العثماني، فكانت المدينة بها 37 مسجد، وبعد الاحتلال لم يبق منها سوى 15 مسجدًا[4].

---

1 – أحمد بن قاسم البوني، الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، تحقيق: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، 2007، ص، ص27، 28.

2 – عبد المنعم القاسمي الحسني، مرجع سابق، ص–ص91-279.

3 – أحمد بن قاسم البوني، المصدر السابق، ص، ص129، 130.

4 – بوعمران الشيخ، مرجع سابق، ص117.

أما عنابة يوجد بها في آخر القرن 18هـ حوالي 37 جامعا أشهرها جامع سيدي مروان[1]، الذي هو جامع رباط عنابة في أعلى الجبل، وكانت به مكتبة كبرى. وجامع الباي وهو الجامع الحنفي ويسمى أيضا الجامع الحنفي والجامع الجديد تركي الطراز بديع الزخرفة بناه صالح باي (1775 – 1792م). وجامع الرمانات إذ جرت العادة زرع رمانات بصحون الجوامع للظل والزيادة في الجمال، وهناك جامع رابع سمي جامع الشبكة اضمحل وحل محله زاوية سيدي عبد الرحمن[2]. فقد كان مسجد سيدي مروان تلقى فيه الدروس، حيث درس فيه محمد بن حمدان العطار، كان إماما ومدرسا بجامع سيدي رمضان بالقصبة، تتلمذ على يده العلامة أحمد بن محمد العمالي كبار علماء الجزائر في القرن 19م، والعلامة المدرس محمد القزادري وأحمد حفيد السعيد قدورة[3].

مدينة قسنطينة كان بها 35 مسجدا[4]، أهمها الجامع الأعظم بسوق الغزل، مؤسسه حسن أبو حنك ابن علياني حسين (1629 – 1700م) لما تولى ولاية قسنطينة، أسسه في حومة رؤوس الدوامس وهو المسمى حاليا جامع الباي[5]. وكان عبد الكريم الفكون (الجد) معتكفًا على الإقراء والتدريس فيه، وكان إماما بالجامع الأعظم وخطيبه من تلامذته الشيخ الوزان[6]، وهو أبي حفص عمر الوزان، كان بحرًا لا يجارى في العلوم فقهًا وأصولاً ونحوًا وحديثًا، وكان يقرأ على عادته بالجامع الأعظم[7].

كان لصالح باي مآثر عمرانية، ساهمت في إعادة مجدها الثقافي، من بينها تأسيس مسجد سيدي الكتاني في حي سيدي الكتاني سنة 1976[8]. وحسين باي هو الذي بنى الجامع الأخضر، وجعل عليه أوقافا، وحيث مات دفن فيه[9].

---

1 – أبا عبد الملك مروان بن محمد، نشأ بالأندلس فسكن قرطبة، واشتغل بالعلوم الشرعية، وتخرج على يده جمع من العلماء وانتقل إلى بونة، وعمر هذا المسجد بعلمه ودروسه. انظر: عبد الرحمن الجيلالي، "مسجد سيدي العتيق بعنابة، مجلة الأصالة، العدد 34-35، ص198.

2 – عثمان العكاك، "عنابة قبل الإسلام"، مجلة الأصالة، العدد 34-35، السنة الخامسة، جمادي الثانية، رجب 1396هـ/ يونيو، يوليو 1976م، ص، ص56، 57.

3 – عبد المنعم القاسمي الحسني، مرجع سابق، ص102.

4 – بوعمران الشيخ، مرجع سابق، ص117.

5 – أحمد بن المبارك بن العطار، تاريخ قسنطينة...، مصدر سابق، ص126.

6 – عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص48.

7 – نفسه، ص، ص35، 36.

8 - Peysonel et Desfontaines, op.cit, p. 347.

9 – أحمد بن المبارك بن العطار، المصدر السابق، ص130.

وحسب Peysonel et Desfontaines، قسنطينة كانت بها 13 مسجدًا هي: جامع الكبير، سيدي عبد الرحمن، سيدي عبد القادر، سيدي جاسمين، جامع الباي، سيدي الكتاني، سوق الصوف، القصبة، سيدي عبد الرشيد، باب القنطرة، سيدي بوعنابة، سيدي بولنبة، سيدي قاسي[1].

إلا أن قسنطينة تميزت مساجدها، بأن كل واحد فيها إلا وفيه شيخ ولي صالح دفن في المسجد وينسب إليه، ويقال مسجد فلان كسيدي أحمد بن عيم الناس. وسيدي أبي عبد الله الشريف، وسيدي عبد المؤمن، وسيدي الرماح وسيدي مفرج، وسيدي عمر الوزان، وسيدي عبد الكريم الفقون، وسيدي عبد اللطيف وغيرهم ممن لا يحصى[2].

قسنطينة كانت بها مساجد تعرف نشاطا تعليميا خاصة الجامع الأعظم، حيث قال عنه أبو القاسم الزياني "كنت أقصد المسجد العتيق بها، فاجتمعت بإمامه وخطيبه الولي الصالح أبي البركات سيدي مبارك، كما اجتمعت مع الفقيه العلامة الصوفي أبي الحسن علي ابن مسعود الونيسي وانسنا بمذكراته ومحاضراته"، فكان المسجد ملتقى لأهم العلماء تلقى فيه المحاضرات ذات المستوى العالي.

كما ذكر لنا علماء آخرون من بينهم المفتي الفقيه القاضي أبو عبد الله سيدي الحفصي العلمي، وسيدي أبو القاسم المحتالي، والعلامة سيدي أحمد بن المبارك العلمي، كما أشاد بحسن آدابه ومستوى محاضراته[3]. وفي نفس الانطباع والوصف أشاد به الورتلاني عند نزوله قسنطينة حيث ذكر مجموعة من العلماء والنجباء في شتى العلوم النحوية اللغوية والفقهية، المنطق، البيان والحديث، الأدب، وقال أن فيها أفاضل العلم والإصلاح والورع والزهد[4].

ومن أشهر المدرسين أحمد بن عمر القسنطيني الذي تولى التدريس في الجامع الأعظم ولاقت دروسه صدى طيبًا، فكان يحضرها عدد كبير من الطلبة والمتشوقين للعلم والمعرفة[5].

---

1 - Peysonel et Desfontaines, op.cit, pp. 348-349.

2 – الورتلاني، مصدر سابق، ص800.

3 – أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى...، مصدر سابق، ص، ص153، 154.

4 – الورتلاني، المصدر السابق، ص، ص798، 799.

5 – عبد المنعم القاسمي الحسني، مرجع سابق، ص88.

– عبد الكريم بن محمد الفكون (الحفيد) (988 – 1073هـ/1580 – 1663م) أسندت له الإمامة والخطابة بالجامع الكبير بقسنطينة سنة 1635م، حتى انتهت إليه رئاسة العلم بقطره، إفتاء وتدريسا وتصنيفا[1].

– مصطفى بن الشاوش القسنطيني، أديب ونحوي، فقيه، من أهل قسنطينة، تصدر التدريس، والإقراء والخطابة بالجامع الأخضر[2].

– أبو الفضل الغربي، تصدر للإفتاء بمدينة قسنطينة ودرس بها، وذكر أنه تصدر للتفسير، وكان الغالب عليه فن الحساب والتعديل وله مخالطة بالمنطق[3].

– محمد بن مزيان التواتي، أصله من المغرب، وانتقل إلى جبل زواوة فقرأ ابن الحاجب على قطب دائرتها في زمنه الفقيه أبي محمد عبد الله محمد بن مصباح، وكانت له بالنحو دراية ومعرفة وكان يلقب بسيبويه، وانتقل إلى نقاوس ودرس بها، وكانت شهرته بقسنطينة، وبها انتشر علمه وأقبلت إليه الطلبة وانتفعوا به، وكانت له مشاركة في الأصول والمنطق والبيان[4].

– أبو عمران موسى الفكيرين، ممن تعاطى الإفتاء والتدريس، وهو من تلامذة التواتي، قرأ عليه الفروع ابن الحاجب، ومن علم الكلام عقائد الشيخ السنوسي، تصدر للتدريس في أيام إقامة الشيخ التواتي بقسنطينة. وبعد انتقاله منها اجتمع عليه كل طلبته مع بعض الطلبة المغاربة، والمراد بها أهل وسط الجزائر وما جاورها غربا لإقراء المرادي[5].

– محمد البوزيدي، تصدر للتدريس بقسنطينة كان يقرأ عقائد الشيخ السنوسي، ويدرس في جامع القصبة وبغيره[6].

4 – مساجد بايلك الغرب:

عرفت حواضر الغرب مساجد متعددة بلغ عددها في مدينة تلمسان 50 مسجدا، أغلبها صغيرة، وهناك من يعطينا رقما إجماليا للمدينة وضواحيها، حيث بلغت 60 مسجدًا،

---

1 – عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص، ص214، 215.

2 – عادل نويهض، مرجع سابق، ص265.

3 – عبد الكريم الفكون، مصدر سابق، ص، ص51، 52.

4 – نفسه، ص58.

5 – نفسه، ص93.

6 – نفسه، ص113.

وأهم مساجد تلمسان المسجد العظيم والذي يوجد بوسط المدينة، إضافة إلى هذا المسجد، فلقد كان هناك مساجد الأحياء، وهنا نشير إلى مساجد حي الحضر ومسجد المشور[1].

وكما سبق ذكره فقد كان للباي محمد الكبير أيادي بيضاء في تشجيع الثقافة والتعليم وبعثهما من جديد في بايلك الغرب، فقام ببناء المساجد، فكان أول عمل قام به في معسكر أنه شرع في إصلاح مساجد الجمعة، فزاد في جامع السوق الصفين المقدمين، ثم نقض الجامع العتيق (الجامع الأعظم الحالي) وأعاد بناءه وزاد فيه، وأبدل منبره، ثم شرع في بناء مسجده العظيم، الذي لم يبن أمير مثله إتقانا وحسنًا، ورتب له مدرسين أحدهم للتفسير والحديث والثلاثة لغيرهما[2]. وقد زارها أحمد بن السيد محمد بن علال شهر بالمقري، فقال في هذا الجامع قصيدة:

ترى المدرس قد علا كرسيــه ★★★ يلقى على العلماء جب الجوهر

تحويه مدرسة غــدت آثارهــا ★★★ تحييه بالعلم الشريف الأشعري

تمحي رسوم الجهل من ألواحه ★★★ تحمي شمائله من الزور السري[3]

ومن خلال هذه الأبيات التي تصف لنا الوضع التعليمي في مدينة معسكر، ما هي إلاّ دليل على أنّها كانت عاصمة بايلك الغرب، ومركز إشعاع علمي يقصدها الطلبة والعلماء لاكتساب العلم والمعرفة، أو للحصول على كرسي تدريس في مسجدها الذي اعتبر معهد للدراسات العليا.

مساجد مدينة معسكر أهمها المساجد الثلاثة الرئيسية: مسجد السوق، المسجد العتيق، المسجد الكبير، ويعتبر المسجد الكبير الذي شيده الباي كما سبق ذكره، والمعروف باسمه من أروع وأهم مساجد الإيالة. أما أهم مساجد الأحياء فنذكر منها حي عرقول إسماعيل[4]. ومسجد بحومة باب علي بمعسكر، قام ببنائه العالم علي بن أحمد الشريف في القرن 10 – 11هـ/16 – 17م، ونصب نفسه لتعليم العلم[5].

1 – الواليش فتيحة، مرجع سابق، ص167.

2 – أحمد بن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص، ص135، 136.

3 – نفسه، ص، ص138، 139.

4 – الواليش فتيحة، المرجع السابق، ص168.

5 – علي بن محمد الشريف، درس عند العلامة محمد بن علي المجاجي في مجاجة، ثم رجع إلى معسكر، واشتغل ببث العلم. انظر: عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف...، مرجع سابق، ص256.

كما عرفت حواضر بايلك الغرب بانتشار المساجد بها، فتمثلت مساجد مازونة بعد المسجد المركزي، في مساجد الأحياء الأربعة، حيث أن كل حي كان يضم مسجدًا. وبلغت مساجد مدينة مستغانم 11 مسجدا وأهمها المسجد الكبير الذي يوجد بمركز المدينة، شيد ما بين (1340 – 1341م)، ويعود تاريخ أقدم مسجد بهذا الحي إلى سنة 742هـ/1341م أي العهد المريني. ومساجد مدينة ندرومة بلغ عدد 12 مسجدًا، أهمها المسجد الكبير الذي يعود تاريخه إلى القرن 11م، أي عهد المرابطين[1].

مدينة وهران من الناحية الثقافية، فقد أجمع المؤرخون أنها كانت من المدن العلمية التي يقصدها الطلبة لحفظ القرآن الكريم ولإتمام دراساتهم الشرعية في مختلف العلوم الدينية. ومن أهم مشاريع الباي محمد الكبير الثقافية في وهران بناء مسجد الباشا أكبر مساجد المدينة آنذاك[2].

كما كان لوهران جامعها الأعظم تعقد فيه حلقات للتعليم والتدريس، ومن أشهر المدرسين به أحمد التهامي من العلماء والفقهاء، استفاد منه عدة علماء في علم الفقه، وكان له مجلس للتعليم يعقده في الجامع الأعظم بوهران، وكان مليئًا بالطلبة الذي يصل عددهم إلى خمس مائة طالب وقد يقرب من الألف. وقد برع وتمكّن في الفقه، فهو يملي من حفظه حاشية الخرشي على الطلبة من غير أن ينقص منها حرفا أو يزيد[3].

5 – مساجد المدية وجنوب الجزائر:

أما مدينة المدية، كان بها أربعة مساجد، مسجد مراد للمذهب الحنفي والجامع الأحمر، ومسجد بالثكنة العسكرية ومسجد سيدي سليمان وتهدم وبقيت الزاوية لقراءة القرآن لحد الآن. والمسجد المالكي الذي جدد في عهد مصطفى باي (1227 – 1237هـ/ 1812 – 1813م). فمن خلال كتاب الألماني (هـ. ومال سان)، يتضح أن هذا العصر عرف ازدهارًا من الناحية الثقافية والاجتماعية[4].

جنوب الجزائر بصحرائه الواسعة لم يخلُ من المؤسسات التعليمية والتي كان في مقدمتها المساجد، فقد تطرق إليها الذرعي في الرحلة الناصرية، من بينها زاوية خال بن سنان في بلاد الزاب بها قبره وعليه مسجد عظيم. كما ذكر مسجد في بسكرة في غاية

1 – الواليش فتيحة، مرجع سابق، ص158.

2 – نفسه، ص158.

3 – عبد القادر بلغيث، مرجع سابق، ص155.

4 – عبد الرحمن الجيلالي، مرجع سابق، ص، ص248، 249.

السعة وإتقان البناء، لكنه وصف الحالة العلمية فيها متدهورة قائلا: "فوجدنا أكثر حوماتها خاليا ومساجدها داثرة، ولقيت بهذه المدينة سيدي محمد الصالح، وهو رجل من أهل الخير منفرد في مسجد له، بإزاء داره يلازم فيه الصلوات الخمس، ويجتمع إليه ناس من أصحابه، يذكّرهم ويعلّمهم"[1]، كما ذكر مسجد سيدي أبي الفضل.

وفي نفس السياق أشار الذرعي في رحلته أن بسكرة عرفت وباء، مات فيه سبعين ألف شخص، لذلك يمكن اعتبار هذا السبب في خلوة المساجد من سكان المدينة، لذلك لا يمكننا الجزم أن حالة التعليم عرفت تدهورًا، زد على ذلك طبيعة المناطق الصحراوية وقلة سكانها.

أما الأغواط فهي بلدة كبيرة محاطة بسور، ولها أربعة أبواب وأربعة مساجد، ولغة سكانها هي العربية، وغرداية أكبر قرى وادي ميزاب، تضم هذه البلدة ألفين وأربعمائة مسكن، بما في ذلك المساجد، وتيميمون بها أربعة مساجد، وفي توات عدد من المساجد والسكان، فيها يصومون ويقرؤون ويزكون. أما بلاد شنقيط تيميمون، يقرأ سكانها القرآن بكثرة حتى النساء يقرأنه، وغدامس فيها عدد كبير من العلماء والطلبة، ولمساجد تقرت منارات عالية[2].

فمن خلال وصف الأغواطي الحاج ابن الدين الجنوب الجزائري، تبين لنا انتشار المساجد بها، وقراءة القرآن ولغة سكانها العربية دليل على انتشار التعليم بها، كما كان للعلماء وأعلام التصوف الفضل الكبير في ذلك، نذكر على سبيل المثال محمد بن محمد الطيب الخنقي، ولد سنة 1078هـ/1667م بخنقة سيدي ناجي، تتلمذ على علماء الزاوية (زاوية خنقة سيدي ناجي التي سبق ذكرها)، كما أخذ العلم بتونس وكان له الفضل في بناء مسجد سيدي المبارك سنة 1734م، والذي أصبح منارة علم وصرحا لتلقي المعارف الدينية، أنار في عهده وبعده زمنا طويلاً[3]. كذلك أحمد بن يوسف التنلاني (1002 – 1078هـ/ 1590 – 1666م)، كان عالما صوفيا ماهرا في علم الحديث وغيره، ولد في أولاد أنقال بالجنوب الجزائري، انتقل إلى تنلان سنة 1058هـ/1647م للتدريس بعد بناء مسجدها[4].

---

1 – أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، مصدر سابق، ص، ص135، 139، 140.

2 – أبو القاسم سعد الله، مجموع رحلات...، مرجع سابق، ص، ص87، 88، 89، 90، 93، 94، 97، 98، 100.

3 – عبد المنعم القاسمي الحسني، مرجع سابق، ص، ص358، 359.

4 – نفسه، ص128.

لا تكاد المؤسسات الثقافية بالجزائر في العهد العثماني تنفصل عن المسجد والكتّاب والمدرسة والزوايا والمكتبات، لكن الملاحظ أن معظمها كان للتعليم أكثر من الثقافة بمفهومها المعاصر، وظهور هذه المؤسسات كان نتاج الأوضاع السائدة في الجزائر في تلك الفترة في ظل غياب هيئة رسمية تقوم بتأسيس مؤسسات تربوية وتعليمية وتشرف عليها. ظهرت هذه المؤسسات رغم ازدواجية مهامها الديني والتعليمي لسد هذا الفراغ، وحماية المجتمع الجزائري من خطر الأمية، لأنها رغم نقص إمكانياتها استطاعت تعليم المجتمع اللغة العربية والدين الإسلامي، فلا يوجد فرد يجهل القراءة والكتابة، وهذا حسب ملاحظات قدمها الفرنسيين في التقرير حول بداية الاحتلال.

ولا بد من الإشارة إلى تداخل الوظائف بين كل من المسجد والمدرسة والزاوية في ميدان التعليم، إذ كانت بعض المساجد والزوايا تؤدي وظيفة المدرسة في نشر التعليم بجميع أطواره وخصوصا التعليم الثانوي. والعلاقة القائمة بينها علاقة تكاملية لسد العجز والنقص في هذه المؤسسات، خاصة في المناطق الريفية، كما كانت بعض المدارس ملحقة بالزوايا وأخرى ملحقة بالمساجد. وفي بعض الأحيان يصعب الفصل بينهما، والتمييز بين الوظائف التي تقدمها كل واحدة منهما. لأن التعليم في الجزائر يقوم على أساس ديني، يهدف إلى تعليم الفرد القرآن الكريم والعلوم الدينية.

الباب الثاني:

نظام التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني

الفصل الأول:

مناهج التدريس ومراحل التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني

المبحث الأول: مناهج التدريس

المبحث الثاني: مراحل التعليم

المبحث الثالث: المعلمين والطلبة

نظام التعليم يقصد به وضع نظام تربوي تعليمي يهدف إلى ضبط شؤون التعليم، ففي الجزائر خلال العهد العثماني لم يكن التعليم مؤسسة رسمية تشرف عليه وتدبر شؤونه، بل كان جهد الأفراد الذي يعنيهم أمر التعليم. ومع هذا لا يمكننا القول أن الجزائر لم يكن فيها نظام تعليمي، على أساس أن معظم السكان يعرفون قراءة القرآن الكريم محور جميع الدراسات في ذلك العصر. كما عرف عن المجتمع الجزائري بعنايته بالحديث الشريف، حيث بذلت جهود لحفظه وروايته وتحقيقه.

وكون فلسفة التربية في المجتمعات الإسلامية كانت بشكل أساسي تقوم على تعليم القرآن الكريم والحديث الشريف، لذلك لا يمكننا القول أن الجزائر خلال العهد العثماني لم يكن لها نظام تعليمي كغيرها من المجتمعات الإسلامية. وقد استطاع هذان المصدران تكوين قيم وعادات وتقاليد لدى المجتمع الجزائري ميزته عن غيره. فالأسرة الجزائرية حرصت كل الحرص على ذهاب أطفالها إلى الكتاب والدراسة، ويمكن القول أن ذلك كان إجباريا نوعًا ما، وهذا امتثال لأوامر القرآن الكريم والحديث الشريف.

ورغم أنه لم يكن هناك هيئة رسمية تسهر على النظام التعليمي من خلال القوانين والأنظمة، إلاّ أنه كانت هناك مجموعة من الأعراف والتقاليد غير مكتوبة، وفي بعض الأحيان تدوّن في كرّاس ويلزم الطالب الاطلاع عليها واحترامها، كما كان معمولاً به في بعض الزوايا كما سبق ذكره. هذه التقاليد كانت معروفة جيدا وسط المجتمع لأنها غدت ممارسات سلوكية يومية ومتوارثة، تتناقل عبر الأجيال حتى أصبحت جزء أساسي من ثقافتهم، ومعروفة عند عامة الناس.

ومهما يكن فإنّنا نلاحظ هنا، على الرغم من الانتقادات الشديدة التي قد توجه للعثمانيين في الجزائر، بسبب عدم اهتمامهم بقطاع التعليم وتركه حـرًا، يتطـور سلباً أو إيجابًا حسب ظروف البلاد الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، فإنه كان هناك تعليم تقليدي في البلاد له مؤسساته ونظامه الخاص به، شأنه شأن ما كان سائدا في هذا المجال في فترات الضعف والانحلال في البلدان العربية. رغم هذه السياسة إلاّ أن المدن الجزائرية كانت متطورة بعدد مؤسساتها التعليمية التي كانت تهتم بالتعليم(1).

---

1 – عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830 – 1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص، ص102، 103.

وتشهد كتب الرحالة الأجانب الذين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني أن التعليم كان منتشرًا، وأن كل جزائري تقريبا كان يعرف القراءة والكتابة، وقد كان التعليم حرا من سيطرة الدولة، فكان سكان كل قرية ينظمون بطرقهم ووسائلهم الخاصة تعليم القرآن والحديث والعلوم العربية والإسلامية[1]، وكان تمويل التعليم أساسًا من عائدات الأوقاف. ولقد كان في الجزائر نظام تعليمي يقوم على منهج يتبع في التدريس ومراحل للتعليم يتنقل فيها التلميذ من المرحلة الابتدائية إلى الثانوية، ومنها إلى التخصص في الدراسات العليا، وكان لكل مرحلة برنامج دراسي يتمثل في عدة علوم يتلقاها التلميذ خلال كل مرحلة. النظام التعليمي كان قائمًا على مجموعة من الأعراف والتقاليد التي فاقت قوتها قوة الأنظمة والقوانين، لغياب مؤسسة رسمية كانت مسؤولة عن التعليم في الجزائر.

---

1 – أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1988، ص159.

المبحث الأول: مناهج التدريس

سلك المعلمون والمدرسون في الكتاتيب والمدارس والزوايا، أساليب مختلفة ومتعددة لنقل ما عندهم من المعلومات، فقد كان كل معلم يجتهد أن تكون له أساليب التي يجذب من خلالها الطلاب إليه، متأثرا بخبراته السابقة وبأساليب المعلمين الذين أخذ عنهم والتقى بهم، ويضيف إلى ذلك ما يستطيع ابتكاره وتجريبه. والميزة التي تميز بها منهج التدريس في الجزائر خلال العهد العثماني أنه يختلف من مرحلة إلى أخرى (الابتدائية، الثانوية، العليا)، لكن السمة المشتركة بينهما أنه يعتمد أساسًا على الحفظ والعلوم الدينية.

1- منهج التدريس في الكتّاب:

منهج التعليم المتبع في المرحلة الابتدائية في الكتاب كان بسيطًا، لأن التلميذ يكون صغير السن، لذلك كان يتماشى مع القدرات الفكرية والاستيعاب حسب السن، فكان التلاميذ يتحلقون حول مؤدب الصبيان مستعملين أدوات بسيطة كما سبق ذكره، تتمثل في اللوح وأقلام من القصب. وطريقة التدريس المتعامل بها في الكتاب هي نفسها المتعارف عليها منذ عصور ماضية، تقوم على التدوين والحفظ، فكان التلميذ يكتب درس اليوم على اللوحة، وإذا حفظ الدرس أجاز له المدرس كتابة درس جديد لحفظه، وهكذا على التوالي حتى يتمكن من حفظ القرآن الكريم كلّه[1].

منهج التدريس المتبع في المرحلة الابتدائية بسيط لدرجة أنه قد يبدوا لنا أنه من المستحيل أن يتعلم الطالب أن يكتب خطا جميلاً بهذه الطريقة، ولكن مما يدعو إلى الدهشة والتعجب أنهم يكتبون خطا عربيا في غاية الجمال، فكانت المصاحف المكتوبة بالخط العربي يشرّف أعظم مكتبة في العالم أن تقوم بإنجاز مثلها[2]. كما أن طريقة التدريس في الكتاب انتهجت أسلوب موحد يجمع بين تعليم القراءة والكتابة في نفس الوقت، والفضل فيها يرجع إلى جمال الخط، وهذا النّظام التّربوي لا إلا يكلّف شيئًا قليلاً من المال[3].

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص339.

2 - جيمس كاثكارت، مرجع سابق، ص98.

3 - وليام شالر، مصدر سابق، ص82.

كان التلاميذ يتحلقون حول المؤدب في دائرة يدرسون يجلسون متربعين، وكان مؤدب الصبيان يجلس في صدر الكتاب متربعًا مسندًا ظهره إلى الجدار مرتديا عمامة وجبة، وبيده عصا طويلة تصل إلى أبعد تلميذ لتأديبه عند الحاجة. فقد اتّبع المؤدبون طريقة تقليدية في تحفيظ الصبية القرآن الكريم وتعليمهم القراءة والكتابة ومفاهيم الحروف وحدودها، مع ضرورة الالتزام بالانضباط، وكان الصبية يستعملون ألواح من خشب يطلونها وينظفونها بعد عرض ما حفظوه على مؤدبهم وتهيئتها لاستعمالها صبيحة الغد وملئها من جديد بإملاءات المؤدب من حفظه أو بالرجوع إلى المصحف[1]. فكان اللوح هو محور العملية التربوية في الكتاب، لا يمكن الاستغناء عنه، فهو بمثابة الكراس الذي يدون عليه التلميذ دروسه. فكل تلميذ يحمل لوحة يمكن الكتابة عليها ومحو ما كتب بسهولة، وكل تلميذ مجبر على كتابة سور القرآن بوضوح وخط سليم، والتلميذ الذي يتعلم معنى الكلمة وطريقة كتابتها يقوم بتعليم ذلك للتلاميذ الآخرين[2].

وكان منهج التدريس المتبع في المرحلة الابتدائية في الكتاب يعطي نتائج إيجابية، لأنه يبدأ في سن مبكر (5 سنوات)، هذا ما سمح بإعطاء نتائج سريعة، بحيث أنه يمكن للطفل وخلال فترة قصيرة من تعلم الأبجدية العربية، فضلا عن قراءة وحفظ عدد كبير نسبيا من سور القرآن الكريم. ولطالما تميز التعليم الكتابي بالشعبية، ولا يرتبط بالمكانات الاجتماعية لأبناء المجتمع، كما أنه عاش وارتحل رفقة الجماعات الرعوية المتنقلة، وهو بهذا يتميز عن غيره من مراحل التعليم بميزة فريدة من نوعها. كما أنه نتاج مبادرات شعبية نابعة من تقدير المجتمع الجزائري للتعليم. وإن كان الكتاب مؤسسة متواضعة من حيث المنهج الدراسي والوسائل البيداغوجية، إلاّ أن العملية التربوية كانت تتضمن استخدام طرق بيداغوجية متوارثة، تشبه أحدث الطرق التي توصلت إليها علوم التربية في وقتنا الحالي، ويبقى لمعلم الكتاب الفضل والريادة في هذا المجال[3].

كما أن مؤدب الصبيان والمعلم في الكتاب مختار من طرف الأولياء لحسن خلقه، وكانت العلاقة بين المعلم والتلاميذ مبنية على الانضباط والاحترام. فلطالما كان التلميذ

---

1 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، المرجع السابق، ص339.

2 – وليام شالر، المصدر السابق، ص82.

3 – مصطفى زايد، مرجع سابق، ص، ص130، 131.

يحترم معلمه، فهو الوالد الروحي، لأن هذا الأخير تجمعه علاقة عاطفية مع تلاميذه، فهو يحرص على دراستهم وتعليمهم، وكان بعض المؤدبين يسلكون مع تلاميذهم مسلكًا تربويًا جيدًا، فيشاطرونهم ألعابهم ونحو ذلك، حتّى أن البعض منهم يقاسمهم بعض الألعاب، منها الكرة[1].

2- منهج التدريس في المساجد والزوايا:

التدريس في المرحلة الثانية من التعليم الثانوي والعالي يختلف عن المرحلة الابتدائية من حيث مكان التدريس الذي يكون في المساجد والزوايا، منهج وطريقة التدريس المعتمدة، كذلك المؤهلات العلمية التي يتسم بها المدرس الذي يجب أن يكون حافظا لعدة علوم مع أسانيدها.

والدراسة في المساجد والزوايا تكون في شكل حلقات تدريس يلتف فيها الطلبة حول المدرس في نصف دوائر، وهذا الأخير هو الذي ينصح تلاميذه بكيفية القراءة، وبالكتب التي عليه أن يدرسها، وبطريقة تحضير الدرس وبالمتون التي عليه حفظها ونحو ذلك مما له علاقة ببرنامج التدريس[2].

كان منهج التدريس في التعليم الثانوي والعالي يعتمد على الشرح والإملاء، فقد كان لكل مدرس مسمع يقرأ له النص أو جزءًا من الكتاب المدروس، فكان الإسماع إحدى الطرق الشائعة والرئيسية في التعليم، وهو ينقسم إلى إملاء وتحديث، سواء كان ذلك مما يحفظه المدرس من كتب، أو من كتاب يقرأه مباشرة، وفي بعض الأحيان الطالب يقرأ على المدرس كتاب ثم يأخذ المدرس في شرح المسألة وتوضيحها والاستشهاد لها من محفوظه أو معقوله أو من "المنقول والمعقول"، ودور الطالب هنا يكون التدوين، حيث يقيد كل كلمة يسمعها عن طريق إملاء محتويات الكتب، وهذا راجع أيضًا إلى نقص الكتب، وقد لا ينهي المدرس المسألة في نفس الجلسة، فإن ميزة المدرس الناجح هي الخوض في الجزئية الواحدة عدة مرات ومن عدة وجوه، وكلما أطال المدرس وأفاض فيها كلما كان ذلك من ميزات نجاحه[3]، لأن الدرس يتخلله المناقشة والمذاكرة (الأسئلة والأجوبة)، يقصد بها ما يدور من حوار تتخلله أسئلة الطلاب وأجوبة المدرس.

---

1 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص342.

2 – نفسه، ص344.

3 – نفسه، ص-ص345-347.

كما أن منهج التدريس في التعليم العالي كان يقوم على المناظرة وطرح المسائل ومناقشتها من كتاب التدريس أو من كتاب آخر، يطرحها الشيخ لأغراض تربوية تعليمية، لعل أهمها تدريب الطلبة على الدفاع عن أفكارهم ووجهات نظرهم في المسائل المعروضة، وفي نفس الوقت يدون الطالب كل تفاصيل النقاش العلمي، وبذلك يسهمون بدورهم في حركة التأليف من خلال تدوين الدروس خاصة إذا كان المدرس واسع العلم غير متقيد بالمنقول والمسموع من المسائل(1).

منهج التدريس في الجزائر خلال العهد العثماني كان يعتمد خاصة على الحفظ، لكن طريقة التدريس عرفت تجديدًا وتطويرًا في أساليب تلقي المعلومات. فالمعروف عن الطريقة المغربية التقليدية تعتمد أساسًا على تحفيظ القرآن ورواية الحديث والاطلاع على مبادئ علوم الشرع واللغة. أما الطريقة الجديدة التي جاء بها الأندلسيون تعتمد أساليب متطورة لا تقتصر فقط على الحفظ، وإنّما تولي أهمية خاصة للبحث والتفكير وإلقاء الأسئلة والمحاورة والمذاكرة بهدف إفهام الطالب وترسيخ المعلومات في ذهنه، وهذه الطريقة تميل إلى التحليل والاستنتاج(2)، وهذه الطريقة أصبحت أكثر تداولاً في المساجد والزوايا.

منهج التدريس في الزوايا كان لا يختلف كثيرًا عن المنهج المتبع في المساجد، وأخذنا نموذج حول زاوية سيدي سحنون(3) في بلاد القبائل، حيث كانت طريقة التدريس هي الطريقة التقليدية المعتادة، حيث يتحلق الطلبة حول الشيخ، ويأخذ هذا الأخير بيتًا أو فقرة من المصنف فيقرأه ويحلله ويشرحه، وبعد إتمام المقرر يتولى من عليه الدور من الطلبة سرد الشرح. ويتم ذلك بالتداول، أحدهم يقرأ والآخرون يسمعون ويتابعون من خلال شروحهم، وهنا يكثر النقاش بين الشيخ والطلبة، وفي النهاية يلقي الشيخ سؤالاً أو اثنين ويتم هذا في أغلب المواد(4).

وكانت بعض الدروس لها ميزة معينة تجعلها تختلف عن طرق تدريس بقية المواد، فمثلا درس الشيخ خليل، يكون هناك طالب يقرأ على المتن والشيخ يشرح ويقرأ، وتدعى هذه

---

1 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، المرجع السابق، ص345.

2 – ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، مرجع سابق، ص103.

3 – أسسها في القرن 7 هجري – 13 ميلادي في بلاد القبائل، توقف نشاطها خلال العهد العثماني. انظر: محمد سي يوسف، مرجع سابق، ص218.

4 – نفسه، ص، ص200، 201.

العملية "الدويلة"، ويشتريها ذلك الطالب القارئ في أول السنة، وتعدّ شرفًا عظيمًا له لأنها تدل على تمكّنه من العلم، ومعرفته بحدود المسائل في المتن، ومعرفته بطريقة شيخه وفصاحته في النطق والإبلاغ. بعد إتمام الشيخ شرح جزء من المقرر يسرد من له الدور من الطلبة شرح ذلك الجزء المدروس، فيكثر النقاش عادة بين الشيخ والطلبة في هذه الفترة. ثم يعود الشيخ إلى تقرير جزء آخر من المتن على الطريقة المتقدّمة، ويعود الطالب إلى سرد الشرح ويحد النقاش. وهكذا ينتهي المقرر لذلك اليوم، وهذا النوع من الدروس يأخذ كثيرا من الوقت يمتد إلى أربع ساعات في الصباح الباكر[1].

والمعروف كذلك عن التدريس في الزوايا في حالة غياب الشيخ يتولى أحد الطلبة النجباء الأكثر علما وخلقا التدريس مكانه[2]. كما أن بعض الأساتذة اختصوا بطريقة معينة في التدريس ميزتهم عن غيرهم، مثل الحسن بن آعراب الزواوي كان يدرس الفقه بطريقة معينة، فكان تلامذته يقرؤون ويحفظون متن المختصر في السنة الأولى، ثم المتن والشرح في السنة الثانية، ثم إعادة المتن والشرح في السنة الثالثة[3].

---

1 – محمد سي يوسف، المرجع السابق، ص201.

2 – نفسه، ص198.

3 – عبد المنعم القاسمي الحسني، مرجع سابق، ص، ص141، 142.

المبحث الثاني: مراحل التعليم

التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، عُرِف بعدم وجود أطوار يتنقل من خلالها التلاميذ من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الثانوية، ثم الدراسات العليا. لكن بعض الدراسات التاريخية تمكنت من استنتاج مراحل التعليم انطلاقا من طبيعة المؤسسات التعليمية، من كتاب ومساجد ومدارس، وسن المتمدرسين، ونوع الدروس التي تقدم. من بين هذه الدراسات التي قام بها الدكتور أبو القاسم سعد الله، حيث قسم التعليم في الجزائر إلى ثلاث مراحل (الابتدائية، الثانوية، الدراسات العليا)، والتوجيه التعليمي كان دينيا أكثر منه أدبيا، لاسيما الزوايا التي لم تؤسس إلا لتكون مرتعًا للعلوم الدينية والفنون الإسلامية[1].

1 – أطوار التعليم:

1.1 – التعليم الابتدائي:

يقصد بها مرحلة بدء الأطفال في التعلم داخل الكتاب أو المسيد، حيث اعتمد على هذه المؤسسة في تدريس الأطفال التي يتراوح عمرهم بين السادسة والرابعة عشر كما سبق ذكره. خلال هذه المرحلة يتعلم الصبيان الهجاء ويتدرجون مع الزمن أثناء وجودهم في الكتاب، فيتعلمون القراءة والكتابة من خلال القرآن الكريم وحفظه، كما سبق ذكره، والمواضيع المدرسة في الكتاب النحو والصرف ومواضيعه كتعريف الكلام، الأفعال، المبتدأ والخبر، النكرة، العطف، المصدر، الحال، المفعول به، وتعتمد معظم الكتاتيب في هذا الجانب على كتاب الأجرومية. أما مادة الفقه ومواضيعها، كالوضوء، الصلاة، الزكاة، الصوم والسنن مؤكداتها ونوافلها والآداب العامة، ويكون الرجوع في ذلك إلى رسالة أبي زيد القيرواني التي جاء فيها بأن الهدف من ذلك هو تعليم الصغار لكتاب الله، وأن التعليم في الصغر كالنقش في الحجر، ويضاف إلى ذلك تعليم العقائد اللطيفة ومعنى لا إله إلاّ الله وأن محمد رسول الله ﷺ، والقرآن الكريم وحديث الأخيار وحكاية الصالحين وتجنب الأشعار، ومخالطة الأشرار، وتعليم أمور الشريعة، والفرائض وأمور الدين[2].

---

1 – محمد بن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص57.

2 – محمد بن شوش، مرجع سابق، ص20.

ومدة التعليم الابتدائي حوالي أربع سنوات يتعلم الطفل خلالها مبادئ القراءة والكتابة ويحفظ القرآن وأركان الإسلام وشعائر الدين[1]، وهذا ما أجمعت عليه كل المصادر التاريخية. لكن نهاية مرحلة الدراسة في الكتاب لم تكن متبوعة بالحصول على الشهادة تسمح بمواصلة الدراسة في مراحل تعليمية أخرى على الطراز الحديث، أو التأهل لعمل معين. لهذا فإن الدافع الأساسي لتعلم القرآن الكريم واللغة العربية كان يرجع إلى قناعة خاصة وإيمان ديني بالعقيدة الإسلامية التي ارتبطت في أذهان الناس، بالحث على ضرورة العلم في أي مكان مهما نادى، وفي أي زمان مهما كان[2].

لكن مصير التلميذ بعد الانتهاء من مرحلة التعليم الابتدائي لم يكن واضحًا، وذلك لغياب سلم تربوي ينتقل بمقتضاه التلميذ من مرحلة إلى أخرى، بطريقة إلزامية ومباشرة ومنتظمة. فكثير من التلاميذ كانوا ينقطعون عن الدراسة ولاسيما أولاد الفقراء، ثم يستأنفونها وهم كبار في المدارس والمساجد، والبعض الآخر يتوجه نحو الحياة العملية في سن مبكر، فقد يدخلون ميدان التجارة أو الفلاحة أو ينخرطون في الجيش[3]. الحد الأدنى الذي تعلموه في الكتاب من قراءة وكتابة وحساب يسمح لهم بممارسة أي نشاط والانخراط في الحياة العملية رغم صغر سنهم لكن الظروف كانت ضدهم خاصة الفقراء، هذا إضافة إلى غياب قوانين تجبر التلاميذ على مواصلة التعليم، ومؤسسة تشرف على ذلك.

2.1 – التعليم الثانوي:

كان التلميذ بعد إكماله الدراسة في المرحلة الابتدائية يمكنه مواصلة التعليم في المرحلة المتوسطة والثانوية، وهذه المرحلة تختلف عن الأولى من حيث مكان التدريس، حيث تلقى الدروس في الزوايا والمدارس، والمساجد. كما أن الطالب في هذه المرحلة ينتقل للأخذ بنصيب من علوم عصره، وحيثما كان المعلم قصده، وهو يختار المعلم الذي يريد، والذي يعتقد أنه ينتفع به أكثر من غيره. ولا حرج أن ينتقل بين عدد من المعلمين، فقد كان يتلقى تعليمه في كل مكان وجد فيه العلم أكان ذلك في المسجد أو الزوايا، أو المدارس.

---

1 – أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ...، مرجع سابق، ص163.

2 – مصطفى زايد، مرجع سابق، ص122.

3 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص، ص342، 343.

وكتب التراجم تبين لنا كيف كان الطلبة يتلقون تعليمهم الابتدائي في الكتاب ثم ينتقلون إلى مناطق عدة لإكمال تعليمهم. والأمثلة كثيرة نذكر منها أحمد بن عمر القسنطيني (1204-1287هـ/1790 – 1870م)، الذي حفظ القرآن ودرس مبادئ الفقه واللغة العربية بزاويتهم (أعمامه بني العطار)، ثم انتقل إلى قسنطينة لتلقي العلم على أيدي بعض شيوخها المشهورين منهم: الشيخ عمار الغربي الراشدي، محمد العربي بن عيسى وعمار الميلي، الشيخ أبو العباس أحمد بن سعيد العباسي وغيرهم[1]. فقد كانت شهرة الدروس من شهرة المدارس، وهذا الأخير يصبح له اسم وشهرة واسعة، تنعكس على شهرة المدرسة والمسجد والزاوية التي يلقي فيها الدروس فتصبح قبلة للطلبة من كل القطر الجزائري.

أما معدل العمر لدى طلاب المرحلة الثانية، لم يتم تحديده، لأن كثير من التلاميذ كانوا ينقطعون عن الدراسة لاسيما أولاد الفقراء ثم يستأنفونها وهم كبار في المدارس والمساجد، لأنه في الغالب من يذهب للدراسة في هذه المؤسسات يكون رجلاً ناضجًا لا مراهقًا في الرابعة عشر[2]. وكان يتلقى العلم في المرحلة الثانوية حوالي 3000 طالب في كل إقليم من الأقاليم الثلاثة، وكان معظمهم قد أعدت لهم زوايا خاصة لسكناهم بلغت ست عشرة زاوية، وقد كان في العاصمة ست زوايا لهذا الغرض[3].

كما أن الطالب في هذه المرحلة حر في اختيار العلم الذي يريد دراسته والمدرس الذي يريد الدراسة عنده، كما أن المدرس حر في وضع البرنامج الدراسي، وفي تحديد أوقات التدريس في الغالب، فبعضهم كان يعد دروسه في الصيف ويلقيها في الشتاء، وبعضهم كان يلقي دروسه ثلاث مرات في اليوم الواحد. كما أن بعضهم كان يلقيها في الصباح فقط أو بعد الظهر فقط، أو مرتين في النهار، وقد لا ينقطع بعض المدرسين عن التدريس طول النهار[4]. وكانت هذه الدروس تقام في شكل حلقات في المساجد والزوايا والمدارس، فكان جامع القيطنة في قسنطينة في بداية القرن 13هـ/19م يضم حوالي سبع حلقات تدريس على رأس كل منها مدرس[5].

---

1 – عادل نويهض، مرجع سابق، ص، ص87، 88.

2 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص343.

3 – أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ...، مرجع سابق، ص، ص164، 165.

4 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، المرجع السابق، ص344.

5 – نفسه، ص325.

التدرج من الابتدائي إلى المستوى العالي يخضع لشروط متفق عليها حددها العلماء وأقرتها السلطة والجماعة معًا[1]، كما تم الاتفاق على العلوم التي تدرس في هذه المرحلة، فالحركة العلمية خلال العهد العثماني لا يقصد بها مفهوم الحركة العلمية في العصر الحاضر من حيث اختراع الأشياء التي لم تكن لغير مخترعها. وإنما نقصد بها شيئًا آخر أبعد من ذلك: هو العلم المنقول أو الحركة الدينية، وذلك لأن مفهوم العلم في ذلك العصر كان إتقان فهم آيات الذكر الحكيم وحفظًا لمرويات الحديث الشريف، ومعرفة لأصول العقائد والفقهيات وتعمقا في فن الأصول، أما علم المنطق فقد جرى فيه خلاف بين العلماء لأنه يمت إلى الفلسفة التي حرم الخوض فيها بعض الفقهاء، وحذروا منها تلامذهم ومنعوهم أن يتعلموها، لاسيما الذين لم ينالوا قسطا وافرًا من عقائد أهل السنة، خوفا عليهم من أن يتيهوا في دروب الكفر ومزالق الإلحاد[2].

التعليم الثانوي كان يركز في البرنامج الدراسي على أن يخرج الطالب من هذه المرحلة مُلِمًّا بمجموعة من المعارف يمكن حصرها فيما يلي:

- الإلمام بتفسير القرآن مع الاطلاع على علوم القراءات.
- معرفة بعض علوم الحديث.
- الفقه المالكي صعودا من المختصرات مثل الرسالة ومختصر خليل إلى المدونة.
- علم الفرائض ويدرس مقرونا بالحساب أي نظرًا وتطبيقًا.
- علم التوحيد مع رسائل السنوسي إلى مؤلفات الجويني والأشعاري.
- علوم العربية وخصوصا منها النحو بالاعتماد على ألفية ابن مالك[3].

والملاحظ في برامج التعليم في المدارس والمساجد والزوايا يغلب عليها الطابع الديني، أما العلوم الأخرى مثل الفلك، والطب والكيمياء، كانت متواضعة والتخصص في هذه العلوم قليل. ولقد وصف لنا وليام شالر العلوم حيث قال: "حالة العلوم فإن مما لا جدوى الحديث فيها، حيث أنها غير موجودة محتقرة، بل أن علم الطب نفسه لا يوجد من يدعيه..." [4].

---

1 – عبد المجيد مزيان، مرجع سابق، ص42.

2 – محمد بن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص، ص46، 47.

3 – عبد المجيد مزيان، المرجع السابق، ص42.

4 – وليام شالر، مصدر سابق، ص81.

ولإعطاء صورة حول برامج التدريس في التعليم الثانوي، سوف نأخذ نموذجين، مدرسة المحمدية، وزاوية أو المعهد السحنوني بالأربعاء ناث يراثن، حيث بعد أن يلتحق الطلبة بالمعهد وتبدأ الدراسة الجدية، بعد أن يوضع برنامج وتوقيت وتنظيم الطلبة في مجموعات وهي: مجموعة الأجرومية، مجموعة القطر والرسالة، مجموعة الألفية ثم الألفية ثم الشيخ خليل، وهذه أمور أساسية ثم تأتي دراسة قواعد اللغة كالنحو والصرف ودراسة الفقه الإسلامي على مذهب الإمام مالك. وأهم المواد والكتب التي كانت تدرس في المعهد السحنوني كالآتي:

- الفقه: ابن عاشر، رسالة أبي زيد القيرواني، سيدي خليل بعدة شروح.
- الصرف: لامية الأفعال بشروح.
- البلاغة والعروض: متن الاستعارات.
- أصول الفقه، الوصول إلى الإمام الجويني.
- المنطق: متن إيساغوجي، متن السلم المرونق إلى غير ذلك من الكتب التي تقرر كل سنة[1].

كما هناك بعض الزوايا تخصص في تدريس علم معين واشتهرت به، فمثلا زاوية عبد الرحمن اليلولي في بلاد القبائل فأول ما بنيت عليه هي قراءة القرآن بزاوية السبعة والعشرة المشهورين في القراءات عن طريق الإتقان والإحكام والضبط العجيب، حيث حصلت لرجال منهم ملكة راسخة في الحفظ والرسم والرواية إلى أن كان ثبوت القرآن في عالم أذهانهم بمثابة ثبوت الأشخاص في عالم وجودهم[2]. الزوايا في بلاد زواوة تقوم بتدريس مادة أساسية وهي القرآن، أما المواد الأخرى إنما أضيفت خصيصًا لخدمة القرآن وتسهيل فهمه، وأهم مواد التعليم هي النحو، الفقه الذي يشتمل على العبادات والمعاملات والتفسير والحديث، إضافة إلى علم الفلك والحساب، التاريخ، الطب، لكن يغلب على الدراسة طابع القرون الوسطى وقلة التجديد والحفظ، وهذه الدراسة لا تساعد على تكوين المنتجين في الميدان الفكري والأدبي.

1 – محمد سي يوسف، مرجع سابق، ص200.

2 – نفسه، ص، ص203، 204.

ويمكن تصنيف أهم المواد التي تدرس في معظم الزوايا ببلاد زواوة كما يلي: القرآن وشروحه، الروايات السبع، الأجرومية، ألفية بن مالك، التوحيد، كتاب الحساب الخاص بالإرث، الفلك، العروض. وعناية الشيخ في تدريس هذه المواد كلها لا توجه إلى إفهام الطلبة بمحتواها، بل يوجه كل اهتمامه إلى حفظ الطلبة لها والحفظ يكون حرفيا[1].

فقد تبيّن لنا من أهم الدراسات حول الزوايا في الجزائر خلال العهد العثماني، أن العلوم التي كانت تدرس علوم دينية كما سبق الإشارة، باستثناء الحساب والفلك، لأن الحساب يستعان به في فرائض الإرث وعلم الفلك في تحديد الشهور القمرية وحساب الزمن، وكانت هذه الدروس تقدم في برنامج سنوي، وفترة الدراسة تقسم إلى ثلاثة فصول، وعند حلول فصل الصيف يلتحق الطلبة ببيوتهم لمساعدة أسرهم[2].

أما المدرسة المحمدية، فقد أنشأها الباي محمد الكبير، وقد خصصت للدراسات الإسلامية العليا قصد تخريج رجال الدين وموظفي البايلك[3]. أما المواد الدراسية المقررة في المدرسة العلوم النقلية استحوذت على حصة الأسد في التدريس، نظرًا لشيوعها في المنطقة كلها ولطبيعة العصر الذي اعتنق الرواية والنقل عقيدة راسخة لا يستطيع الخروج منها. وهو الحال السائد ليس فقط في هذه المدرسة، بل في جميع مدارس العالم الإسلامي في هذا العصر. وأهم العلوم التي كانت تدرس الفقه المالكي وفروعه علم التوحيد إلى جانب علوم اللغة العربية، ومن أهم الكتب المعتمدة:

1- كتب الفقه: شرح الزرقاني على الموطأ، شرح الخرشي على مختصر سيدي خليل[4]، وبعض الحواشي التي وضعت لهما.

2- كتب اللغة العربية وعلومها: في النحو شرح المكودي على ألفية ابن مالك، وفي الأدب مقامات الحريري.

---

1 - محمد سي يوسف، المرجع السابق، ص، ص200، 201.

2 - ناصر الدين سعيدوني، الحياة الريفية...، مرجع سابق، ص390.

3 - ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، مرجع سابق، ص249.

4 - حظي مختصر الشيخ خليل بن إسحاق اهتمام كبار العلماء لكونه أوعب مختصرات السادة المالكية وأكثرها استيفاء لمسائل الفقه المالكي، وقد اجتمع العلماء قديما وحديثا على تدريسه وشرحه. وكتاب شرح الخرشي على مختصر سيدي خليل واحد من الشروح خالي من الإطناب وعما يصعب فهمه من الإيجاز على المبتدئين... انظر: عمر بلبشير، مرجع سابق، ص27.

3- علم الأصول: شرح الشيخ المحلي للورقات في أصول الفقه.
4- علوم الحديث: كان صحيح البخاري معتمدًا في قراءة الحديث شرحًا وحفظًا، إلى جانب صحيح مسلم وموطأ مالك[1].

لكن بعض المدرسين في المدرسة المحمدية قد تطرقوا في مجالسهم لبعض العلوم العقلية، كالحساب والفرائض والفلك، بغرض معرفة الفرائض وقسمة التركات بين الورثة والمسائل التجارية، أما الفلك فكانت دراسته بهدف التعرف على مواقيت الصلاة وتحديد الشهور[2].

أما العلوم الطبيعية والتجريبية مثل الرياضيات والكيمياء والفيزياء وغيرها، فلم تلق العناية الكافية على الرغم من بعض المحاولات البسيطة في هذا الميدان، من ذلك مثلا أن الباي محمد الكبير كان يمارس بنفسه الطب، ويدفع بعض المتعلمين لجمع كلام الأطباء وحفظه في الكتب حتى لا يضيع، غير أنه لم يحدث مدرسة في هذا الشأن، ولم تكن هناك بحوث أو تجارب تقدم في هذا الميدان. وقد حاول البعض تفهم فرع الكيمياء وتكوين فكرة عنه، مثلا ذكر العناصر الكيميائية لصناع البارود وكيفية تركيبه وتأثيراته، وكذلك تفسير الحوادث الطبيعية تفسيرًا علميا ولكن دون تجريدها من الأساطير والخرافات الملتصقة بها. إلاّ أن اهتمام العلماء كان منصبا بالدرجة الأولى على دراسة الفلك لمعرفة المواقيت الشرعية والحساب للاستعانة به في تقسيم التركات، وهذا ما أجمعت عليه معظم المصادر[3].

تعدّدت المدارس في الجزائر خلال العهد العثماني، وتنوعت العلوم والمعارف التي تدرس بها، فكانت بمثابة معاهد تقدم دراسات عليا، وكانت تدرس فيها المرحلة الثانوية والعليا، وما يزال البعض منها قائما حتى اليوم، ولو كهياكل مثل مدرسة ابن مروان بعنابة والكتانية وسيدي لخضر بقسنطينة، والتاشفنية ببجاية وأبناء الإمام وسيدي بومدين بتلمسان، وسيدي عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر العاصمة، وكانت هناك مدارس بمازونة ومليانة وندرومة وغيرها[4]. فالتنظيمات التربوية التي طبقت فيها أثارت إعجاب بعض

---

1 – عمر بلبشير، مرجع سابق، ص، ص27، 28.

2 – نفسه، ص30.

3 – صالح فركوس، مرجع سابق، ص23.

4 – يحيى بوعزيز، أوضاع المؤسسات الدينية...، مرجع سابق، ص13.

الكتاب الفرنسيين، وعلى رأسهم فايسيت Vayssettes الذي علق على مدارس قسنطينة أنها تنموا عن روح متفتحة وعقل واع، حتى أنها لا تقل في شيء عما كان جار به بمدارس فرنسا آنذاك[1].

3.1 – التعليم العالي:

ليس هناك فصل واضح بين التعليم العالي والثانوي، والأستاذ الذي يدرس في التعليم العالي يسمى "عالما"، أما عدد الطلبة فقد كانوا بين 600 إلى 800 في كل إقليم يواصلون تعليمهم العالي، وكانت الدروس العالية تعطى في الزوايا وأهم الجوامع. ففي إقليم وهران كان الجامع الكبير في تلمسان جامع سيدي العربي والزاوية القادرية. وفي مدينة الجزائر كانت زاوية ابن المبارك بالقليعة، وزاوية مليانة، وزاوية بني سليمان، وزاوية ابن محي الدين. أما في مدينة قسنطينة فهناك الجامع الأخضر، وجامع سيدي عقبة، وزاوية ابن علي الشريف في جرجرة[2].

وكان أستاذ التعليم العالي يلقي ثلاثة دروس يوميا، واحد في الصباح وثان بين الظهر والعصر وثالث بين العصر والمغرب، وكان كل درس يستغرق من ساعتين إلى ساعتين ونصف، وكانت حلقة مفتوحة للجميع، وتثبت بعض الإحصاءات أن المراكز التي أشرنا إليها كانت تستقبل بين ألف وثمانمائة وألفين وأربعمائة طالب في القطر كله[3].

إن محتوى هذه الدراسة تركز على دراسة كتب كاملة، والطالب كان يختار الكتاب والأستاذ حسب الإمكانيات والميول، وقد جرت العادة أن يقوم الأساتذة بمهمة التوجيه العلمي للطلبة، بحيث يتدرجون في دراسة الكتب البسيطة إلى دراسة الكتب المعقدة، ومن دراسة المختصرات إلى دراسة الكتب الموسعة. ولم يكن الطلبة يقتصرون على ما في الكتاب من مادة علمية، وإنما كانوا يثرونها بروافد أخرى من أمهات الكتب، كما لم يكونوا مقتصرين على طريقة شرح النصوص وحدها، وإنما كانوا يناقشون المسائل ويرجحون رأيا على رأي آخر[4]. ومن أهم الكتب الي كانت تدرس في المرحلة الثانوية والعليا، والتي كانت أكثر تداولاً في مدارس وزوايا ومساجد القطر الجزائري نذكر:

---

1 – ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، مرجع سابق، ص67.

2 – أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ...، مرجع سابق، ص165.

3 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص335.

4 – محمد بن شوش، مرجع سابق، ص23.

– التفسير: كان يعتمد في دراسته على كتاب عبد الرحمن الثعالبي تفسير جواهر الحسان، وكان كثير الانتشار بسبب سهولته وأهميته، ويعتبر من نوع التفسير المأثور، أي يكون الاعتماد فيه على السنة النبوية الشريفة، ثم على تواتر من مفهوم الصحابة والتابعين لمعاني الآيات وأهدافها، وعاد صاحبه في ذلك إلى حوالي مائة مصدر تناولها بالتحليل والنقد، ونجده أحيانا يستدل بعلم المنطق[1].

– النحو: من الكتب المدرسة ألفية ابن مالك وهي عبارة عن أرجوزة من ألف بيت، يعتمد عليها لتعليم اللغة العربية وأصبحت تلخيصا لأصول النحو العربي. أيضًا الأرجومية التي كانت تدرس اعتمادًا على مطوياتها ومختصراتها من الشروح، كمختصر دخلان ومطول الكفراوي وهي بسيطة تفهم دون جهد أو عناء[2]، وفي الأدب مقامات الحريري[3].

– الفقه: كان تدريسه يعتمد على كتاب المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشر، اشتهر وانتشر في الجزائر، لأنه منظومة فريدة من نوعها في الاختصار وكثرة الفوائد في التفنن والتوجيه والتحقق والتعليم. ويضم أبوابًا في الفقه والتصوف والتوحيد والعقائد، وهي مقسمة إلى قواعد الإسلام، الطهارة، العبادة، الإمامة وغيرها، وهي منظومة شعر تسهيلا للحفظ[4].

أما مختصر الشيخ خليل بن إسحاق لقي اهتمام كبار العلماء، لكونه أوعب مختصرات السادة المالكية وأكثرها استيفاء لمسائل الفقه المالكي، وقد اجتمع العلماء قديما وحديثا على تدريسه وشرحه.. وكتاب "الشرح الصغير للخرشي على مختصر خليل" المعروف بـ "شرح الخرشي على مختصر سيدي خليل" واحد من هذه الشروح للمؤلف محمد بن عبد الله الخرشي المالكي، خالي من الإطناب وعما يصعب فهمه من الإيجاز على المبتدئين[5]. كتاب مختصر الشيخ خليل بن إسحاق هو أكثر كتب الفقه تداولاً في الجزائر ويحظى بتقدير فائق، والبعض يعتبر خليل هو مؤسس الفقه المالكي، فالكتاب

1 – محمد بن شوش، مرجع سابق، ص20.

2 – نفسه.

3 – عمر بلبشير، مرجع سابق ، ص28.

4 – محمد بن شوش، المرجع السابق، ص21.

5 – عمر بلبشير، المرجع السابق ، ص27.

مختصر تعليمي شديد الإيجاز وكان الكثير يحفظه عن ظهر قلب، وقد وضعت له شروحا وحواشي لتبسيطه[1].

- الأصول: اعتمد في تدريس المادة على كتاب السنوسية والمعرفة بأم البراهين، لأهميتها شرحت ونسخت ووجدت منها مئات النسخ في المكتبات الجزائرية وتناولت الحكم العقلي وأقسامه، التقليد الواجب والمستحيل في حقه تعالى برهان وجوب الوجود ، صدق الرسل وشرح كلمة التوحيد. طريقة تناول هذه المواضيع كانت مبسطة لتسهيل عملية الحفظ والاستظهار، وكانت تعود للمتن بالشرح الذي يوضح غوامض المعاني وحل رموزها بعيدا عن الإطناب الممل والاقتصار المخل[2].

كما كانت للكتب الأندلسية هي الأخرى محل اهتمام من طرف المدرسين والطلبة، وأصبح لها مكان خاص في مضمون البرامج الدراسية في مختلف مدارس ومساجد بجاية، فاشتهرت منها القراءات لأبي عثمان بن سعيد بن زاهر، ولامية الشاطبي وتفسير ابن عطية، ومختصرات ابن الحاجب في الأصول، ومما يلاحظ على مختصرات ابن الحاجب أنه كان محل اعتناء كبير من طرف طلبة بجاية، فأقبلوا على دراسته ونشره ببلاد المغرب. وكذلك كتاب الموطأ ومصنفات الفقه مثل مدونة الإمام سحنون ورسالة أبي زيد القيرواني وكتب الأدب والطب والحساب[3]. ولقد عرفت مدينة الجزائر نشاطا علميا وفنيا ساهم الأندلسيون بقسط كبير، فقد شاركوا في التعليم بالمدارس التي اشتهرت منها مدرسة الأندلس والقشاش، هذا ما مكنهم من المحافظة على التقاليد العلمية الأندلسية، وضمن استمرار المعارف الفقهية واللغوية عن طريق دراسة المتون والشروح والحواشي. بل أبقى الأساليب الأندلسية حية، فأصبح الفتح بن خاقان ولسان الدين بن الخطيب مثالاً يحتدى في أساليب السجع والمحسنات البديعية، والجمل القصيرة الموزونة[4].

1 – محمد بن شوش، مرجع سابق، ص21.

2 – نفسه، ص22.

3 – ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، مرجع سابق، ص105.

4 – نفسه، ص133.

2 – الامتحانات والإجازات:

لم يكن الانتقال من التعليم الابتدائي إلى التعليم الثانوي ثم الدراسات العليا واضحًا. كما لم يكن نظام الامتحانات معروفا في هذا العهد، وإنما كان الشائع هو دخول الكتاتيب في سن الخامسة تقريبا – كما سبق ذكره. وبعد ثلاثة أو أربعة أعوام يتم الطفل تعليمه الابتدائي، وفي نهاية هذه المرحلة ليس هناك امتحانات نهائية أو شهادة تقدم للتلاميذ، فالمقياس الأساسي لنجاحه هو حفظه للقرآن الكريم. أما التعليم الثانوي والعالي ينال الطالب في نهايته شهادة عرفت في تلك الفترة بالإجازة.

الإجازة شهادة الاستماع والإجازة تكون مؤرخة ويحتفظ بها المستمع أو المستجيز، ليستطيع أن يسلم للراغب نظيرتها في رواية كتاب معين عندما يصبح مقصودا بالأخذ أو التلقي. وقد ينظمها صاحبها تنظيما حسب تواريخها والبلدان التي رحل إليها، أو حسب المشايخ، وهذا التنظيم يأخذ شكل تأليف يسمى فهرسة أو معجما أو مشيخة. وتعد بمثابة الشهادات العليا المسلمة اليوم من قبل المعاهد المتخصصة. وتتميز الإجازات بأسلوبها البديع المبني على العبارات المختارة من تواضع الشيخ المجيز والثناء على المجاز وتمنحه الثقة بالنفس للوصول إلى مرحلة التحصيل والإقراء، كما أشار القاضي عياض أنها أسهمت في المحافظة على الأمانة العلمية، وبث العلم ونشر المعرفة، المحافظة على الإسناد وبخاصة إذا تعلق الأمر بالحديث الشريف وتبادل الروايات بين العلماء المسلمين والاعتراف بتحصيل العلم[1].

الأساتذة في الجزائر خلال العهد العثماني كانوا يجيزون طلبتهم في مختلف الفنون، وهذه الإجازات تختلف حسب استعداد الطالب وتحصيله. فهناك نوع من هذه الإجازات هو عبارة عن شهادة تمنح لحاملها بأنه حضر في الدروس المدة التي حضرها والفنون التي قرأها. وهناك شهادات لنبغاء الطلبة[2]. كما كانت هناك إجازة خاصة لعدة علوم أو لكل العلوم، وبذلك يمكن للطالب أن يلتحق بالتعليم ومراحله المختلفة، أو بالإفتاء أو بالقضاء وغيرها من الوظائف المتوفرة في ذلك العصر[3].

---

1 – أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية...، مصدر سابق، ص24.

2 – المهدي بوعبدلي، مراكز الثقافة (2)...، مرجع سابق، ص96.

3 – محمد بن شوش، مرجع سابق، ص33.

وكانت الإجازة عبارة عن شهادة مكتوبة بخط يد العالم أو المدرس، ومحددة بإشارة نوع العلم، مثل ما ورد في إجازة ابن سحنون الراشدي، من طلبة العلم الذين أخذوا الإجازة عن الشيخ محمد بن عبد الله الجلالي، بعد أن درس عنده كما أشار عدة أيام وليال جاء فيها: "قد أجزت ولدنا فيما قرأ علي، وفيما تحصل لي وانتهى إلى من أصول وفروع، ومروي ومسموع، أو مؤلف وموضوع"[1]. فقد ورد في الإجازة العلوم التي درسها ونال الشهادة فيها منها علم الأصول وفروعه، رواية الحديث، كما جاء فيها أن الإجازة تلتزم بشروط مقررة وهو الصدق والأمانة والتحري، وأنها مطلقة "أجزت الفقيه المذكور... ما حضر قرأته علي... بشرطها المقرر وقيدها المعتبر، وهو الصدق والأمانة والتحري وأن يقول فيما لا يدريه لا أدري"[2].

كما أن الإجازة كانت لا تخلوا من توصيات الأستاذ للطالب "موصيا له برفع الهمة، وحفظ الحرمة، والعمل بالعلم، فإنه يستجلب النور والفهم وتقوى الله الذي لا بد لنا من لقائه وأن يسهمنا من صالح دعائه"[3]، ويذكر فيها الكتب التي قرأها الطالب. فقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الله الجلالي جميع الكتب التي قرأها ابن سحنون "قرأ علي أكثر صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري درسًا وسمع باقية بحضرتنا، وأكثر القرآن العظيم درسا، وقرأ علينا أوائل كبرى الشيخ السنوسي، ومعظم جمع الجوامع، بل معظم شرحه لـ: جلال الدين المحلي، وكل (جوهر) الأخضري و (سلَّمه)، كما قرأ علينا ألفية ابن مالك مباحثا أكثر شروحها، كما قرأ علينا (رسالة الوضع) و (نخبة) ابن حجر قراءة تحقيق في الجميع، وغير ذلك مما أجزناه فيه إجازة تامة شاملة عامة"[4].

كل الإجازات لا تخلو من توصيات هامة، والإشادة بالعلم والتحريض على تعلمه، فنجد مثلا العلامة محمد بن عبد الله الجلالي مدير المدرسة المحمدية السابق ذكره في بعض إجازاته: "أما بعد، فإن العلم أشرف المكاسب وأفضل المناصب وأرفع المطالب والغاية القصوى لكل طالب... فهو المقيد لكل مستفيد في القديم والجديد، وهو الرافع لكل

1 – أحمد بن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص237.

2 – نفسه، ص238.

3 – نفسه، ص238.

4 – نفسه، ص238.

حامل الراد لكل معاتل، المشرف الأسافل، الخافض للخلو منه قدر أبناء الأفاضل والجاعل للموالي موالي في هذه العصور والعصور الخوالي... الخ"[1].

الطلبة الذين يواصلون دراستهم إلى غاية نيل الإجازة قليلون، لأن ذلك يتطلب مدة طويلة من الدراسة، وهذا يعني أنه على الطالب أن يتفرغ لها مدة طويلة من الزمن، وإذا عرفنا أن الحياة الاجتماعية لذلك العصر لا تسمح إلا لعدد قليل من الطلبة للتفرغ للدراسة، نجد أن الكثير منهم يتركون الدراسة مبكرا ليواجهوا الحياة العملية ويشاركون أفراد عائلاتهم لتلبية حاجات العائلة، خاصة وأن هؤلاء يتزوجون مبكرًا[2].

وكانت الإجازة التي كان يمنحها علماء الجزائر ذات شهرة واسعة أثنى عليها العديد من الرحالة، فقد ذكر ابن زاكور أولئك العلماء الذين أخذ عنهم العلم وأجازوه أمثال الشيخ محمد بن سعيد قدورة والشيخ المانجلاتي، وكذلك محمد العبدري البلنسي، عندما نزل بجاية درس عند محمد بن صالح بن أحمد الكناني الشاطبي[3] فقال عنه "مع علو الرواية حَظ وافر من الدراية وأجازني إجازة عامة، وكتب لي بخط يده"[4]. فقد كان علماء الجزائر مقصد الطلبة من المغرب، فقد قال التمجروني في كتابه النفحة المسكية أنه نزل ببجاية وقصد لقاء أحد علمائها وهو أبو عبد الله محمد بن جعفر والأخذ عنه. فسمع عليه تصانيف كثيرة، ثم أجازه وكتب له بخط يده الإجازة[5].

الإجازة تعتبر شهادة نهائية يتحصل عليها الطالب تؤهله إلى تقلد وظائف في المساجد والإفتاء أو كاتب، كما أن هذه الشهادات دليل على مختلف العلوم والتخصصات التي كانت تدرس في الجزائر خلال العهد العثماني، فالأسر العلمية لا زال الكثير منها يحتفظ بإجازات علمية أزهرية وباتصالها بكثير من علماء البلاد القدامى بإجازات تثبت الفنون والعلوم التي كانت تدرس في بجاية، وهي نفس الفنون التي كانت ولا زالت تدرس بالجامعات الإسلامية كالأزهر والزيتونة والقرويين[6].

---

1 – المهدي بوعبدلي، مراكز الثقافة (2)...، مرجع سابق، ص96.

2 – محمد سي يوسف، مرجع سابق، ص207.

3 – أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص335.

4 – محمد العبدري البلنسي، مصدر سابق، ص-ص50-52.

5 – محمد الجزولي التمجروني، مصدر سابق، ص، ص20، 21.

6 – المهدي بوعبدلي، تراجم بعض مشاهير...، مرجع سابق، ص267.

ونبغ في هذا العصر كثير من العلماء والأدباء في قرونه الثلاثة، والذين تحصلوا على إجازات، البعض منهم ذكر في الفصل السابق، خاصة منهم من اتخذ التعليم مهنة، ونضيف منهم كذلك:

- أبو عثمان سعيد قدورة الذي أخذ عن شيوخ الجزائر وتلمسان، وتولى الفتوى والتدريس بالجامع الأعظم، وله شرح على متن السلَّم للأخضري، وشرح على عقيدة السنوسي[1].

- أبو القاسم بن محمد بن عيسى التلمساني (1234هـ/1819م)، كاتب من الفقهاء العلماء، تعلم بمدينة الجزائر ومازونة ومليانة ووهران وزواوة، ثم اشتغل بالتدريس وتولى الكتابة للحاج أحمد باي[2].

- محمد بن رجب الجزائري (1200هـ/1786)، اشتهر بكتابه في الطب وألف كتاب عن وباء الطاعون بعد انتشاره في مدينة الجزائر "الدر المصون في تدبير الوباء والطاعون" جاء في أول كتابه هذا: "الحمد لله وحده... لما جاء الطاعون في شعبان سنة 1200هـ ببلدنا الجزائر، اشتغلت بمطالعة كتب عديدة في الطب منها القانون لابن سينا، والتذكرة للأنطاكي، وألفت هذا الكتاب..."[3].

وهذا دليل على أنه كان هناك طلبة تخصصوا في دراسة الطب، وأهم الكتب كانت متوفرة في الجزائر، كذلك الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، عاش في القرن 12هـ/18م واشتهر بكتابه الطبي (كشف الرموز والأعشاب)[4].

- العلامة يحيى الشاوي الذي نشأ بالجزائر وأخذ بها عن سعيد قدورة وعلي بن عبد الواحد الأنصاري والسجلماسي ومحمد بن محمد بهلول الزواوي السعدي وأجازه شيوخه وله من المؤلفات في بيان ما للبخاري من التصحيح وحواش على التسهيل والألفية لابن مالك[5].

1 - رابح بونار، "مدينة الجزائر تاريخها، حياتها الثقافية"، مرجع سابق، ص86.

2 - عادل نويهض، مرجع سابق، ص74.

3 - نفسه، ص110.

4 - رابح بونار، المرجع السابق، ص، ص86، 87.

5 - نفسه، ص86.

- محمد عبد الكريم الجزائري (1102هـ/1691م)، أبو عبد الله ويقال أبو الجمال الشريف الحسني، عالم أديب من الفقهاء أخذ عن نحو سبعين شيخا من علماء المغرب والمشرق وأجازه آخرون، ذكره الجبرتي في وفيات سنة 1102هـ/1691م[1].

- علي بن والي بن حمزة الجزائري (999هـ/1590م)، من علماء الجزائر اشتهر بدراسته للرياضيات، حيث درس العلم في إستانبول، وتخصص في علم الرياضيات وقام ببحوث في المتواليات كانت الأساس الذي بني عليه هذا الفرع من الرياضيات[2].

- عبد القادر بن محمد الراشدي (1194هـ/1780م)، فقيه مالكي، تولى القضاء والفتية بقسنطينة مرارًا، من آثاره كتاب في عائلات قسنطينة وقبائلها وعربها وبربرها، كما له رسالة في "تحريم الدخان" و "وزن الأعمال". وعبد المالك الراشدي فقيه مالكي من كبارهم قال في تعريف الخلف: "قدوة العلماء ورئيس النبلاء حامل لواء الحفظ، وجامع شتات المذهب المالكي تولى الفتيا المالكية"[3].

- حسن بن محمد المعروف بابن العنابي (1150هـ/1737م)، مفسر واسع المعرفة في علوم الشريعة من فقهاء الخنفية، تولى الإفتاء في مدينة الجزائر أربع مرات، ومن آثاره "تفسير القرآن الكريم"[4].

- مصطفى بن رمضان العنابي (1130هـ/1718م)، باحث فرضي من كبار فقهاء الحنفية، ولد بعنابة وبها نشأ وتعلم وانتقل إلى مدينة الجزائر فأخذ عن ابن شقرون التلمساني وأجازه آخرون من أثاره "أرجوزة في الفرائض" فقه حنفي و "الروض البهيج بالنظر في أمور العزوبة والتزويج"[5].

- محمد المازري (1196 – 1286هـ/1782 – 1871م)، فقيه نحوي له مشاركة في علوم الحديث والتفسير والمنطق والبيان له "تقييدات" على جمع الجوامع لابن السكي[6].

---

1 – عادل نويهض، مرجع سابق، ص110.

2 – نفسه، ص124.

3 – نفسه، ص، ص145، 146.

4 – نفسه، ص224.

5 – نفسه، ص، ص245، 246.

6 – نفسه، ص280.

– السعيد بن عبد الرحمن أبي داود (1176 – 1256هـ/1762 – 1840م)، أخذ العلم عن الشيخ الحسين بن آعراب، ويذكر أنه أخذ عنه مختصر خليل في نحو ثمانية أيام فأجازه في تدريسه، وأعطاه نسخة من متنه ونسخة من شرحه للعلامة محمد الخرشي. زاول التدريس مدة تقارب الخمسين سنة وتخرج على يديه المئات من الطلبة، وعرف بتخصصه في العلوم الفقهية والعلوم اللغوية، وكان يدرس في زاوية محمد بن عبد الرحمن الأزهري كما سبق ذكره[1].

1 – عبد المنعم القاسمي الحسني، مرجع سابق، ص156.

المبحث الثالث: المعلمين والطلبة

التعليم والعملية التعليمية تقوم على عنصرين أساسيين، هما المعلم والتلميذ أو الأستاذ والطالب، لذلك خصصنا جزء من هذا الفصل لدراسة المعلم، وهل كانت هناك سياسة تحكم وتسير قطاع المعلمين، من حيث تعيينهم، فهل كان التعليم وظيفة رسمية تعينهم فيها الدولة وفق مؤهلات معينة. كما أردنا التطرق إلى ثقافة المعلمين وتخصصاتهم في مختلف مراحل التعليم الابتدائي، الثانوي، العالي، وما هي الألقاب التي كانت تطلق عليهم، فهل كانت تعبر عن مكانتهم العلمية. ثم سوف نتحدث عن أحوال المعلمين المادية والاجتماعية، ومن جهة ثانية سوف نسلط الضوء على الطالب الجزائري خلال العهد العثماني، والإمكانيات التي وفرت له لمواصلة مشواره الدراسي. وكيف كانت حالته المادية وطبيعة العلاقة بينه وبين الأستاذ. وهل كان الطالب يتحصل على إعانات مالية في شكل منحة تساعده في توفير مستلزمات الدراسة خاصة الكتب، وهل كان هذا الأخير يمارس نشاطات بالموازات مع الدراسة أم كان متفرغ فقط لها.

1 – المعلمين:

1.1 – ألقاب المعلمين:

للوظائف الرسمية في الدولة ألقاب معينة، كذلك أطلق على العلماء ألقاب علمية مثل الإمام، الفقيه، العالم، كما كان للذين مارسوا مهنة التعليم نصيب من هذه الألقاب، وسنحاول التعرف عليها وإبراز تنوعها وتدرج مستوياتها، فلم تكن في الجزائر خلال العهد العثماني أسس متفق عليها في منح هذه الألقاب، كما لم تكن مرتبطة بمرحلة دراسية معينة أو بشهادة علمية. وأهم الألقاب التي أطلقت على المعلمين:

المؤدب والمعلم:

الألقاب تعدد ت في الوثائق منها شيخ المسيد أو مؤدب الصبيان[1]، وهذا اللقب كان أكثر تداولاً في الوثائق والمصادر. والمؤدبون يمثلون معلمي المرحلة الابتدائية في الكتاب والتأديب يعني القراءة والكتابة. كما في بعض الأحيان وردت ألقاب أخرى من بينها مدرس، فقد ورد في أحد الوثائق "أحمد خوجة مدرس في مكتب جامع الجزاير، تولى

1 – سجلات البايلك: ع33، س327.

موضع شريف خوجة الذي كان قبله في أوائل محرم 1206هـ/1791م و 1207هـ/1792م – 1208هـ/1793م"[1]. كما أن الوثيقة عبارة عن عقد تعيين في المنصب لمدة معينة حددت بثلاث سنوات. كما ورد كذلك لقب معلم المسيد[2] المؤدب أو شيخ المسيد من الألقاب التي أطلقت على المعلمين في الكتاب أو المسيد، يعني المرحلة الابتدائية، وتعتبر أدنى الرتب العلمية، ومرتبطة بتعليم الأولاد والصبية، لأنه وردت بعض الحالات في الوثائق يمارس فيها الإمام تعليم الصبيان في المكتب، لكن لم يمنح له لقب المؤدب، وإنما احتفظ بلقبه "الإمام محمد خوجة مع المكتب" في جامع عبدي باشا، كان الإمام يشرف كذلك على تأديب الصبيان[3]. وهذا دليل كذلك على أن المؤدب من الألقاب التي أطلقت على المعلمين المؤدبين لا يصلون إلى مرتبة الإمام أو المدرس والخطيب.

أما فيما يخص الألقاب التي كانت تمنح لمعلم الكتاب فقد اختلفت من منطقة إلى أخرى حسب طبيعة المنطقة أو المؤسسة، سواء كانت ملحقة بالزاوية أو بالمسجد أو مسيد مستقل. لأنه في بعض المناطق اصطلح على معلم الكتاب "الطالب" وعادة فإن الطالب هو واحد من خريجي الزوايا أو الكتاتيب أحيانا. ومعلم الكتاب أحيانا كان يختار أحد تلاميذه الكبار لمساعدته في عملية التعليم وعادة ما كان يطلق على هذا التلميذ اسم "المقدم"[4].

الشيخ المدرس:

لقب مدرس من الألقاب الأكثر استعمالاً في المساجد، فقد ورد ذكر هذه الوظيفة في أغلب مساجد مدينة الجزائر إلى جانب الإمام والخطيب، فهو منصب ثابت يمنح لصاحبه لتقديم دروس في الفقه والتفسير والحديث[5]. كما يمكن لصاحب هذا المنصب أن يمارس التدريس في المسجد الذي عين فيه لعدة سنوات، كما يمكنه تقديم دروس في مساجد أخرى في نفس الوقت من باب الاجتهاد ونشر العلم. وفي بعض الأحيان يدرس في المسيد كذلك، فقد ورد في وثيقة لموظفوا الجامع الجديد "مدرس محمدية والمسيد إمام كجاوة"[6].

1 – سجلات البايلك: ع31، س288.

2 – سجلات بيت المال والبايلك: ع8، س40.

3 – سجلات البايلك: ع31، س287.

4 – مصطفى زايد، مرجع سابق، ص، ص120، 121.

5 – سجلات بيت المال والبايلك: ع8، س40.

6 – نفسه.

أطلق لقب المدرس على جملة من المعلمين، ويدل هذا اللقب على المكانة العلمية لصاحبه، وتخصصه في عدة علوم منها الحديث والفقه والعربية وغيرها، وهذا اللقب يعكس درجة علمية عالية، تمكن صاحبها من التدريس في المساجد وتقديم دراسات عليا في تخصصات معينة من العلوم الشرعية، هذا إلى جانب الإمام والخطيب.

الشيخ لقب آخر أطلق على العلماء الذين اشتغلوا في التعليم خاصة في الزوايا، فكتب التراجم مثل الغبريني ذكر فيها المشيخة أي أهم الشيوخ الذين تتلمذ عليهم ومعظمهم من العلماء الصوفية، لذلك فلقب الشيخ جاء نسبة إلى شيخ الزوايا ومؤسسها، ومن يتولى التعليم فيها من العلماء منح له لقب "الشيح" في نفس الوقت منح لقب المدرس والإمام في المسجد، الاختلاف يكمن في مكان إلقاء الدروس (الزوايا، المساجد)، لكن المكانة العلمية نفسها، ولا يمكن فصل اللقب عن دلالته الدينية وحتى العلماء الذين درسوا عندهم في المشرق أطلق عليهم لقب المشايخ، مثلا الحسن بن آعراب الزواوي رحل إلى مصر، ودرس على مشايخ عدة منهم: الخرشي شارح خليل[1]، كما ذكر زاوية الشيخ حسن بن آعراب كان لها دور في بعث الحركة الفقهية والصوفية في المنطقة من أبرز الذين أخذوا عنه الشيخ الحسين الورتيلاني[2]. ومنه يمكن القول أن لقب الشيخ يمنح للعلماء الذين بلغوا مكانة علمية ومارسوا التعليم في المرحلة الثانوية.

ومنه يمكن القول أن المدرس والشيخ يوصف بهما العالم إذا حقق مكانة علمية مرموقة، وتخص فئة معينة منهم استطاعت أن تنجح في مهمتها التدريسية، وهذه الألقاب لم تصدر من جهة معينة، فهي إما أن تكون قد صدرت عن تلميذ مدح معلمه، أو أن العلماء اتفقوا على هذا اللقب الذي لا يمنح إلا للشخص تأكدوا من أجدرية صاحب اللقب به. وكتب التراجم ورد فيها هذه الألقاب، لكن الأئمة والشيوخ والمدرسين يشتركون في صفات كثيرة مثل تأليفهم للكتب، وتعمقهم في مادة تخصصهم، ورتبتهم أعلى من مؤدب الصبيان، ويختصون في التعليم الثانوي والدراسات العليا.

---

1 – عبد المنعم القاسمي الحسني، مرجع سابق، ص141.

2 – نفسه، ص142.

2.1 – المؤهلات العلمية للمعلمين:

التعليم لم تكن وظيفة رسمية تعين فيها الدولة المعلم في المنصب، ولم تكن هناك معايير محددة كالشهادة العلمية، أو كما كان يعرف في ذلك الوقت بالإجازة العلمية، ونظرًا لغياب سياسة واضحة، يصعب علينا تحديد الملامح والشروط التي يجب أن تتوفر في المعلم، لأن المتعامل به ما هي إلا تقاليد أصبحت شبه قوانين يعمل بها حتى يضمن المجتمع اختيار معلمين أكفاء لأبنائهم. فكان الأساس فيها هو حفظ القرآن الكريم والحديث، كما أن إتقان المعلم لكتاب في الأدب أو في التاريخ أو في اللغة يؤهله للتعليم من خلال إجازتهم له. وفي بعض الأحيان يتقن المعلم مجموعة من الكتب في موضوع واحد.

لكن هناك اختلاف بين اختيار مؤدب الصبيان والشروط التي يجب أن تتوفر فيه والمدرس والشيخ في المساجد والزوايا. لقد كان الواقف أو أهل الحي هم الذين يختارون مؤدب الصبيان في المدن، وأحيانا تختاره العائلة التي سيعلم لها أطفالها وخصوصا البنات تعليما خاصا. لذلك يختارونه من أهل التقى والصلاح والضمير الاجتماعي، ويشترطون فيه الزواج والأخلاق الفاضلة، وحافظًا للقرآن الكريم معروفًا بآداب الصلوات، وأنه يكتب ويقرأ الرسائل ونحوها. ومن حق الأهالي إعفاء المؤدب من وظيفته واختيار غيره إذا اقتضى الحال. كما أن بعض الآباء كانوا ينقلون أطفالهم من كتاب إلى آخر إذا شعروا بأن مؤدب الكتاب الأول لا يؤدي وظيفته كما ينبغي[1].

أما التعليم في المساجد والزوايا كان يختلف عن الكتاب من حيث المنهج والمواد المدروسة، ومن حيث المؤهلات العلمية للمعلم كذلك (المدرس، الشيخ)، لأن هذه المرحلة من التعليم (الثانوي، العالي) تتطلب التخصص، وأن يكون صاحبها ذا إجازة علمية تسمح له التدريس في فن من الفنون.

تخصصات المعلمين كان القرآن الكريم محور الدراسات الإسلامية، هذا إضافة إلى علوم أخرى منها اللغة من نحو وصرف وبلاغة وأدب وشعر، الحديث والقرآن، الفقه وما يتفرع عنه، المنطق والفلسفة، وحتى دراسة الفلك والحساب، لمعرفة الأوقاف وقسمة الإرث تحتاج إلى معرفة الحساب.

---

1 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص، ص322، 323.

فقد تزود المعلمون بهذه العلوم، ومنهم من تعمق في اختصاص معين، سواء فقه أو أدب. لكن المعروف عنهم من خلال الكتب التاريخية أنه من جلس في مجالسهم للتعلم لا يبخل الأستاذ بما عنده من فنون. فالتمغروطي في رحلته عند نزوله في بجاية قدم لنا صورة عن علماء الجزائر وحبهم للتدريس في قوله: "فأول من لقيته من أرباب المحابر وركاب أعوان الكراسي والمنابر، فاضل الأفاضل وكبير الأكابر الشيخ العالم المحدث أبو عبد الله محمد بن جعفر رحمه الله قصدت لقاءه والأخذ عنه، وقدمته وكنت أسمع من ملفوظ حامده، ومحفوظ محامده ما هو بغية السامع وحلية للمسامع فلما رويت من مكارمه ما رويت استصغرت ما سمعت لعظيم ما رأيت، واستقللت ما سمعت أذناي لما عاينته عيناي"[1].

وهذا دليل أن العلماء في تلك الفترة كان لهم كرسي أي منصب للتدريس، وشهرتهم وصلت خارج البلاد حتى أصبحوا مقصد للطلبة والعلماء للأخذ عنهم مختلف العلوم.

ونفس الوصف قدمه لنا الورتلاني عند نزوله قسنطينة حيث قال في علمائها "اجتمعنا في قسنطينة مع الفضلاء والنجباء والصلحاء وأعيان الوقت السالمين"، وذكر عدة علماء متخصصين في مختلف العلوم، اللغة، النحو الفقه، الأصول، البيان، الحديث. كما أضاف قائلاً "فكل من كان في قسنطينة ممن فيه رائحة علم وفضل وخير وصلاح، إلاّ اجتمع بنا، ورغب فيما عندنا ونحن أكثر رغبنا، ورغب فيما عندنا ونحن أكثر رغبة منهم فيهم"[2]. فحب العلم والرغبة في تدريسه والتزود بالمعارف والعلوم كان ميزة العصر.

كمثال لثقافة المعلمين هناك بعض الأسماء نالت شهرة واسعة لغزارة علمهم وشموليته، وتنوعه حتى أصبحوا مضرب المثل، نذكر منهم محمد بن خليفة الجزائري 1094هـ/1683م فقيه مشارك في عدة علوم من أهل مدينة الجزائر. فتصدر للتدريس فاشتهر وأخذ عنه جماعة، أثنى عليه ابن زاكور[3]. وكذلك محمد بن محمد بن شقرون بن أحمد المقري التلمساني (1087هـ/1677م)، حافظ للحديث، أصولي منطقي، من كبار فقهاء

---

1 – التمغروطي، مصدر سابق، ص20.

2 – الورتلاني، مصدر سابق، ص، ص798، 799.

3 – عادل نويهض، مرجع سابق، ص108.

المالكية في وقته، تولى التدريس بمدينة الجزائر، وأخذ عنه جماعة من العلماء، وتوفي بها ودفن خارج باب الواد[1]. ومنهم كذلك مصطفى بن الشاوش القسنطيني الذي سبق كره، الذي تخصص في الأدب، والنحو، والفقه، تولى التدريس في الجامع الأخضر[2].

ونذكر منهم عمر بن محمد بن عبد الرحمن المنجلاتي (1104هـ/1693م) فقيه كبير، أصولي منطقي، مشارك في كثير من العلوم من أهل بجاية، انتقل بعد سقوطها إلى مدينة الجزائر، فكان من كبار علمائها، رحل إلى المغرب وأخذ عنه، وأثنى عليه ابن زاكور الفاسي وقال: أجازني بالجزائر وتطوان، مات بمدينة الجزائر[3].

والبعض منهم لم يكتف بالتعليم، بل عرف كذلك بتأليفه للكتب منهم عبد الرحمن بن محمد الأخضري (920 – 953هـ/1514 – 1545م)، من أعلام التصوف، وأشهر علماء القرن العاشر الهجري، قضى حياته في التعليم في زاويتهم، كتب في علوم كثيرة مثل المنطق، التصوف، الفقه، البيان، الكلام، الحساب، من مؤلفاته: السلم المرونق في علم المنطق، الجوهر المكنون في البلاغة، وقد شرحه عدد كبير من العلماء بمصر وغيرها وطبع بمصر، وكتاب مختصر فقه العبادات[4].

ومن أشهر من تولى مهمة التدريس العلامة الحافظ أبو راس الناصر، اشتهر باطلاعه الواسع ومعرفته العميقة للعلوم اللغوية والأدبية والفقهية، مكث بمعسكر 36 سنة قضاها في التأليف والتدريس، كما سبق ذكره، وهو من العلماء المكثرين من التأليف، بل أكثرهم غزارة في الإنتاج الفكري، وقد أثمر هذا الجهد العديد من المؤلفات في القرآن وتفسيره، الحديث وعلومه، والتوحيد ومنهجه، الفقه وقواعده، التصوف وسلوكه، والمذاهب الفقهية، النحو والتاريخ[5].

وهناك فئة من المعلمين بدت عليهم ملامح التخصص فقصدهم المتعلمون، فكان منهم الذين اختصوا بالمواد العلمية وقعدوا لتدريسها رغم قلتهم، ومنهم من اختص بالأدب واللغة، وهناك من اشتهر عنهم بتدريسهم مواد أخرى.

---

1 – عادل نويهض، المرجع السابق، ص189.

2 – نفسه، ص265.

3 – نفسه، ص318.

4 – عبد المنعم القاسمي الحسني، مرجع سابق، ص193.

5 – عمر بلبشير، مرجع سابق، ص26.

هناك معلمون عرف عنهم التخصص في اللغة وآدابها فعلّموا فنونها، وبرعوا فيها حتى اشتهر عنهم ذلك، وقد ذكر الورتلاني عند نزوله قسنطينة أحد تلاميذ والده الفقيه أحمد الزين واشتهر في الأدب والنحو واللغة[1]. كما ذكر أبو راس الناصر المعسكري في كتابه الذرة الأنيقة في شرح العقيقة أبو عثمان بن عبد الله المنداسي التلمساني السجلماسي، أصله من منداس قرب غليزان، نشأ وترعرع في مدينة تلمسان في القرن 11هـ/17م وفيها أثبت براعته الشعرية في النوعين الموزون والملحون، وكان محل احترام لدى الخاص والعام والإعجاب لغزارة ثقافته ومهارته الشعرية ومؤلف العقيقة التي حظيت بشروح قيّمة[2]. ونذكر منهم كذلك مصطفى بن الشاوش القسنطيني، أديب ونحوي كان يدرس بالجامع الأخضر بقسنطيمة كما سبق ذكره[3].

كما كان من علماء تلمسان عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد المعروف بابن الوقاد (1075هـ/1647م)، شاعر، لغوي خطيب من أهل تلمسان، اشتهر بالتدريس وكان فصيح العبارة جيد الشعر، بارعًا في تدريس اللغة العربية وقواعدها[4]. وكذلك الصالح بن سليمان العيسوي (1152 – 1242هـ/1739 – 1826م)، من كبار مدرسي اللغة والنحو بزاوية الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري[5].

لكن المتأمل في تخصصات المعلمين وفنون تدريسهم يجد أن العلوم الشرعية والدينية هي الغالبة من حيث التدريس. فقد اختص المعلمون بالفقه والحديث، وبتدريس القرآن تفسيرًا وإعرابًا وقراءة. سأذكر أمثلة لهم محمد بن علي الجزائري المعروف بأقوجيل، حافظ للحديث من فقهاء المالكية. ومحمد بن علي الطرابلسي الجزائري فقيه الجزائر في عصره، مفسر، محدث من كبار العلماء. ونذكر كذلك محمد بن محمد بن الشرقي (964هـ/1557م) من أكابر العلماء في وقته، حافظ ثقة محدث، تصدر للتدريس بجامع الأعظم بتلمسان[6]. وكذلك المحدث أبو عبد الله محمد بن جعفر، الذي ذكـــره

1 – الورتلاني، مصدر سابق، ص798.

2 – محمد أبو راس الناصر المعسكري، الدرة الأنيقة في شرح العقيقة، تحقيق:أحمد أمين دلاي، مركز البحث في الأنتربولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، ص، ص07، 08.

3 – عادل نويهض، مرجع سابق، ص265.

4 – نفسه، ص343.

5 – عبد المنعم القاسمي الحسني، مرجع سابق، ص173.

6 – عادل نويهض، المرجع السابق، ص، ص111، 132، 187.

التمغروطي وسبق ذكره، فقال عنه "... وحيد معارف وجلالة، خالي الرواية، كامل المعرفة والدراية، إماما في الحديث والنقل"، فقد عرف عن علماء الجزائر في الحديث بلوغهم السند العالي، وشغفهم في نقل الحديث الصحيح، لذلك قام العديد منهم برحلات إلى المشرق لهذا الغرض.

وهناك بعض الزوايا اشتهرت بمشيختها، وتدريسهم للعلوم الدينية، نذكر منهم أحمد بن أبي داود الذي درس في زاوية أبي داود العلوم الشرعية خصوصا الفقه والتفسير والحديث، وعرفت الزاوية شهرة كبيرة وقصدها الطلاب من كل مكان[1]. ودرس فيها السعيد بن عبد الرحمن بن أبي داود (1176 – 1256هـ/1762 – 1840م)، أخذ العلم عند الشيخ الحسين بن آعراب أحد كبار مدرسي الفقه بالجزائر في القرن 12هـ ويذكر أنه أخذ عنه مختصر خليل في نحو ثمانية أيام فأجازه في تدريسه، وأعطاه نسخة من متنه ونسخة من شرحه للعلامة محمد الخرشي. ولقد زاول هذا الأخير التدريس في زاويتهم بعدها لمدة الخمسين سنة، تخرج على يديه المئات من الطلبة من مختلف أنحاء القطر لشهرة الزاوية بتدريس الفقه وعلومه[2].

وهناك بعض الزوايا اشتهرت بتدريس القرآن الكريم والقراءات، ومن أهم المدرسين لهذا العلم عبد الرحمن بن يسعد اليلولي (1105هـ/1691م)، من أشهر علماء القراءات بالجزائر في القرن 11هـ، اشتهر بتدريس القراءات السبع والعشر، حتى أن الذي لم يدرس عنده القراءات لا يعد عالما في البلاد الجزائرية. قام بتأسيس زاويته على قمة من قمم جرجرة سنة 1635م والتي اشتهرت بتحفيظ القرآن الكريم وتجويده، بالإضافة إلى العلوم الشرعية واللغوية[3]. كما كان في تلمسان حدو بن محمد المناوي (998هـ/1583م)، كان أستاذًا في القراءات السبع يدرس الخراز من كتب القراءات الشهيرة وعنوانه الأصلي (مورد الظمآن في رسم القرآن) لمحمد بن محمد الأموي الشريشي الشهير بالخراز، والأجرومية وألفية ابن مالك والرسالة[4].

---

1 – عبد المنعم القاسمي الحسني، مرجع سابق، ص60.

2 – نفسه، ص، ص155، 156.

3 – نفسه، ص، ص198، 199.

4 – نفسه، ص135.

اختصاص الزوايا في تدريسها لعلم معين راجع لشهرة المدرسين فيها وتمكنهم من علم معين أو عدة علوم، فعلى سبيل المثال نذكر زاوية محمد بن علي المجاجي في الغرب الجزائري، كانت مقصد الطلبة من كل أنحاء الوطن، ومن طلبته الذين تخرجوا على يديه مفتي الجزائر سعيد قدورة. فقد اشتهرت هذه الزاوية بتدريس علوم الشريعة، من فقه وتفسير وحديث وتوحيد وعلوم اللغة[1]. ولقد تبيّن لنا أن الطابع الديني يغلب على التعليم في الجزائر، فأهم العلوم المدروسة علوم الشريعة، إضافة إلى اللغة العربية وآدابها.

أما العلوم العقلية من رياضيات وفلك وطب نجد عددًا قليلاً من المعلمين اختصوا في هذه العلوم، أحمد بن محمد الهجرسي (12هـ/18م)، الذي سبق ذكره أنه كان يدرس الرياضيات وعلم الفلك في منطقة سيدي ناجي بطلب من شيخ البلدة، وبعد مدة أسس زاوية خاصة به[2]. ومن أشهر علماء الجزائر في الرياضيات علي بن والي بن حمزة الجزائري (999هـ/1590م) في أواخر القرن العاشر الهجري، أقام مدة في إستانبول حيث درس العلم، ثم عاد إلى بلاده ومنها توجه لأداء فريضة الحج، بحوثه في المتواليات كانت الأساس الذي بني عليه هذا الفرع من الرياضيات[3].

2 – الطلبة:

الطلبة في الجزائر خلال العهد العثماني، يمكن تقسيمهم حسب مراحل الدراسة إلى تلاميذ الكتاب، وطلبة الزوايا والمساجد. أما الفئة الأولى فقد سبق الحديث عنها، فهم تلاميذ التعليم الابتدائي يدرسون في الكتاب، والفئة الثانية التي سوف نفصل فيها في هذا الجزء، هي طلبة المساجد والزوايا، الذين تفوقوا في المرحلة الابتدائية والتحقوا بالمساجد والزوايا. فما هو النظام المتبع في هذه المؤسسات الثقافية لمتابعة تمدرس الطالب، وما هي الإمكانيات التي توفر له لتسهيل العملية التعلمية، والتعمق والتخصص في مختلف العلوم.

1 – عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص، ص341، 342.

2 – نفسه، ص114.

3 – عادل نويهض، مرجع سابق، ص124.

1.2 – طلبة المدارس والمساجد:

المساجد في الجزائر خلال العهد العثماني، كانت بمثابة معاهد عليا للدراسة، وكان البعض منها مرفق بعدة مرافق لخدمة الطالب، وتوفير له الجو المناسب للدراسة، من مكتبات، وغرف للإيواء والإطعام. فمثلا المسجد الأعظم في مدينة الجزائر كان يحتوي على مكتبة غنية بالكتب في مختلف العلوم. فبعد دراستنا للمؤسسات التعليمية (مساجد، زوايا)، فقد تبين لنا أنها كانت أكثر انتشارا في حواضر مدينة الجزائر، لذلك طلبة الريف كانوا مجبرين للتنقل إلى المدن من أجل الدراسة، فالمدارس في مدينة الجزائر كثير من الطلبة بها يعيشون في أماكن تقع بعيدًا عن المدينة، لذلك خصصت لهم غرف لينام الطلبة فيها مفروشة بالحصر، وأما الطعام الذي توفره المدرسة فهو طعام خشن جدا، ولولا موارد الصدقة التي يقدمها[1] المحسنون وأصدقاء الطلبة، وهي شيء ضئيل، لكان الطلبة يعيشون في فقر مدقع، والطلبة متقشفون بحكم الحاجة، وليس على أساس المبدأ[2]. فالمدارس كانت مزودة بالغرف لإيواء الطلبة، فقد كان هناك نظام خارجي حيث يدرس التلميذ ويعود إلى منزله، ونظام داخلي تتكفل من خلاله المدرسة بالإيواء. فالمدرسة المحمدية في معسكر كانت تحتوي على مجموعة من الغرف الصغيرة لمبيت الطلبة، وتتوفر أيضا على المرافق الأخرى الضرورية التي تساعد التلاميذ على الدراسة ومواصلة تعليمهم، فكانت بحق مركز تربية وتعليم[3]. كما كانت كذلك مدرسة خنق النطاح التي أسسها الباي محمد الكبير في وهران التي سبق ذكرها، كان الطلبة الذين يأتون من البادية أو المدن المجاورة يقيمون في فنادق خاصة بهم، وكانت حياة الطلبة المادية في عهده أحسن بكثير مقارنة مع بقية البايات الآخرين الذين حكموا وهران[4].

أما الشرق الجزائري فقد كانت مدرسة سيدي لخضر ومدرسة سيدي الكتاني متكونة من سكنات للطلبة وقاعات للدراسة[5]. وحتى تؤدي المساجد والمدارس دورها

---

1 – جيمس كاثكارت، مرجع سابق، ص98.

2 – نفسه، ص، ص98، 99.

3 – صالح فركوس، مرجع سابق، ص17.

4 – عبد القادر بلغيث، مرجع سابق، ص155.

5 – محمد بن شوش، مرجع سابق، ص11.

الثقافي، استحدث صالح باي في كل مدرسة قاعة للصلاة وميضأة وخمس غرف إحداهما مخصصة للمدرس والأربع الأخرى يقيم بها الطلبة الذين كانوا يتوزعون بنسبة طالبين لكل غرفة، كما خصص لهم أجور سنوية قارة، وبرنامج دراسي محدد وقوانين دقيقة يخضعون لها، وفي حالة التغيب بدون عذر، وعدم التقدم في الدراسة التي حددت مدتها بعشر سنوات أو عند إظهار السلوك المنافي للآداب العامة يتعرض الطالب للعقاب والطرد[1].

وكانت مدرسة توات سنة 1810م هي الحاملة لراية العلم بالصحراء الشاسعة، إذ قصدها طلبة العلم من منطقة الساورة والواحات ووهران، وحتى من الدول المالية. كان بالمدرسة ما يزيد على 400 طالب، والكل يتعلم ويأكل ويشرب وينام في ظروف عادية، بسبب دخل المدرسة الذي يصلها من المحسنين بدون انقطاع[2]. فيجري النظام في هذه المدارس على قبول الطلبة القاطنين بالمؤسسة، وهم من الغرباء عن المدينة تجرى لهم منحة يتقاضونها ومواد غذائية، ويلازمون الدروس، إما متخصصين في علم واحد أو مشاركين في عدة علوم، ويكوّنون مع الطلبة المداومين من أهل المدينة طائفة الطلبة الرسميين، وحلقات الدروس مفتوحة مع هذا لكل من يريد أن يكتسب معارف[3].

إضافة إلى المدارس، الزوايا هي الأخرى تكفلت بإيواء الطلبة، فمعظم الزوايا في الجزائر خلال العهد العثماني كانت بها غرف لإيواء الطلبة، فمثلا في مدينة الجزائر زاوية أحمد بن عبد الله الزواوي كانت تتكون من مسجد ومقبرة، وبيوت للعلماء والغرباء والطلبة[4]. زاوية القشاش كانت بها مجموعة من الغرف، حيث لعبت دور المأوى والمدرسة، كان يبيت فيها الطلبة الفقراء والغرباء، وكانوا يحصلون فيها على الطعام[5]. وزاوية كجاوة كان بها خمس بيوت لإسكان الطلبة[6].

1 – ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، مرجع سابق، ص67.

2 – محمد بن شوش، مرجع سابق، ص11.

3 – عبد المجيد مزيان، مرجع سابق، ص41.

4 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج5، مرجع سابق، ص118.

5 – أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، مرجع سابق، ص83.

6 – سلسلة المحاكم الشرعية، علبة 129، وثيقة 11.

فلقد ساهمت الزوايا إلى جانب المدرسة في إيواء الطلبة، كما كانت هي الأخرى مؤسسة تعليمية تلقى فيها دروس في مختلف العلوم كما سبق ذكره.

كما كان الطلبة إلى جانب الإيواء والإطعام يستفيدون من منحة، تخصص لهم من عائدات ومداخيل الأوقاف، فقد ورد ذلك في الوثائق، حيث كان هناك سجلات يقيد فيها عائدات أوقاف المسجد الأعظم، ذكر فيها مبالغ مالية تسلم إلى وكيل الجامع الأعظم من أجل طلبة المسجد، حيث يتكفل هذا الأخير بتوزيعها على مستحقيها(1). كما كان يستفيد الطالب من هدايا في المناسبات الدينية (العيدان الفطر والأضحى). فقد ورد في الوثائق حول مصاريف مؤسسة سبل الخيرات مبلغ حدّد بـ "20 دراهم خرج في رواتب الطلبة ومهيبة العيد الكبير" سنة 1134هـ/1721م(2). والجامع الجديد كذلك كان الطلبة فيه يأخذون منحة، فقد جاء في أحد الوثائق "الحمد لله هذه تقييد زمام شهور ما يأخذه الطلبة والمؤذنين وحزاب المساجد أواسط محرم الحرام سنة 1231هـ/1815م" قيمة 20 ريال(3). فقد خصصت المساجد من مداخيل أوقافها مبالغ مالية كمنحة تسلم إلى الطلبة الذين يدرسون فيها.

كما كان الطلبة في مدينة الجزائر تسلم لهم وظائف في المسجد، أهمها قراءة الحزب، فلطالما اقترن اسم حزاب والطالب منها "حزاب سي عبد القادر وطالب"(4).

كما ورد في أحد السجلات وظائف يتسلمها الطلبة في المساجد لقراءة الحزب تحت إشراف مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين، فقد جاء فيها: "الحمد لله ابتداء هذا السجل المحفوظ لتقييد وظائف جماعة الطلبة الذين يأخذون وظائفهم من المساجد وغيرها مشاهرة من دكان أوقاف الحرمين الشريفين، زادهم الله شرفا وتكريما، في أوائل شوال المبارك عام تسعة وتسعين وماية وألف 1199هـ/1707م:

الجامع الأعظم:

- أحمد بن النجار حزاب.
- محمد بن رجب.
- محمد بن الشامل.

1 – سجلات البايلك: ع23، س147.

2 – سجلات البايلك: ع33، س328.

3 – سجلات البايلك: ع34، س329.

4 – سجلات البايلك: ع29، س231.

- محمد بدر الدين.
- محمد البشاطني حزب علي باشا مع حزب الحلقة.
- محمد بن عيسى.
- إبراهيم بن الشاهد.
- الحاج محمد.
- محمد بن السيد الحاج إبراهيم بن موسى.
- أحمد ابن السيد محمد ابن العمالي.
- محمد ابن سي الموفق(1).

2.2 – نظام الطلبة داخل الزوايا:

لمعرفة سير النظام داخل الزوايا، سوف نأخذ نموذج زاوية من أهم زوايا بلاد القبائل، وهي زاوية سيدي علي بن يحيى وسط جبال جرجرة، كان يقصدها الطلبة من مختلف النواحي من قسنطينة وسطيف وباتنة، البويرة، سيدي عيش، الأخضرية، ويصل عددهم أحيانا إلى مائة طالب يتمتعون بالنظام الداخلي، ينتظم الطلبة داخل الزاوية في مجموعتين تتكون من ثلاث فئات:

- فئة المبتدئين.
- فئة المتوسطين.
- فئة المنتهين.

فئة المبتدئين هو الذي يختم سورة البقرة أما المتوسط فهو الذي يكون قد ختم سورة البقرة، وشرع في الإعادة، والمنتهين يكون قد ختم القرآن كله ولم يبق له إلاّ الرواية والتجويد. أما بالنسبة للطلبة الذين أنهوا المدة المقررة ولم يستوفوا أغراضهم، فأمرهم في تمديد المدة موقوف على نظر المقدم، فله أن يزيد ولكن بعد تلقي الموافقة من الشيخ الرئيس وبشهادة الطلبة عليه بأنه محمود السلوك، شديد الرغبة في إتمام دراسته. والمجموعة الثانية تتكون من ثلاث فئات قسمت حسب الكتب التي يدرسونها وهي:

---

1 – سجلات البايلك: ع31، س287.

- فئة الأجرومية وابن عاشر.
- فئة القطر والرسالة.
- فئة الألفية والرسالة ثم الشيخ خليل[1].

ولإعطاء صورة حول تنظيم إدارة الطلبة، أخذنا نموذج زاوية أو المعهد السحنوني بالأربعاء ناث يراثن الذي يسير وفق نظام خاص مكتوب في كراس يوضع داخل خزانة الطلبة الموضوعة تحت حماية المقدم، وتعمل هذه الزاوية وفق نظام داخلي، والداخلية في الزوايا يسيرها الطلبة أنفسهم، وهم الذين يقومون بجميع الأعمال التي تتطلبها الحياة داخل الزاوية[2]، فيقوم الطلبة بتسييرها ذاتيا ويتداولون على ذلك بصفة دورية منتظمة وديمقراطية، وفي أعراف متداولة ومتعارف عليها منذ زمن بعيد. هذه الزوايا تجعل من الطالب ليس فقط طالب للعلم، وإنما رجل يعتمد على نفسه في قضاء حاجاته اليومية من خلال قيامه ببعض الأعمال:

- نقل التموين إلى المخازن بالمؤسسة.
- جمع المحاصيل من أملاك المؤسسة (زيتون، تين، حبوب...) في وقتها.
- ذهاب بعض الطلبة إلى مختلف الجهات من البلاد لجمع (العشر) ويكون ذلك في فصل الصيف.
- تعيين بعض الطلبة بالتناوب لحضور مأتم وأفراح سكان القرى المجاورة[3].

لقد احتضنت هذه الزوايا الفقراء وقدمت لهم يد العون والمساعدات المجانية الممكنة ماديا وثقافيا، وساعدتهم على شق طريق الحياة إلى المستقبل. فتخرج منها أجيال من المثقفين ارتبط بعضهم بحركة النهضة الفكرية الإصلاحية وشاركوا في نشر العلم والثقافة بهذه البلاد وقاوموا الجهل والخمول[4].

3.2 – أصناف الطلبة في زوايا العلم:

قداش المصابيح: وهو طفل صغير عمرًا، يقرأ القرآن فقط، يكلف بإعداد وإضاءة المصابيح.

1 – محمد سي يوسف، مرجع سابق، ص، ص198، 199، 200.

2 – نفسه، ص199.

3 – محمد سي يوسف، المرجع السابق، ص201.

4 – يحيى بوعزيز، أوضاع المؤسسات الدينية...، مرجع سابق، ص21.

القداش: وهو أكبر من الأول يقوم بإعداد الأكل، يخبز ويطهي الأكل.

الطالب: وهو عمدة المؤسسة لأنه يمثل الأكثرية الغالبة.

الوكيل: سواء في النوالة أو السقيف ويختار من الطلبة القدامى.

المستخلف: يختار أيضا من الطلبة القدامى، ولكل جامع مستخلف.

المقدم: وهو يختار من كبار الطلبة، ويملك أعلى سلطة في المعهد بعد سلطة رئيس المؤسسة[1].

ومن أهم الزوايا ذات النظام الداخلي، والتي كانت تسير من طرف الطلبة زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي، كانت تتمتع بنظام فريد من نوعه، ويمكن أن نستعمل تعبير هذا العصر فنقول إنه عبارة عن تسيير اشتراكي لهذه المؤسسة من طرف الطلبة. فكان على مستوى الزاوية جماعة مكلفة بالتصرف في شؤون الزواية على المستوى الداخلي والخارجي، وفي ترتيب شؤون التعليم والعبادات، وهي تشتمل على عدد من الأعضاء يتراوح ما بين 10 و 12 طالبا، ويسمى رئيسهم "المقدم" أو "مقدم الثمن" وهو المكلف بالشؤون الخارجية من مداخيل الزاوية ومصاريفها[2].

وهناك رئيس آخر مكلف بالتعليم والصلاة ومختلف الآداب يسمى "مقدم العسكر"، فهو المسؤول عن الطلبة مباشرة، وتدوم مدة حكم مقدم الثمن شهرا قمريا كاملا، أما مقدم العسكر فلا يمكث في منصبه إلا خمسة عشر يوما، وبعد هذه المدة يعوض الرئيسان بغيرهما من الطلبة[3]. فكانت هناك نوع من الديمقراطية والتداول والتنسيق في إدارة الزوايا، حيث كانت هناك مجالس تعقد من طرف الطلبة المسيرين للزاوية لدراسة المستجدات والقضايا المهمة، كما تعمل هذه الإدارة على زرع الانضباط وسط الطلبة ومعاقبة المتجاوزين للقانون الداخلي، والتأديب يكون في عقد مجلس، يشبه مجلس التأديب في يومنا الحالي، يحضره جميع الطلبة وتنفذ فيه الأحكام الجسدية على مستحقيها، وفي بعض الحالات تكون العقوبة إجبار الطالب القيام بعمل من الأعمال الشاقة[4].

1 – محمد سي يوسف، مرجع سابق، ص202.

2 – نفسه، ص202.

3 – نفسه، ص203.

4 – نفسه، ص205.

كما كانت هناك شروط للالتحاق بالزاوية، حيث يجرى عن الطالب تحقيق لمعرفة سيرته، فإن كانت حميدة يسمح له الالتحاق بمقاعد الدراسة، وفي هذه الحالة يعقد مقدم الثمن اجتماع لأعضاء مجلس الشورى، يقدم لهم الطالب الجديد، وإذا وافقوا عليه طلبوا منه دفع مبلغ رمزي للزاوية، وبعدها يعقد اجتماع عام للطلبة ويقدم فيه الطالب الجديد لزملائه، ويعطى له أجل ثمانية أيام لتعليم قوانين الزاوية، وخلال هذه المدة لا يعاقب إذا ارتكب ما يخالف القوانين المعمول بها في هذه الزاوية، وإذا انتهت هذه المدة يطبق عليه ما يطبق على غيره من الطلبة[1]. لقد كان هذا النظام الداخلي الذي تسير به الزوايا مرآة عاكسة لنوعية الطلبة المداومين فيها الذين يتسمون بالانضباط والنظام والحرص على التعلم.

1 – محمد سي يوسف، مرجع سابق، ص203.

الفصل الثاني:

مصادر وموارد تمويل التعليم

<u>المبحث الأول</u>: المؤسسات الوقفية المشرفة على تمويل التعليم

<u>المبحث الثاني</u>: أجور المعلمين ومنحة الطلبة

<u>المبحث الثالث</u>: دور الحكام والمجتمع في تمويل التعليم

المبحث الأول: المؤسسات الوقفية المشرفة على تمويل التعليم

كانت الأوقاف موجودة في الجزائر وفي بقية البلدان الإسلامية، وهي كما نعلم حبس مال أو أرض ونحو ذلك، تصرف منفعته على الفقراء وخدمة الدين والعلم. وقد لعبت دورًا معتبرًا في عصر الأتراك وخاصة في مجال التعليم ونشر الثقافة، وهي نوعان: الأوقاف الخاصة أو العائلية، والأوقاف العامة وهي التي تهمنا، ويحبسها أهل الخير لأغراض خيرية دينية مثل التي تخصص للتعليم والعناية بالحج واستصلاح المساجد ومساعدة الأيتام[1].

والوقف يستند إلى أحكام شرعية في معاملاته باعتباره عقد لعمل خيري ذي صبغة دينية، يقوم على توفر الواقف الذي له أهلية التبرع، بما يملك من ذات أو منفعة وعلى وجود الموقوف وهو المنفعة التي تصرف على سبيل الحبس، فضلا على توفر الموقوف عليه، وهو المستحق الصرف تلك الذات أو المنفعة، ولو كان مصلحة عامة، كالمسجد والمدرسة والزاوية وغيرها.

والوقف حسب صرف المنافع المترتبة عنه يصنف إلى وقف عام يعود أساسًا على المصلحة العامة، ووقف عائلي أو أهلي. والوقف الموجه لخدمة التعليم ينتمي إلى الوقف العام لأنه موجه لخدمة عامة[2].

مؤسسة الأوقاف في الجزائر لها تاريخ عريق، حيث كانت إحدى دعائم المجتمع على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والتعليمي منذ الفترة الإسلامية، وأغلب الوثائق التي تعود إلى تلك الفترة في أغلبها تعود إلى القرن 15م. وكانت حبست لخدمة التعليم منها الوثيقة التي تسجل أوقاف مسجد ومدرسة سيدي أبي مدين بتلمسان والتي يرجع تاريخها إلى عام 906هـ/1500م. كما أن أقدم وثائق أوقاف الجامع الأعظم بالجزائر العاصمة لا تتجاوز عام 947هـ/1540م[3].

---

1 – خديجة بقطاش، "أوقاف مدينة الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي"، مجلة الثقافة، السنة الحادية عشر، العدد 62، جمادي الأولى والثانية 1401/مارس، أفريل 1981، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص77.

2 – ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، مرجع سابق، ص–ص149-152.

3 – نفسه، ص152.

ولقد انتشرت هذه الثقافة خاصة في العهد العثماني وسط المجتمع الجزائري سلطة وشعبًا، ومما يلاحظ أن الأوقاف ما لبثت أن تزايدت أواخر العهد العثماني حتى تشكل نسبة كبيرة من الممتلكات الزراعية الحضرية منذ أواخر القرن 18م. والذي يهمنا منها هي الأوقاف العامة لأنه كان يخصص البعض منها لخدمة التعليم، وكانت هذه الأخيرة كثيرة بمدينة الجزائر وقدر عددها في الأيام الأولى من الاحتلال 2600 ملكية، وعدد غير قليل في المدن الأخرى كقسنطينة ووهران[1].

فلقد ساهمت الأحباس في تحمل ودفع نفقات المدارس، وبما أن التعليم مرتبط بالحركة الدينية، فإن مردود المؤسسات الدينية والأحباس كان يساعد على توظيف الأساتذة والعناية بالمؤسسات الخاصة بالتعليم. وفي هذا المجال كانت أحباس مازونة هامة، كما استفاد التعليم من مردود هذه الأحباس بالمدن الأخرى كمعسكر وخاصة تلك التي حبسها الباي محمد الكبير، كما اشتهرت بذلك كل من مستغانم وتلمسان، وشملت هذه الأحباس ميادين عديدة، منها داخل المدينة وخارجها تمثلت في كل من بساتين، وأراضي وحمامات ومحلات تجارية، إضافة إلى مخازن ومحلات حرفية[2].

1 – المؤسسة الوقفية المشرفة على التعليم في مدينة الجزائر:

لقد خصصنا هذا الجزء من الدراسة لنبين فيه المؤسسات الوقفية التي كانت تشرف على تمويل التعليم، وهي مؤسسات خيرية ذات طابع ديني، وكون العلاقة بين الدين والتعليم كانت مباشرة، حملت على عاتقها الإشراف على التعليم:

1.1 – أوقاف الحرمين الشريفين:

كانت تشكل أغلب الأوقاف الخيرية أو الأهلية وذلك للمكانة السامية والمنزلة الرفيعة التي خص بها سكان الجزائر البقاع المقدسة بالحجاز، وقد كانت هذه الأوقاف من الكثرة إذ كانت تبلغ نسبتها في أواخر العهد العثماني ثلاثة أرباع الأوقاف الموجودة آنذاك. بحيث كان عدد أوقاف الحرمين بمدينة الجزائر وضواحيها عشية الاحتلال الفرنسي

---

1 – خديجة بقطاش، مرجع سابق، ص77.

2 – الواليش فتيحة، مرجع سابق، ص165.

يتراوح ما بين 1357 و 1558 ملكية عقارية تبعا للمصادر المختلفة، وحسب إحصاء دوفو 1357 ملكا عقاريا مردوده السنوي 36013,45، يضاف لها كراء (عناء) 201 وقفا آخر يقدر محصوله 7209,25، بحيث يصبح عدد الأملاك المحبسة على الحرمين الشريفين 1558 ومردودها السنوي 43222,70 ف، ومن أوجه صرف عوائد أوقاف الحرمين الشريفين الإنفاق على ثلاثة مساجد حنفية بمدينة الجزائر[1].

2.1 – أوقاف سبل الخيرات:

مؤسسة سبل الخيرات هي عبارة عن هيئة دينية تأسست سنة 1584م، تشرف على ثمانية مساجد بمدينة الجزائر تابعة للمذهب الحنفي[2] وهي: الجامع الجديد، جامع سفير وزاويته، جامع دار القاضي، جامع كتشاوة، جامع الحاج شعبان خوجة، جامع الشبارلية، مسجد حسين داي، مسجد علي خوجة الواقعين بحصن القصبة. وتعود أهمية أوقاف سبل الخيرات إلى غنى الطائفة التركية، هذا ما جعل عدد أوقافها يناهز 331 وقفا منها 119 ملكية عقارية و 212 عناء توفر مدخولا سنويا يقدر بـ 180.000 فرنك[3].

3.1 – أوقاف الجامع الأعظم وبقية المساجد الحنفية والمالكية الأخرى:

تحتل الدرجة الثانية بعد أوقاف الحرمين من حيث كثرة عددها ووفرة مردودها، وهذا يعود أساسا إلى الدور الذي كان يلعبه الجامع الأعظم في الحياة الثقافية والدينية. ولكثرة المساجد المالكية في الحواضر الجزائرية الكبرى، ففي مدينة الجزائر مثلا كان عدد المساجد المالكية يبلغ 92 مسجدًا، كل مسجد خصصت له أوقافا تتفق عليه، وكان في طليعة هذه الأوقاف الخاصة بالمساجد الحنفية أوقاف المسجد الأعظم التي بلغت من الكثرة والضخامة، بحيث كانت تناهز 550 وقفا[4]. وقد ذكر في إحدى التقارير بشأن أملاك الجامع الأعظم أنها تحتوي على 125 منزلا و 39 حانوت و 3 أفران و 19 بستانا و 107 إيراد[5].

---

1 – ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، مرجع سابق، ص، ص157، 158.

2 – خديجة بقطاش، مرجع سابق، ص77.

3 – ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص159.

4 – نفسه، ص158.

5 – عبد الجليل التميمي، مرجع سابق، ص160.

جدول عقود التحبيس للجامع الأعظم[1]:

السنوات	عدد العقود
1600 – 1540	13
1650 – 1601	33
1700 – 1651	48
1750 – 1700	65
1800 – 1751	157
1841 – 1800	227

جدول العقارات المحبسة على الجامع الأعظم[2]:

الفترة الزمنية	نوعية العقار			
	دار	حانوت	الجناين	الأحواش
1839 – 1541	139	×	×	×
1814 – 1572	×	49	×	×
1838 – 1603	×	×	80	×
1825 – 1575	×	×	×	26

1 – عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص165.

2 – نفسه، ص171.

جدول مداخيل كراء العقارات المحبسة على الجامع الأعظم سنة 1213هـ/1798م[1]:

العقارات	المداخيل السنوية والشهرية
علوي	21 ريال في السنة
علوي	1 دينار في الشهر 12
علوي	5 دنانير في الشهر 60
علوي	5 دنانير في الشهر 60
علوي	6 دنانير في الشهر 62
علوي	30 ريال في السنة
علوي	20 ريال في السنة
علوي	24 ريال في السنة
علوي	30 ريال في السنة
علوي	22 ريال في السنة
علوي	15 ريال في السنة
علوي	15 ريال في السنة
علوي	12 ريال في السنة
علوي	134 ريال في السنة
علوي	27 ريال في السنة
علوي	27 ريال في السنة
علوي	24 ريال في السنة
علوي	24 ريال في السنة
علوي	25 ريال في السنة
علوي	25 ريال في السنة
علوي	18 ريال في السنة
علوي	32 ريال في السنة

1 – سجلات بيت المال والبايلك: ع8، س40.

فقد قدرت مداخيل أوقاف الجامع الأعظم من كراء (العناء) العلوي سنة 1213هـ/1798م ما يقدر بـ 719 ريال سنويا[1]. ولقد كانت هناك أحباس حبست لتصرف مداخيلها على المدرسين والطلبة والمفاتي والمؤدنين وقرأة القرآن (الحزابين) وبقية الموظفين الآخرين الذين يقومون بجلب الماء، إشعال قناديل الجامع وتنظيمه وتأثيثه. كذلك هناك أحباس خصصت مداخيلها لدفن الطلبة والعلماء، وأحباس أخرى لمؤدبي الصبيان، على أن جزءًا آخر من المداخيل كان يوزع على فقراء الجزائر[2].

كانت عائدات أوقاف الجامع الأعظم تصرف على أعمال الصيانة وسير الخدمات، وعلى كل فإن فائض مردود الأوقاف يعتبر هاما رغم هذه المصاريف والنفقات، بدليل أنه تم إنشاء زاوية ملحقة بالجامع الكبير عام 1039هـ (1629 – 1630م). ورغم أن وثائق البايلك الموجودة حاليا لا تتضمن تفاصيل عن أحباس الجامع الكبير، إلاّ أن هذه الأحباس كانت من الكثرة بحيث أنها كانت توفر مدخولا سنويا قدر عام 1837م بـ 12000 فرنك ساهم بـ 125 منزلا و 3 أفران و 39 بستانا و 19 مزرعة. هذا بالإضافة إلى عناء 107 أوقاف أخرى[3]. كما كانت تشترى من عائدات أوقاف الجامع الأعظم كتب للمكتبة، لكي يستفيد منها طلاب العلم، فقد جاء في تقييدات ابن المفتي أنه تولى سعيد بن إبراهيم قدورة الفتوى، ويوم توليته حاسبوه على أوقاف الجامع الأعظم كما هي عادة كل من يتولى الفتوى، فاطلعهم على الحساب وعلى ما اشترى من الكتب للجامع، منها شرح العيني (بدر الدين العيني) على صحيح البخاري[4].

---

1 – سجلات بيت المال والبايلك: ع8، س40.

2 – عبد الجليل التميمي، مرجع سابق، ص166.

3 – ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، مرجع سابق، ص، ص187، 188.

4 – حسين بن رجب شاوش بن المفتي، مصدر سابق، ص97.

جدول الأملاك الموقفة على المساجد (1182 – 1184هـ/1728 – 1730م)(1):

أوقاف المساجد	علوي	دار	حانوت	مخزن	الفنادق	الحمامات	بحيرة
جامع حسين باشا مزمورطو	03	01	06		01	04	
جامع عبدي باشا	10	01	03	05	14 غرفة		02
مسجد السيد علي باشا		10	10	01	04 غرف		02
جامع خضر باشا			16		13 غرفة		

جدول الأملاك الموقوفة (1220هـ/1805م)(2):

الأوقاف	العقارات
شركة أندلس	129
أوقاف جامع علي باشا	141
أوقاف مزمورط	138
أوقاف خضر باشا	144
أوقاف الجامع الأعظم	124
أوقاف الأسرى والطلبة	136

4.1 – أوقاف الزوايا:

أملاك المؤسسات الوقفية لم تقتصر فقط على المساجد والأضرحة، يضاف إليها الزوايا التي كانت مدارس للتدريس وفي نفس الوقت مكان لإيواء الطلبة، أسست من طرف المرابطين وحظيت بأوقاف كان لها مداخيل من الأملاك الموقوفة يشرف عليها الوكيل، وأهم هذه الزوايا في مدينة الجزائر: زاوية القاضي، زاوية القشاش، زاوية سيدي الجودي، زاوية جامع السباغين، زاوية جامع السيدة، زاوية الشرفاء، زاوية مولاي حسان، زاوية سيدي محمد الشريف، زاوية العباسي، زاوية الأندلس، زاوية كتشاوة(3).

1 – سجلات بيت المال والبايلك: ع4، س10.

2 – سجلات بيت المال والبايلك: ع10، س51.

3 - Aumerat, **La propriété urbaine à Alger**, in R. A. n°42,… op.cit., p. 191.

كان المحبسون على الزوايا هم المؤسسون لها، كما أن معظم الأوقاف التي سجلت باسمها كانت مرافقة لزمن تأسيسها، فزاوية كجاوة كانت معظم الأملاك الموقوفة عليها من مؤسسها محمد خوجة، كما أن الأوقاف التي نالتها كان معظمها في سنة التأسيس. وزاوية القشاش كانت أول زاوية نالت حظها من الوقف وهذا سنة 1659م، وهي سنة تأسيسها. وفيما يلي جدول يوضح عدد الزوايا في مدينة الجزائر التي نالت حظها من الأوقاف(1):

جدول تطور عدد الزوايا التي كانت تنال أوقافًا عبر المراحل التاريخية للحكم العثماني

الزوايا	ق 16	ق 17	ق 18	ق 19
زاوية الشرفة		×	×	×
زاوية كجاوة		×	×	
زاوية القشاش	×		×	×
زاوية بوطويل		×	×	×
زاوية الأندلس		×	×	
مسجد زاوية سيدي الأكحل		×		
زاوية مولاي حسن		×		

لا بد أن نشير إلى أن الزوايا في مدينة الجزائر لم تنل حظا كبيرًا من الأوقاف مقارنة بالأضرحة، فمن بين 224 عقد تحبيس، نالت الزوايا 35 عقدا فقط. ويمكن تفسير ذلك كون الزوايا لا يقوم بتأسيس الأوقاف لصالحها إلاّ مؤسسها، أما الأضرحة فهي خاصة بأولياء مشهورين نسجت حولهم أساطير وأشيع عنهم أن لهم قدرات خارقة للعادة، مثل قدرتهم على شفاء المرضى، وبالتالي كانت جميع فئات مجتمع مدينة الجزائر تقوم بتأسيس الأوقاف لصالح الأضرحة، خاصة منها الأضرحة المشهورة مثل ضريح عبد الرحمن

1 – ياسين بودريعة، مرجع سابق، ص116.

الثعالبي[1]، التي كانت تقدر في السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي بـ 69 وقفا مردودها السنوي 600 فرنك[2].

فقد ورد في عقود المحاكم الشرعية سنة تأسيس الزاوية والأملاك المحبسة عليها، فمثلا زاوية الأندلس تأسست سنة 1033هـ/1624م على يد جماعة من أهل الأندلس، بعد شراء دار وعوضت مكانها زاوية تحتوي على مدرسة لتعليم القرآن ومسجد للصلاة، وقاموا بتحبيسها على جماعة الأندلس وأقاموا لها أحباس وعيّنوا وكيل يشرف على صرف مداخيله: "... أشهد الآن الجماعة المذكورون أنهم حبسوا جميع الدار المذكورة التي جعلت مدرسة الآن المذكورة فيه على جماعة الأندلس بجميع حدودها ومنافعها... ووكلوا المحبسون المذكورون المكرم محمد العبلي المذكور على حوز الحبس المذكور لمن ذلك القيام بشأنه وإصلاح ما يجب إصلاحه، وقبض ما يعود على نفعه على المدرسة المذكورة من مطعم وغيره وتوليه ذلك وصرفه فيما يراد مصرفه..."[3].

وكذلك زاوية كجاوة وهي مؤسسة تعليمية أسسها محمد خوجة سنة 1201هـ/1786م، وقد ذكر في عقد التأسيس الأماكن التي حبست عليها "وما حبس السيد محمد خوجة المذكور أصلح الله حاله وبلغه في الدارين آماله على المدرسة والمسجد المذكورين جميع الدار الكاينة قرب زاوية الأندلس مع جميع الدار القريبة من باب الجديد سند الجبل، مع جميع الدار الكاينة بحومة بساط القايد قاسم سند الجبل مع جميع الدار الكاينة بحومة كوشة علي سند الجبل... تحبس كل منهما مبين في رسمها بشهادة شهيديه مبين فيها البيان التام يخرج من غلة الأماكن المذكورة جميع ما ذكر من المصاريف"[4]، وقد بين في العقد وحدد نصيب كل مستفيد من الحبس من بينهم المستخدمين في الزاوية من المدرس (1 دينار كل شهر) الإمام (1 دينار سلطاني)، خمسة قراء للحزب (1 ريال في كل شهر)، قيم الإصلاح (1 ريال كل شهر)، الطلبة الساكنين في بيوت الزاوية (نصف ريال كل شهر). واشترط المحبس في الأخير أنه بعد تسديد المصاريف المعينة، الفائض

---

1 – ياسين بودريعة، مرجع سابق، ص111.

2 – ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، مرجع سابق، ص159.

3 – سلسلة المحاكم الشرعية، علبة 82، وثيقة 2.

4 – سلسلة المحاكم الشرعية، علبة 129، وثيقة 11.

من عائدات الأوقاف يشترى به مكان آخر يوقف على ما ذكر، وما فضل يصرف في الأعمال الخيرية لفائدة عامة المسلمين[1].

من جهتها مثلت الزوايا مؤسسات خيرية وتعليمية يلجأ إليها المعوزين والطلبة، بفضل ما كانت تمتلكه من ثروة مادية تتمثل في مداخيل مالية من عائدات الأوقاف. لكن بعض الزوايا في الريف والمدن الأخرى كانت إلى جانب الأوقاف مداخيل أخرى تعتمد عليها الزوايا في تمويل التعليم، المصادر المالية لهذه المؤسسات التعليمية من الناحية الاقتصادية تعتمد على مصدرين هامين ورئيسين:

المصدر الأول: الإعانات التي يقدمها لها المحسنون من الأثرياء في شكل نقود وبضائع ومواد غذائية (حبوب وزيوت)، وحيوانات وأدوات، وألبسة ومفروشات وغيرها وذلك بصفة دورية[2].

المصدر الثاني: أموال الحبس والأوقاف الإسلامية التي يوقفها عليها الأشخاص والهيئات الخيرية والجماعات وبعض الولاة والأمراء، وتتنوع إلى أراض زراعية وحقول الأشجار المثمرة والغِلاَل كالزيتون والتين والخروب والحيوانات الحلوبة، والمحلات التجارية والحمامات المعدنية بالأرياف وغير المعدنية في المدن، تدر عليها الأموال اللازمة للصرف على احتياجاتها المختلفة، كالتغذية والإنارة والتنظيف والتبييض والتأثيث والصيانة، والإنفاق على طلبة العلم والعلماء والفقراء وإجراء الإصلاحات المطلوبة للمؤسسة[3].

والموارد الاقتصادية في زوايا بلاد زواوة كانت تتمثل في دخل الأوقاف والأحباس التي يوقفها الأتباع عليها أو الصدقات التي يقدمها أهل الخير، وكذلك الزكاة والهدايا العينية التي يقدمها أفراد القبيلة ومشاركة الطلبة، وتبرعات المسافرين الذين ينزلون بها، وما يحمله كل طالب حين يحضر للدراسة، ولا ننسى الصدقات التي يقدمها الزوار الذين يقصدون هذه الزوايا للتبرك بها أو بضريح مؤسسها.

إلى جانب هذه الأوقاف هناك وسيلة أخرى يتخذها الطلبة لجمع المواد والأرزاق، تقوم على تكليف جماعة من الطلبة بالخروج إلى طلب العشور بين سكان القرى

---

1 – سلسلة المحاكم الشرعية، علبة 129، وثيقة 11.

2 – يحيى بوعزيز، أوضاع المؤسسات الدينية...، مرجع سابق، ص21.

3 – نفسه، ص21.

والأعراش، يقومون بهذه العملية مرتين في السنة، الأولى بعد موسم الحصاد مباشرة لجمع العشور، والمرة الثانية في الخريف بعد جمع محصول التين ليأخذوا عشور التين، والمعروف أن كل قرية تجمع عشورها[1]. ومنه يمكن القول أن تمويل التعليم ومؤسساته اختلف حسب طبيعة المنطقة الريفية أو الحضرية، لكن القاسم المشترك بينهما هو إرادة المجتمع الجزائري لخدمة التعليم واستمرارية نشاطه.

2 – مداخيل الأوقاف:

جدول العقارات الموقفة (1182 – 1184هـ/1728 – 1730م)[2]:

الوقف	علوي	دار	حانوت	مخزن	غرفة	بيت	نصف علوي	المجموع
1/3 للحرمين الشريفين 2 شطر للطلبة شطر لفقراء الجزائر		92						92
الأوقاف المشتركة بين فقراء الحرمين والأندلس	09	16	22	01	01			49
شركة الجامع الأعظم والحرمين الشريفين	04	17	01	02	07	04		35
ذكر الغرف والبيوت والمخازن للحرمين الشريفين خاصة	96	170	36	34	10	08	17	371

1 – محمد سي يوسف، مرجع سابق، ص207.

2 – سجلات بيت المال والبايلك: ع4، س10.

جدول عائدات الأوقاف (1182 – 1184هـ/1728 – 1730م)[1]:

الوقف – المؤسسة	العائدات (ريال)
أوقاف فقراء الجزائر والأسرى والطلبة	297,4
الأوقاف المشتركة بين فقراء الحرمين والأندلس	1211
شركة الجامع الأعظم وفقراء الحرمين	6531,3
مسجد سيدي علي باشا	1050,6

وقدر عدد الأملاك الموقوفة خارج مدينة الجزائر على فقراء الحرمين الشريفين في الفترة ما بين 1186هـ/1772م و 1187هـ/1773م حوالي 340 دار[2].

وثائق المحاسبة المتوفرة في السجلات لن تمكننا من تقدير عائدات الأوقاف من العقارات التي تشغل بطريقة غير مباشرة من طرف مؤسسة الأوقاف عن طريق كرائها. فهناك عدم تجانس في المعطيات التاريخية الواردة في الوثائق، وقلة انتظامها وتعدد أوجه الإنفاق وكثرة المنتفعين من أحباس المؤسسات يعطينا حجمًا تقريبيًا لعائداتها.

وتتفاوت العقارات من حيث قيمتها العقارية بحسب حكم كل مؤسسة وقفية وأهميتها وطبيعة نشاطها، فمن خلال جداول العقارات الموقفة تبين لنا أن مؤسسة الحرمين الشريفين والأندلس يتصدران القائمة، تليها أوقاف المساجد تتصدرها العقارات الموقفة على جامع علي باشا، يليها جامع خضر باشا ومزمورط، ويليها العقارات الموقفة على الجامع الأعظم. إلاّ أن هذا الترتيب لا يعكس القيمة الاقتصادية لأوقاف كل مؤسسة بالنظر إلى بعض المنشآت تغلب على أوقافها الرباع. كما أن الإحصائيات تختلف من سنة إلى أخرى في بعض الأحيان يكون هناك تراجع في عدد العقارات والعكس.

---

1 – سجلات بيت المال والبايلك: ع4، س10.

2 – نفسه.

لكن الشيء الوحيد الذي أجمع عليه المؤرخون الذين درسوا وثائق الأرشيف أن أوقاف المساجد أمنت مصادر دخل قارة للمؤسسات التعليمية من مساجد وزوايا وكتاتيب. وتميزت هذه العقارات بالكثرة والتنوع من دار، حانوت، مخزن، غرف في الفنادق، علوي الحمامات، البحيرة، الدويرة.

فقد وردت مداخيل أوقاف الجامع الأعظم من كراء الأوقاف (العلوي) سنة 1213هـ/1798م ما يقدر بـ 719 ريال سنويا، رغم كل المحاولات التي تقوم بها الدراسات التاريخية لإحصاء عائدات المؤسسات الوقفية من خلال وثائق المحاسبة الواردة في السجلات، إلاّ أنها لم تصل إلى إحصائيات دقيقة لأسباب سبق ذكرها. لكن تمكن من خلال دراسة أوجه الإنفاق وكثرة المنتفعين من أحباس المؤسسات، واستنتاج مدى مساهمتها في تمويل التعليم.

المبحث الثاني: أجور المعلمين ومنحة الطلبة

استفادت أصناف اجتماعية عديدة من المؤسسات الوقفية ماديًا، ومن أبرز المستفيدين مدرسي المساجد والمؤدبين ومعلمي المدارس، حيث أن هذه الفئة تم تصنيفها في قائمة الموظفين في المساجد ويتقاضون مرتبات وإعانات حسب درجاتهم. فالمؤدب أو المعلم في الكتاب والمسيد كان يتقاضى أجرة شهرية 2 ريال، والمدرسون في المساجد يتحصلون على رواتب قارة مقابل تقديم الدروس قدرة بخمسة ريال شهريا، هذا بالإضافة إلى الصدقة والإعانات النقدية والعينية التي كان يتحصل عليها والتي كانت تزداد قيمتها في المناسبات الدينية.

فبفضل مردود الأوقاف والمداخيل التي يوفرها تمكن حكام الأتراك بالجزائر من إيجاد وسيلة ملائمة لتسيير بعض المصالح التعليمية والخدمات الثقافية التي لم تر الدولة ضرورة لرعايتها، ولم تكن الخزينة العامة تهتم بالإنفاق عليها مثل منح الطلاب وأجور المدرسين وجرايات القائمين على شؤون العبادة بالمدارس والزوايا والمساجد والأضرحة مثل الخطيب، الإمام، الحزاب وقيم المكتب والمؤذن والمنشد والشعال[1].

كان لمساجد وهران وملحقاتها موظفيها القائمين على نشاطها العلمي، من بينهم المدرسين، فقد خصص لهم رواتب تأتي من عائدات الأوقاف وأملاك الحبوس، قدر الراتب الشهري بـ 10 ريال لكل مدرس[2].

ولما أسس الحاج محمد خوجة المكتابجي زاويته المعروفة باسم زاوية شيخ البلاد نصب في الوقفية (وعددها ألف قطعة سلطاني ذهبا) على تخصيص محبوس منها لأستاذ يتولى فيها تدريس العلوم النظرية والعلمية والأصول والفروع وإلا فمن يحذق بعضها[3].

1 – أجور المعلمين:

لم يكن المعلمون موظفين رسميين تعينهم السلطات المسؤولة، كما لم يكن لهم هيئة تمثلهم ولا أجرة ثابتة تمنح لهم. ويمكن تصنيفهم من حيث الأجرة إلى نوعين، معلمون

---

1 – ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، مرجع سابق، ص162.

2 – عبد القادر بلغيث، مرجع سابق، ص157.

3 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص327.

موظفون برواتب معلومة وهم المدرسون في المساجد ومؤدبو الصبيان في المكاتب الملحقة بالمساجد، ونوع ثاني من المعلمين يأخذون الأجرة من الدارسين.

1.1 – معلمين يأخذون أجرة من الدارسين:

أغلب الأجور كانت تأتي من الأهالي لا من الوقف، وبناء على بعض التقديرات فقد كان المؤدب، يأخذ حوالي ثلاثين فرنكًا شهريًا على كل طفل موزعة كما يلي:

- أربعة عشر أجرة.
- خمسة في شكل هدايا في الأعياد.
- إحدى عشر عطايا خلال مراحل تعلم الطفل، مثل مناسبة حفظ القرآن[1].

المعلمين في الكتاب لا يتلقون أجرة شهرية ولا سنوية، بعد أن يحفظ التلميذ أجزاء من القرآن، يدفع له الأولياء إثنان أو ثلاث دوبلات، حسب إمكانياتهم المادية. وبعد أن ينتهي التلميذ من حفظ القرآن في مدة ثلاث سنوات، الذين يدرسون عند الأتراك يكرمون المعلم من خلال مأدبة عشاء، ويقدمون له هدايا (أفرشة، أقمشة من حرير)، وإلا مبلغ مالي بين خمسة عشر وعشرين دوبلا حسب مقدور العائلات لشراء الملابس، والبعض الآخر يقدم لهم الملابس، والذين يدرسون العربية يسطحب التلميذ وهو على الحصان ويلف به شوارع المدينة، ويتم إيصاله إلى منزله[2].

لا يمكننا معرفة تكاليف التعليم لكل أسرة لها أطفال في التعليم الابتدائي، لأن الأمر يختلف حسب أحوال الأسرة، فقرًا وغنًى، في الريف أو المدينة. والتكاليف كلها لم تكن في شكل نقود أسبوعية أو شهرية للمؤدب، فقد كان آباء التلاميذ يرسلون أشياء أخرى كالثياب والزيت والحلويات والقمح واللحم والزيتون ونحوها، وهذا كله يتوقف على وضع العائلة ومكانها في الريف أو المدينة[3].

لم تكن مهنة التعليم من المهن المرغوب فيها أو المريحة خلال العهد العثماني، فكانت لا تجلب إلى صاحبها إلاّ الفقر، رغم أنّها تجلب إليه عطف الناس وإحسانهم واحترامهم المعنوي. وكان الناس ينظرون إلى المعلم وخصوصًا معلم الأولاد أو المؤدب

1 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص30.

2 - Diego de Haëdo, op.cit., p. 114.

3 – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص31.

نظرة شفقة وعطف أكثر من نظرة احترام وتبجيل، ذلك أنه كان يعيش عيشة الكفاف في أغلب الأحيان، وكان مورد غير قار ولا آمن، رغم كل ما يدفعه له آباء التلاميذ من أجر ومن هدايا في مختلف المناسبات. وكان بعض المؤدبين شيوخا طاعنين في السن أو عمياناً، ولاسيما معلمو الفتيات في البيوت. وكان يساعدهم في مهمتهم بعض المتدربين الذين يسمون في بعض النواحي "مسلكين"، ولذلك كان بعضهم لا يعتمد كليا على التعليم كمورد للرزق(1)، وحتى المؤدبين الذين كانوا لهم رواتب قارة كانوا يعانون من نفس الظروف، هذا ما أدى بهم إلى ممارسة أعمال أخرى إلى جانب تأديب الصبية.

2.1 – معلمين موظفين برواتب معلومة:

كانت هذه الفئة من المعلمين، تخص المدرسين في المساجد والمدارس في المدن، فالمدرسون يحصلون على رواتب قارة وشهرية مقابل تقديم الدروس وكذلك معلمي الكتاب أو المسجد. هذا إضافة إلى إعانات نقدية وعينية متفاوتة بعنوان الصدقة والإحسان تزداد في المناسبات الدينية، لكن تجدر الإشارة هنا أن الأجرة لا تقدمها الدولة أو الهيئة الرسمية، وإنما تُعطى من عائدات أموال الأوقاف. فبفضل مردود الأوقاف والمداخيل التي يوفرها تمكّن الحكام الأتراك بالجزائر من إيجاد وسيلة ملائمة لتسيير بعض المصالح التعليمية والخدمات الثقافية التي لم تر الدولة ضرورة لرعايتها، ولم تكن الخزينة العامة تهتم بالإنفاق عليها مثل منح الطلاب، وأجور المدرسين القائمين على شؤون العبادة بالمدارس والزوايا والمساجد والأضرحة مثل: الخطيب، الإمام، الحزاب، وقيم المكتب والمؤذن والمنشد والشعال، فباستثناء الجهات النائية والمناطق الجبلية التي كانت القبائل فيها تتكفل بالإنفاق على التعليم(2).

1.2.1 – مؤدب الصبيان:

كانت المساجد التي كانت ملحقة بها مدارس ابتدائية أو الكتاب، أو كما كان يعرف كذلك في مدينة الجزائر بالمسيد، هذا النوع كانت تشرف على تمويله ودفع أجرة المؤدبين المساجد من أموال الأوقاف الخاصة بمسجدها، فكان مؤدب الصبيان يصنف ضمن

---

1 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، المرجع السابق، ص317.

2 – ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، مرجع سابق، ص162.

الموظفين التابعين للمسجد، ويحصل على راتب شهري مثله مثل المدرس، ولقد انتشرت هذه السياسة خاصة في حواضر ومدن الجزائر، ولإعطاء صورة سوف نأخذ نموذج حول مدينة الجزائر من خلال وثائق الأرشيف الوطني.

مداخيل الجامع الأعظم من الأوقاف خصصت ليُصرف جزء من مداخيلها على مؤدبي الصبيان. فقد ورد في السجلات عدة أمثلة أخذنا نماذج منها، فمثلا السيد محمد مؤدب الصبيان في مسجد الجامع الأعظم كان يتقاضى أجرة شهرية لمدة سنة كاملة (1208هـ/1793م) قيمتها 10 ريال شهريا[1]. وكذلك هناك مثال ثاني السيد مختار مؤدب الصبيان في الجامع الأعظم كان يتقاضى راتب شهري قدر بـ 1 ريال لمدة أربعة سنوات، من 1211هـ/1796م إلى 1214هـ/1799م[2]. فمنصب مؤدب الصبيان هو منصب قار، يثبت فيه لعدة سنوات يتلقى فيها المعلم أجرة ثابتة، وهذه الخاصية لا تخص المسجد الأعظم وحده، فمثلا في مسجد سي الجردي كان مؤدب الصبيان يتلقى أجرة قيمتها 3 ريال لمدة ثلاث سنوات من 1207هـ/1792م إلى 1209هـ/1794م. فقد جاء في الوثيقة: "الحمد لله قبض السيد محمد مؤدب الصبيان بمسيد سي الجردي في ماله من شهر الله شعبان سنة 1207هـ/1792م"[3]. كما كان يتقاضى مؤدب الصبيان أجرة 2 ريال في جامع عبدي باشا والجامع الجديد[4].

ولقد تبين لنا من خلال الوثائق، الأجرة الزهيدة التي كان يتقاضاها مؤدب الصبيان، مقارنة بالمدرس والخطيب، رغم أنها شهرية إلاّ أنّها لا تلبي حاجيات المعلمين في الكتاب. هذا ما أدّى بهم إلى ممارسة أعمال أخرى إلى جانب تأديب الصبيان داخل المسجد منها المؤذن الكناس والفراش والحزاب (قراءة حزب)، فقد ورد في السجلات "السيد محمد بن عبد الرحمن مؤدب الصبيان ومؤذن السدة، كناس جامع كجاوة" و "السيد مصطفى مؤدب الصبيان، فراش" سنة 1230هـ/1814م[5].

---

1 – سجلات بيت المال والبايلك: ع31، س287.

2 – سجلات بيت المال والبايلك: ع31، س288.

3 – سجلات بيت المال والبايلك: ع31، س287.

4 – سجلات بيت المال والبايلك: ع29، س231.

5 – سجلات البايلك: ع34، س331.

2.2.1 – المدرسين في المساجد:

مدرس التعليم الثانوي والعالي في المدن كان من المحظوظين، لأنها استطاع أن يصل إلى هذا المستوى من التعليم، فهو موظف عند الدولة بحكم يعيينه من الباشا أو الباي، لذلك فإن عليه ما على جميع الموظفين الآخرين من رقابة وقيود ومن واجبات دينية واجتماعية وسياسية أحيانًا[1]. لكن الذي أجمعت عليه المصادر وأثبتته الوثائق أن الوظائف في المساجد كانت ثابتة، وكان من بينها المدرس الذي يلقي الدروس الدينية من فقه وحديث في المساجد، وكان هذا الأخير يتقاضى أجرة شهرية، خصصت له من مداخيل الأوقاف الخاصة بكل مسجد أو زاوية.

فكان لجوامع مدينة وهران وملحقاتها موظفيها القائمين على صيانتها والقيام بالنشاط العلمي فيها، وقد قسم الباي محمد الكبير العمل في المساجد على مجموعة من الموظفين، ورتب لهم مستحقات مالية وهي على النحو التالي:

- إمام المسجد 40 ريال.
- خطيب المسجد 40 ريال.
- مؤذنو المسجد الأربعة 20 ريال.
- قراءة القرآن صباحًا ومساءًا وهم أربعة 10 ريال.
- مدرس صحيح البخاري 40 ريال.
- المدرسون للفقه والحديث والتفسير واللغة العربية كل واحد منهم 10 ريال.
- مصحح ألواح الطلبة 40 ريال.
- وكيل المكتبة 15 ريال.
- راوي حديث اللغو يوم الجمعة 10 ريال.
- منظف بيوت الطهارة 40 ريال.

وكانت هذه الرواتب تأتي من عائدات الأوقاف وأملاك الحبوس للنفقة على نشاط المساجد[2]. والملاحظ أن الباي محمد الكبير في معسكر أول حاكم خصص مبالغ شهرية

1 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص318.

2 – عبد القادر بلغيث، مرجع سابق، ص157.

من ميزانية الدولة[1]. وكذلك صالح باي في قسنطينة بعد تأسيسه مدرسة سيدي لخضر بقسنطينة خصص من الميزانية أجرة للأساتذة[2]. وقد ثبت من السجل الذي أمر به لضبط مصاريف الجامع الكبير بقسنطينة أن أستاذ المدرسة الملحقة بالجامع كان يتقاضى ثمانية وأربعين ريالاً شهريًا[3].

أما مساجد مدينة الجزائر فكانت هي الأخرى عبارة عن معاهد تلقى فيها الدروس، وكان بها أساتذة يشرفون على تقديم الدراسات العليا في مختلف العلوم الفقهية، كما كان منصب الأستاذ صنف مع موظفي المساجد تحت لقب المدرس، وفي بعض الأحيان يذكر الدرس الذي يقدمه، كما أن الفقيه المالكي والحنفي هم كذلك كانوا يقدمون دروس في مساجد مدينة الجزائر. وكان للمدرس راتب شهري خصص له من عائدات أوقاف المساجد، والوثائق في مركز الأرشيف تثبت ذلك، فقمت بوضع جداول لرواتب المدرسين في مساجد مدينة الجزائر.

جاء في سجلات البايلك نص وثيقة: "الحمد لله بيان ما دفعنا رواتب الجامع متع الأمير السيد عبدي باشا سنة 1142هـ/1729م"[4].

جدول راتب المدرسين في مسجد عبدي باشا (1142هـ/1729م)[5]:

الوظيفة	الأجرة الشهرية (ريال)
الخطيب	15
الإمام	08
المدرس	05
حزاب	02
حزاب مؤدب الصبيان	02
مؤدب الصبيان	02

1 – أحمد بن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص141.

2 - A. Cherbonneau, op.cit., p. 469.

3 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص328.

4 – سجلات البايلك: ع29، س231.

5 – سجلات البايلك: ع29، س231.

وهناك وثيقة أخرى جاء فيها: "بيان ما خرج على راتب متاع مسجد الباشا مزمورط 1152هـ/1739م"(1).

جدول راتب مسجد مزمورط سنة (1152هـ/1739م):

الوظيفة	الأجرة الشهرية (ريال)
الخطيب	15
الإمام	08
المدرس	07
راتب المسيد	1 – 4

وجاء في أحد السجلات وثائق حول مصروف جامع باب عزون خلال الفترة الممتدة من 1159هـ/1746م إلى 1162هـ/1748م تمكنا من خلالها استخلاص جدول حول راتب المدرسين في المسجد(2).

جدول راتب مسجد مزمورط سنة (1152هـ/1739م):

الوظيفة	الراتب
الخطيب	15
الإمام	08
المدرس	07
المسيد	1 – 4

وهناك وثيقة أخرى من السجلات جاء فيها: "راتب الموظفين في جامع عبدي باشا من سنة 1210هـ/1795م إلى 1212هـ/1797م جاء فيها ما يلي:

- الخطيب مصطفى أفاندي 15 ريال.
- الإمام محمد خوجة مع المكتب 22 ريال.
- سي محمد سقينجي مدرس وحزاب 08 ريال.

1 – سجلات البايلك: ع29، س241، س243، س244، س245.

2 – سجلات البايلك: ع29، س241، س243، س244، س245.

- سي محمد الشريف مؤدب الصبيان 01 ريال[1].

يتبين من الوثيقة أن المدرس في نفس الوقت يقرأ الحزب وأن الإمام في نفس الوقت يدرس في الكتاب، لذلك الأجرة مرتفعة على المعتاد، لأنه يمارس وظيفتين في نفس الوقت، وهذا التقليد وجدناه في عدة مساجد، حيث يسمح للموظف ممارسة عدة مهام داخل المسجد، فمثلا في مصاريف جامع كجاوة ورد في وثيقة "الخطيب محمد أفندي حق خطب وحق درس وحق كتب 35 ريال"[2]، وهذا دليل على قلة الراتب.

أما المسجد الأعظم، فقد خصص أوقافه راتب للموظفين والسجلات تثبت ذلك فقد ورد في فيها (1184هـ/1770م):

- الخطيب خمسة عشر ريال وعشرون درهم.
- المدرس المالكي سبع ريالات وخمسة أثمان.
- لراوي الحديث للمدرس سبعة أرباع[3].

بالإضافة إلى الأجرة كان المدرسون يتلقون مبالغ مالية في شكل هدايا أو عطايا في مناسبات معينة، منها شهر رمضان والعيدان (عيد الفطر وعيد الأضحى). وبالإضافة إلى ما ذكرناه هناك السكن وبعض الامتيازات الأخرى، فحين بنى صالح باي مدرسة جعل وقفها ينص على تخصيص خمس غرف للطلبة والأساتذة، وكانت زاوية الجامع الكبير بالعاصمة تحتوي على طابقين من الغرف المخصصة لسكنى العلماء والفقراء والغرباء، وكانت زاوية شيخ البلاد تحتوي أيضا على خمس غرف لسكنى الطلبة والمدرسين[4].

يتبين لنا من خلال عرض رواتب المعلمين في الجزائر خلال العهد العثماني، أن هذه الفئة لم تلق الدعم من طرف الحكام الأتراك، فلولا الوقف ورغبة المجتمع وتقديسه للتعليم لعرف هذا الأخير الانحطاط. ولذلك مهنة التعليم لم تكن مرغوبة وسط المجتمع

---

1 - سجلات البايلك: ع31، س288.

2 - سجلات بيت المال والبايلك: ع8، س40.

3 - سجلات بيت المال والبايلك: ع14، س85.

4 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص329.

لأنها غير مربحة، حتى ذكر في المصادر أن البعض منهم غير مهنته مثل حمودة المقايسي الذي غير مهنته من التدريس إلى صناعة المقايس. ومنهم من مارس التجارة مثل أبى عبد الله محمد العطار كان عارفًا بالمعقول والمنقول (العلوم العقلية والنقلية)، وكان من المدرسين في مدينة قسنطينة المتقنين، وكان ذا مال يتاجر بماله خرج للتجارة بتونس[1]. ومحمد النقاوسي الذي كان سمسارًا للكتب بقسنطينة[2]. وكان بعض المدرسين والأساتذة يتولون وظائف أخرى كوكالة الوقف والإمامة والخطابة والقضاء ونحوها. وكان معظم المدرسين يحصلون على الحلوى يوميا خلال شهر رمضان، والملابس أثناء عيد الأضحى، وتتراوح رواتبهم السنوية من الأوقاف بين مائة ومائتي فرنك[3].

2 – منحة الطلبة:

كان الطلبة في المساجد والزوايا يستفيدون من مساعدات مالية، عبارة عن منحة شهرية تقدم إليهم من عائدات الأوقاف، وكان هذا التقليد معمول به في معظم مساجد وزوايا الجزائر خلال العهد العثماني، وهذا مرتبط مع المؤسسة الوقفية ومداخيلها، لأن الوقف كان كالشجرة يحتاج إلى التعهد المستمر لكي يزداد دخله. لذلك كانت بعض المؤسسات الدينية والعلمية تعاني نتيجة ضآلة دخلها وإهمال الوكلاء، بل إن بعض المؤسسات تلفت من عدم العناية بأوقافها، أو عدم الحصول على أوقاف جديدة، لكن بعض المؤسسات كانت تتمتع بأوقاف ضخمة مثل الجامع الكبير بالعاصمة[4]، الذي كانت مداخيله كبيرة، بدليل أنه تم إنشاء زاوية ملحقة بالجامع من فائض مردوده لإيواء الطلبة كما سبق ذكره[5].

مدينة قسنطينة كان عدد أماكن العبادة والتعليم بها ينيف عن 100 منها 35 مسجــدا و 169 زاوية و 7 مدارس رئيسة يدرس بها 600 تلميذ، منهم 150 من الأرياف وكلهم يتقاضون منحة سنوية من وكيل الأوقاف تقدر بـ 36 فرنك للطالب، مع إعانة نصف سنوية

---

1 – عبد الكريم الفكون، مصدر سابق، ص43.

2 – نفسه، ص55.

3 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص329.

4 – نفسه، ص232.

5 – ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، مرجع سابق، ص187.

تتألف من كمية من الزيت والشموع والبخور والسجاجيد[1]. كما كان يستفيد الطلبة في معسكر من نفقات ومساعدات تقدم لهم في مواسم الأعياد[2]، في حين بعض الزوايا في الريف كان الطلبة يشرفون بنفسهم على جمع المداخيل المالية من خلال جمع العشور في الموسم الزراعي، كما سبق ذكره. فقد كان طلبة العلم في الجزائر خلال العهد العثماني يستفيدون من منحة ومساعدات، وهذا ما تؤكده الوثائق.

فقد جاء في السجلات "رواتب ومهيبة وخرجية"، "خرج رواتب للطلبة" "مهيبة العيد الكبير"، فكان الطلبة في الجزائر خلال العهد العثماني تشرف على دراستهم مؤسسة الأوقاف من خلال تقديم منح وهيبات في المناسبات الدينية. ولإعطاء صورة حول هذه المنح أخذنا نموذج من السجلات وهي مؤسسة سبل الخيرات، التي كانت تخصص منحة للطلبة في مسجد السيدة[3]، يتحصل عليها الوكيل على المسجد أو الإمام ويوزعها على الطلبة، حيث جاء في سجل قيد حول بيان أناس المساجد ورد فيه تخصيص جزء من عائدات الأوقاف الجامع الأعظم لإعانة "قبض 161 ريال وجامع الأعظم لأجل طلبة بجامع أعظم" "16 قبض وكيل جامع الأعظم على طلبة تمام شعبان"[4].

والمنح كانت عبارة عن راتب شهري لكن قيمته لم تكن ثابتة، وهذه الزيادة والنقصان تكون حسب مداخيل المؤسسة الوقفية، وحسب تغير عدد الطلبة المتمدرسين في المساجد، فقد صنف الطلبة في السجلات مع أناس المساجد التي تشرف على مساعدتهم الأوقاف، كما كانت هناك أوقاف خاصة بالأسرى والطلبة تقيد مداخيلها ومصاريفها في سجلات "الدفتر الثامن والخمسين بعد الماية مشتمل على حفظ كراء الأملاك المذكورة، ويتضمن أيضًا أوقاف بعض المساجد مع الأوقاف الموقوفة على الأسارى وعلى أوقاف الطلبة... وهم موقفين على الحرمين الشريفين 1229هـ/1813م[5].

---

1 – ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، المرجع السابق، ص162.

2 – عبد القادر بلغيث، مرجع سابق، ص226.

3 – سجلات البايلك: ع33، س328.

4 – سجلات البايلك: ع19، س100.

5 – سجلات البايلك: ع19، س92.

فحسب السجلات المنح التي يأخذها الطلبة شهرية، حيث ورد في أحد الوثائق "الحمد لله تقييد زمام شهور ما يأخذه الطلبة والمؤدبين وحزاب المساجد أواسط محرم 1231هـ/1815م قيمة 20 ريال".

جدول راتب الطلبة لجامع السيدة، مؤسسة سبل الخيرات[1]

السنة	أعلى منحة (دراهم صغار)	أدنى منحة (دراهم صغار)
1135هـ/1722م	397	320
1136هـ/1723م	404	310
1137هـ/1724م	405	305
1138هـ/1725م	364	300
1139هـ/1726م	355	307
1140هـ/1727م	316	375
1141هـ/1728م	325	316
1142هـ/1729م	326	334

جدول أوقاف فقراء الجزائر والأسارى والطلبة (1128 - 1129هـ/1812 - 1813م)[2]:

الأوقاف	العقارات
شركة أندلس	129
أوقاف جامع علي باشا	141
أوقاف مزمورط	138
أوقاف خضر باشا	144
أوقاف الجامع الأعظم	124
أوقاف الأسرى والطلبة	136

1 – سجلات البايلك: ع34، س329.

2 – سجلات البايلك: ع159، س23.

الوقف في الحقيقة كان بالنسبة للدولة هو وزارة الثقافة والتعليم والدين والشؤون الاجتماعية اليوم، رغم أنه لم يكن هناك وزارة بهذا العنوان ولا بهذا المحتوى الشامل[1]. فباستثناء الجهات النائية والمناطق الجبلية التي كانت القبائل فيها تتكفل بالإنفاق على أماكن العبادة والتعليم بها، فإن مردود الأوقاف كان يشكل المصدر الوحيد لرعاية الخدمات الثقافية والدينية بأغلب البوادي والحواضر الجزائرية التي كانت تزخر بالمساجد والمدارس[2]. فقد كانت الأوقاف مؤسسة اقتصادية استفادت أصناف اجتماعية عديدة من المؤسسات التعليمية ماديا، كما أشرفت على استمرار نشاطها من خلال صيانتها وتأسيس مؤسسات جديدة ومرافق من فائض عائداتها.

1 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص234.

2 – ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، مرجع سابق، ص162.

المبحث الثالث: دور الحكام والمجتمع في تمويل التعليم

دور الدولة في مجال التعليم فإنه يكاد يكون غائبًا، إذ لم تكن للدولة سياسة تعليمية ولا برامج محددة. فكان دورها مقصورًا على مبادرات شخصية لبعض الحكام الذين كانوا يشيدون المدارس، بأموالهم الخاصة ويعينون عليها مدرسين، كما أنهم كانوا يشجعون العلماء وبعض رجال الزوايا، الذين يخدمون سياستهم فيقدمون لهم الدعم المادي والمعنوي[1]. والمعروف عن الأتراك أنهم لم يكونوا يوما ما دعاة ثقافة، وإنما كانوا رجال حرب، وأنهم أتوا إلى الجزائر كمحاربين للإفرنج والمسيحيين كافة ومدافعين عن بلاد المسلمين. فهم ليسوا بمثقفين ثقافة عربية النزعة تدفع بهم أن يبثوها في مجتمع طالما أحب العربية حبًّا جمًّا، وبذل من أجلها النفس والنفيس والغالي والرخيص[2]. فقد وصف ابن ميمون دور الحكام في مجال التعليم قائلا: "فغير ممكن أن نحكم على شعب بأنه مثقف ثقافة متينة الرصيد، ذائعة الصيت ذات مكانة وتأثير، وملوكه خلو منها، وقديما قيل "الناس على دين ملوكهم" "وفاقد الشيء لا يعطيه" ولكن "ما لا يدرك كله لا يترك جله"[3].

فلقد حكم الجزائر حكام كثيرون، وكانت لبعضهم مساهماتهم وجهود في الحركة التعليمية على أقدار متفاوتة. والذين ذكروا خلال الدراسة بهدف قصدنا من خلاله التعرف إلى طبيعة الدور الذي قاموا به، والذي تمثل في بناء المؤسسات التعليمية والأوقاف وتشجيع العلماء والمكافأة على التأليف والمساهمة في نشر الكتب.

1 – دور الحكام في بناء المؤسسات التعليمية:

على اعتبار أن المؤسسات التعليمية خلال العهد العثماني تمثلت في المساجد والزوايا والمدارس، أردنا من خلال هذا العنصر حصر الحكام الذين قاموا ببناء هذه المؤسسات الدينية والتعليمية. فيعتبر هذا الإنجاز مساهمة في حركة التعليم، فلا يكاد يوجد باشا ظل في الحكم مدة طويلة نسبيا إلاّ وقد بنى جامعا (أو مسجدًا) أو كتابا أو زاوية

1 – أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص336.

2 – محمد بن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص46.

3 – نفسه، ص46.

أو وقف على ما بناه، ولعل هذا يخالف ما قيل أن العثمانيين في الجزائر لم يكونوا مهتمين بشؤون الدين[1].

فمدينة الجزائر لها آثار معمارية أهمها المساجد تعود إلى العهد الزيري والحمادي، لكن لم يبق منها إلا الجامع الكبير، وكذلك جامع سيدي رمضان، فقد عرف العهد التركي تشييد مساجد زاهرة والكثير من الزوايا. وقد اشتهر الدايات في الجزائر بتأسيسهم لهذه المنشآت الدينية التعليمية، حيث أسس علي بتشين مسجده الشهير بنهج باب الواد، ورمضان آغا الذي شرع في تأسيس جامع الحواتين أو الجامع الجديد (1660 – 1661م)[2]. ويعتبر الباي محمد الكبير من أهم الحكام الذين ساهموا في حركة التعليم، وكانت لتجربته هذه نتائج إيجابية على الأوضاع الثقافية في بايلك الغرب الذي كان فيه التعليم ينقصه وسائل التشجيع والتنشيط المعنوي والمادي، وقد وجد ذلك في الباي محمد الكبير. فلقد كان يعاني من الركود الثقافي خاصة طيلة القرنين الأولين من الحكم العثماني للبلاد، بعدما كانت مدينة تلمسان (عاصمة ملوك بني زيان) مسرحا للمجابهات الثقافية والتيارات الفكرية، كما كانت تزخر بكثرة مؤسساتها الدينية والتعليمية الي كانت تضيء بنور معرفتها جميع أرجاء القطر الجزائري وخارجه، خاصة في القرن التاسع الهجري[3].

فقد ساهم الباي محمد الكبير من خلال إنجازاته في تشجيع الثقافة وبعثها من جديد في بايلك الغرب، فقام بعدة إنجازات عمرانية في مدينة معسكر أهمها بناء المدرسة المحمدية، والجامع الأعظم، والمكتبة. ولم تقتصر إنجازاته على مدينة معسكر، بل له في تلمسان ومستغانم والجزائر مباني ومؤسسات تعليمية من مدارس ومساجد، وقد جدّد المدرستين القديمتين بـ (تلمسان) وأعاد لهما نشاطاهما[4]، وأحي النشاط الثقافي في مدينة تلمسان، فتحركت قرائح الأدباء والشعراء والعلماء ونشطت أقلام الكتاب ببايلكه[5].

---

1 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص233.

2 – رابح بونار، مدينة الجزائر...، مرجع سابق، ص84.

3 – صالح فركوس، مرجع سابق، ص، ص16، 17.

4 – أحمد بن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص141.

5 – صالح فركوس، المرجع السابق، ص18.

أما مدينة وهران فقد تعرضت لهجومات الاحتلال الاسباني الذي طمس معالمها العلمية والثقافية، لكن بعد تحريرها من طرف الباي محمد الكبير واتخذها عاصمة لبايلك الغرب، رجعت الحياة فيها من جديد حيث عمل هذا الأخير على بناء المؤسسات التعليمية، من مدارس ومساجد التي لعبت دورًا كبيرا في حركة التعليم[1]. فقد شجع الباي العلماء على مواصلة نشاطهم العلمي، واعتنى بطلبة العلم، مما أدّى إلى ظهور جيل من العلماء والقضاة، والكتاب في الثلث الأول من القرن 19م[2]. هذا هو الجو الثقافي الذي أحدثه الباي محمد الكبير يعتبر فاتحة عهد جديد، أتاح الفرصة للعلماء والمدرسين والأساتذة لممارسة التعليم واستغلال مواهبهم في الكتابة والتأليف، وذلك عندما فتح باب الوظائف أمامهم وخصص لهم الرواتب[3]. فقد قال ابن سحنون أنه من أعظم مآثره "أنه رتب المدرسين في الجوامع بوظائف يأخذونها من الأحباس، بعدما كان العلماء لا ينتفعون من ناحية المخزن بشيء، إلاّ من كان متوليا لخطة، أو مستعملا في خدمة، فاتسعت بذلك حال العلماء وانشرحت الصدور للقراءة، وشرهت لها النفوس، وكثر طلبة العلم، وتشوق كل واحد للتدريس، واشتد الحرص على العلم من بعد أن كان يترك اشتغالاً بالتجارة لقلة حدوده"[4]. فقد كانت تجربة الباي محمد الكبير في بايلك الغرب دليل على أن المجتمع الجزائري كان يهتم بالتعليم، لكن نقص الوسائل والمحفزات وظروف المعلمين المادية جعلتهم ينفرون منه ويمارسون نشاطات أخرى كما سبق ذكره. لكن لما وفر الباي محمد الكبير الظروف المادية والوسائل المساعدة، جعل الناس يقبلون على التعلم ويحرصون على مواصلة الدراسة، كما أنه لما أصبح للمدرس راتب محترم، جعل الناس يقبلون على هذه المهنة التي فقدت مكانتها نظرًا لعدم اهتمام الحكام بقطاع التعليم. ولم يكتف الباي محمد الكبير بتشجيع الثقافة ببايلك الغرب، بل كان كذلك يمد طلبة العلم الملتحقين بالأزهر، ويبعث لهم سنويا إعانات. وهذا يعني أنه كان يتطلع إلى تكوين أساتذة للتدريس[5].

1 – أبو راس الناصري، عجائب الأسفار...، مصدر سابق، ص-ص91-151.

2 – عبد القادر بلغيث، مرجع سابق، ص146.

3 – صالح فركوس، مرجع سابق، ص24.

4 – أحمد بن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص143.

5 – صالح فركوس، المرجع السابق، ص24.

هذا لا يعني أنه الوحيد في عصره الذي كان يشجع الثقافة، فمثلا صالح باي قسنطينة كان هو الآخر عرف أنه شيد مؤسسات دينية وتعليمية. إلاّ أن ما قام به صالح باي لا يرقى من الحجم والاتساع إلى المستوى الذي عرفه بايلك الغرب في عهده، ولعل ذلك يرجع إلى جهله باللغة والثقافة[1].

كان لصالح باي مآثر عمرانية أعادت لقسنطينة ازدهارها العمراني، كما عرف كذلك تشجيعه لحركة التعليم من خلال إنشاء مؤسسات تعليمية، وكما سبق الإشارة إليه أنه عمل عند وصوله إلى الحكم على إنشاء عدة معاهد وضاعف عدد المدارس الابتدائية. من أهم أعماله بناء مدرسة سيدي لخضر لتدريس اللغة العربية[2]، كما شيد مدرسة أخرى ملحقة بالجامع الأخضر سنة 1789م وجامع آخر بعنابة (1203هـ/1792م). وقد بلغ عدد المساجد بقسنطينة في عهده خمسة، أما المساجد الصغيرة فكان عددها يزيد عن السبعين، في حين قدر عدد الزوايا 13 زاوية. وحتى تؤدي هذه المؤسسات الدينية والتعليمية دورها وضع لها نظام يتقيد به المدرسون والطلبة، كما وفرت لهم الجو الملائم للعمل، وكان المدرس يتقاضى أجرة سنوية قارة والطالب منحة، هذا بالإضافة إلى مكان الإقامة[3].

كما قام حسين كلياني (1692 – 1700م) لما تولى ولاية قسنطينة ببناء الجامع الأعظم (جامع الباي) وبعده حسن باي بوحنك (1736 – 1754م)، الذي اجتمع بالولي الصالح الشيخ الشيحي، وأعطى له دار في أحد أحياء قسنطينة، وجعل له زاوية ببلد أولاد عبد النور وأسقط المطالب المخزنية عن زاويته (زاوية الشليحي)[4].

وكل هذه الإنجازات توحي بأنه كان هناك منافسة بين الحكام لإنشاء المؤسسات الدينية والتعليمية، ولم يقتصر ذلك على الحكام، بل حتى الموظفين السامين في الدولة كانت لهم مبادرات في إنشاء المؤسسات التعليمية.

---

1 – صالح فركوس، المرجع السابق، ص27.

2 - A. Cherbonneau, op.cit., p. 469.

3 – ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، مرجع سابق، ص، ص64، 66، 67.

4 – أحمد بن المبارك بن العطار، مصدر سابق، ص-ص126-129.

فمثلا في مدينة الجزائر قام الشمالجي صاري مصطفى بن الحاج محمد سنة 1703م بتأسيس مدرسة ملحقة بمسجد السيدة[1]. إن الآثار تدل على أن الحكام العثمانيين كانوا يشعرون ببعض الواجب الديني والاجتماعي نحو المجتمع الذي كانوا يحكمونه. حقًّا إن منشآتهم العلمية لم تتطور فتصبح جامعات شهيرة ومعاهد راسخة القدم، لكن الحد الأدنى من العناية بهذه المنشآت يدل على نوايا بعضهم الحسنة والخيّرة. ويبدو أن قصر المدة التي كان يبقاها الكثير منهم في الحكم والعنف الدموي الذي كان يتسم به الحكم نفسه والانقلابات المتوالية هي التي كانت السبب في عدم تطور هذه المنشآت، ومنع الكثير منهم من وقف أوقاف جديدة عليها وتعهدها بالعناية والتنمية. كما أن الباشا الجديد في أغلب الأحيان كان خصما لسلفه، فلا يحرص على استمرار سياسة خصمه الدينية أو العلمية أو الخيرية، فهو يبدأ من الصفر وهكذا دواليك، فالمنشآت ظلت فردية أو تنسب إلى أفراد[2].

2 – حكام الجزائر الذين اشتهروا بالوقف:

من الباشاوات الذين اشتهروا بالوقف على المساجد والمدارس ونحوها: محمد بن بكير، الحاج محمد بن محمود، محمد بكداش الذي بنى زاوية للأشراف وأوقف عليها، محمد باشا الذي جدد جامع السيدة، وخضر باشا الذي بنى مسجدا يحمل اسمه، وكذلك حسين باشا الأخير الذي بنى جامع خطبة خاصا به[3]. وصالح باي الذي خصص موارد الأوقاف لدفع رواتب المدرسين والموظفين ومنح الطلبة، كما كلف القضاة والمفتيين بالبحث عن أوقاف المساجد، بعد أن حولت أغراضها الأساسية، وأمرهم بتقييد نتائج تحققاتهم في سجل خاص[4]. فقد اشتهر هذا الأخير بالعناية بالوقف وتنظيمه للقضايا الدينية والعلمية في قسنطينة، كما اشتهر باي معسكر الباي محمد الكبير، فكلاهما حكم في أواخر القرن 12هـ/18م، وحاولا أن يمثلا عصر التنوير في الجزائر[5].

---

1 - Tall Shuval, op.cit., p. 192.

2 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص234.

3 – نفسه، ص235.

4 – أرزقي شويتام، مرجع سابق، ص338.

5 – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص234.

كما اشتهر الباي محمد الكبير أنه حبس عدة أملاك حتى يضمن تمويل المنشآت الدينية والتعليمية التي أقامها منها أنه بنى بيتًا وأقام فيه مكتبة وحبس عليها خزانة، كما اشترى عدة عقارات (حدائق، ديار، حوانيت) وحبسها وبنى لها فرن، وعمل على أن تكفي عائدات الأوقاف تمويل جميع وظائف ولوازم المدرسة التي قام ببنائها، واستفاد منها كذلك العلماء، وبنى الفندق بالسوق القديم وزاده في أحباس الجامع الأكبر لما زاد فيه من الوظائف[1].

كما أوقف الحاج محمد خوجة أحد كتاب قصر الباشا أوقافًا ضخمة سنة 1190ﻫ على مدرسة عليا (أو معهد) ومسجد وزاوية، ومصطفى بن مصطفى آغا الصبايحية بنى زاوية لسكنى الطلبة وأوقف عليها[2]. وهذا فضلا على أن الحكام الأتراك الذين رأوا في الرابطة الدينية عاملاً قويًا مكّنهم من بسط نفوذهم وتدعيم مكانتهم لدى الأهالي، الأمر الذي دفعهم في كثير من الأحيان إلى تحبيس أملاكهم إظهارًا للورع والتقوى وتقربا للمرابطين واكتسابًا لتأييد رجال الدين. فعلى سبيل المثال نذكر أن الباي حسين بن صالح عام 1221ﻫ/1807م عندما خرج في إحدى حملاته العسكرية أخذ على نفسه نذرًا يتعهد فيه "ببناء دار الولي سيدي علي العريان والسيد محمد بن سيدي سعيد وإصلاح مسجده، وتحسين أوقاف يستعين بها على رعاية الطلبة والغرباء وأبناء السبيل[3].

كما أن الباي محمد الكبير هو الآخر كان يستهدف من وراء تشجيعه للثقافة إلى استئلاف العلماء وكسبهم إلى جانبه لتدعيم مركزه في الحكم. وكان يهدف أيضًا إلى بعث الرباطات الطلابية التي أصبحت كمؤسسة علمية، ذلك أن الباي محمد الكبير قد جعل الدراسة تقتصر فقط على من كان في الرباط الذي كان يشرف على إدارته والأساتذة، فجمع بذلك المرابطون بين الدروس العلمية والجهاد، وكان لهذه الرباطات الفضل الكبير في تحرير وهران[4].

---

1 – أحمد بن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص-ص 136-141.

2 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص236.

3 – ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية...، مرجع سابق، ص153.

4 – صالح فركوس، مرجع سابق، ص25.

العثمانيين لم يهملوا تماما وسائل نشر التعليم الديني ورعاية المجتمع، غير أن هناك عوامل تدخلت فجعلت الأوقاف غير فعّالة في خدمة التعليم والنهوض بالمجتمع، ومهما كان الأمر فإن الأوقاف هي التي كانت وراء بناء المساجد للعبادة والتدريس، وقد ساهم الحكام الأتراك في بناء المساجد والمدارس، وأوقفوا عليها العقارات حتى يضمنوا تسديد مصاريفها، من بينها أجور الأساتذة ومنح الطلبة، وهذه المساهمة دليل أنه كانت هناك مبادرات من الحكام لتشجيع التعليم. ولقد اعتبرت مؤسسة الأوقاف بالنسبة للدولة وزارة الثقافة والتعليم والدين والشؤون الاجتماعية، لذلك حرص الحكام والمجتمع العناية بها كونها كانت تشرف على تمويل التعليم. فقد كان التعليم لا يهم الدولة ولكنه يهم كل أفراد المجتمع، بمن فيهم الحكام فهو حر أو خاص كما نقول اليوم، وكانت هناك مبادرات من المجتمع وبعض الحكام الأتراك لتشجيع الحركة العلمية في الجزائر خلال العهد العثماني(1).

إن نوعية الحكم العثماني في الجزائر المتوجه أساسا إلى الجهاد البحري والدفاع عن بلاد الإسلام والمسلمين من التحرشات الأوروبية، وكون الجزائر كانت تتعرض لأبشع الحملات الإسبانية، لذلك انصب الحكام العثمانيين في اهتمامهم على تقوية الجيش، وتسيير النظامين الإداري والمالي، وكان ذلك سببًا في إهمال التعليم، وعدم اهتمام الدولة بقطاع التعليم، رغم العناية التي أولاها بعض البايات للتعليم والثقافة رغم أهميتها. إلاّ أنها جاءت متأخرة ولم تستمر فترة طويلة، ضف إلى ذلك الاضطرابات التي عرفتها البلاد آنذاك لم تسمح بالقيام بنهضة علمية وثقافية شاملة.

إن الأوضاع الاجتماعية والسياسية في الجزائر خلال العهد العثماني، وتغافل الدولة في الإشراف على التعليم جعل المجتمع يتبنى قضاياه الثقافية بنفسه ويسعى لإنشاء مؤسسات تعليمية لها قيمتها العلمية ولها إشعاعها داخل البلاد وخارجها، فإن المجتمعات الريفية والحضارية ساهمت في إنشاء مؤسسات ثقافية وتعليمية تتمتع بنظام إداري يتميز بالانضباط، كما وضعت لها برامج دراسية. فالثقافات التي تتبناها الشعوب في فترات غفلة الدولة عن قضايا التعليم، تخلو غالبا من العلوم العقلية وتستند إلى الاجتهاد وتلجأ للتقليد، وتعتمد على تخزين المعارف في حافظة الأجيال، غير مكترثة بالبحث والنقد والتحليل.

1 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص-ص 234-245.

ولكنها مع هذا تنقد الأساسيات العقائدية، وتنشر المعارف والقيم الحضارية وتقضي على الأمية الحقيقية هي أمية الغفلة عن الانتماء التاريخي[1].

3 – دور المجتمع في تأسيس المؤسسات التعليمية:

أمام تراجع دور السلطة في تأسيس المؤسسات التعليمية، ظهرت بعض الأسر العلمية التي ساهمت في نشر الثقافة بين أفراد المجتمع من خلال تأسيس المدارس والزوايا، وإيمانا منهم بدورها الجليل في خدمة الدين ونشر العلم والمعرفة.

ولقد عرفت الجزائر خلال العهد العثماني تأسيس العديد من الزوايا والمدارس، والبعض منها يرجع إلى الفترة السابقة لذلك العهد، واستمر نشاطها خلال العهد العثماني وامتد حتى فترة الاحتلال الفرنسي، ويمكن حصرها في مجموعة من المدارس والزوايا نالت شهرة لشهرة علمائها، ودروسها وإقبال طلبة العلم عليها.

- **زاوية أبهلول المجاجي:** الواقعة قرب تنس، فقد عرفت هذه المؤسسة التعليمية شهرة كبيرة في عهد محمد وأبا علي ابني أبهلول، لأنهما كانا شديدي الاعتناء بالعلم وفنونه كالتفسير والحديث والأصول والمنطق والبيان بعد الفقه والتوحيد، وقد درس فيه سعيد قدورة[2].

- **مدرسة زاوية الفكون:** إن أسرة الفكون اشتهرت بالعلم وخدمة الدين والمجتمع منذ العهد الحفصي، من خلال تأسيسها لزاوية تنشر العلم في قسنطينة، فقد ذكر الفكون في كتابه منشور الهداية عن زاوية أسلافه آل نعمون التي كانت في الأصل لهم، وتخلوا عنها لأصهارهم آل نعمون بعد بناء المدرسة «وأصلها فيما يذكر لأسلاف جامع هذا التقييد، وبعض أملاك أسلافه مرجعة إليها وكانت لهم، إلى أن أحدث بناء المدرسة جدُّ الجد أبو عبد الله محمد المذكور... فاستقل أسلافي بها ورفعوا أنفسهم عن الزاوية المذكورة لأصهارهم أولاد نعمون»[3].

---

1 – عبد المجيد مزيان، مرجع سابق، ص، ص39، 40.

2 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص359.

3 – عبد الكريم الفكون، مصدر سابق، ص80.

تأسيس أسرة الفكون لمدرستهم كان في الفترة المتأخرة من العهد العثماني، ثم توارثها أبناء الأسرة خلال العهد العثماني، حيث قام الشيخ محمد الفكون بتجديدها وتوسيعها، إذ يذكر الفكون «وهي في الأصل محدثة البناء لجده سيدي محمد سقرون... وبناء قبتها وإحداث ما هي عليه الآن من البناء والانتصاب لوالدي بعد وفاة والده المذكور»[1].

وكانت بمدينة قسنطينة مجموعة من الزوايا التي تعتز بها عائلاتها لأنها مجلبة للشهرة والعلم في الدنيا، ومن العائلات التي كان لها زوايا باسمها عائلة الفكون، وعائلة بن نعمون، عائلة ابن باديس وعائلة ابن آفوناس، الخ. وكانت هذه الزوايا مقصد الطلبة للعلم والراحة والإقامة، كما كانت مقر العلماء الزائرين، إذ تحتوي على المبيت وقاعة الاستقبال ومكان الدرس والمكتبة. وبالإضافة إلى الزوايا كانت هناك بعض المدارس التي أسست أصلا لنشر العلم وحده منها مدرسة الفكون التي سبق ذكرها[2].

كما عرفت بلاد زواوة عدد كبير من الزوايا والمعاهد اشتهرت بنشر العلم، وقد عرف عنها أنها ملك لأسر علمية، فقد عملت هذه الأخيرة على تأسيس مدارس وزوايا لنشر العلم، في ظل غياب تام لمساهمة السلطة العثمانية في ذلك، خاصة الأرياف، وبفضل مجهودها، ونشاط هذه الزوايا التي لعبت دورًا إيجابيًا خاصة في التعليم. ونذكر منها معهد بني يعلى لصاحبه العالم المشهور الحسن بن مصباح، وقد أشاد بهذا المعهد الكثير من العلماء والمؤلفين أمثال عبد الكريم الفكون والحسين الورتلاني[3].

ولقد نالت زاوية الورتلاني هي الأخرى حصتها من الشهرة، وكان التعليم من الأنشطة الأساسية لهذه الزاوية، وهذا ما ذكره الحسين الورتلاني في رحلته، وقد تصدّى للتدريس بزاويتهم[4]، وذكر العديد من المشايخ الذين كانوا يزاولون التدريس بها، سوف نذكره في المبحث الخاص بأشهر المدرسين في الجزائر خلال العهد العثماني.

1 – عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص51.

2 – أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون...، مرجع سابق، ص36.

3 – ناصر سعيدوني، المهدي بوعبدلي، الجزائر في تاريخ العهد العثماني، ج4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص152.

4 – حسين بن محمد الورتلاني، مصدر سابق، ص65.

وزاوية شلاطة التي أسسها محمد بن علي الشريف الزواوي بيلولة في بلاد القبائل، وقد ذكرها الحفناوي على أنها كان يقصدها الطلاب لقراءة كتاب الله عز وجل. بالإضافة إلى زاوية ابن أبي داود في تاسيلنت التي اشتهرت بتدريس الفقه، والطالب الذي يقرأ في غيرهما يعتبر ناقص السر والدليل، ولشهرتهما إذا أراد الناس تعظيم طالب أو فقيه نسبوه إلى إحدى الزاويتين[1]. وقد نالت زاوية أبي داود شهرة كبيرة في عهد أحمد بن أبي قاسم بن أبي داود (1235 – 1280هـ/1819 – 1861م) والذي تولى التدريس بها لمدة 25 سنة، ينشر العلوم الشرعية خصوصا الفقه والتفسير والحديث، وقصدها الطلاب من كل مكان، وتخرّج منها الكثير من الفقهاء والعلماء[2].

ومن أشهر المدارس في غير العواصم مدرسة الخنقة ومدرسة مازونة، وتنسب مدرسة الخنقة إلى مؤسسها أحمد بن ناصر (1171هـ/1757م)، وقد اشتهرت بعلوم النحو والفقه والحديث، وكانت مقصد طلبة الزيبان ووادي سوف والأوراس وحتى قسنطينة وعنابة[3].

وقد وصفها الحسين خوجة على أنها من الأماكن الغربية المشهورة، ووصفها كذلك «زاويتهم المعروفة بالعلم والبركة»، «ظهرت منها مشايخ كرام وعلماء أعلام لهم شهرة بين الأنام... أجلاء فقهائها الشيخ الفاضل أحمد بن عمر... أبو القاسم بن الطاهر... ومحمد بن عبد العزيز»[4].

ويظهر الدور الإيجابي للزوايا الريفية في التعليم على الخصوص، فقد كانت بالإضافة إلى وظيفتها الدينية معاهد لتعليم الشبان وتنوير العامة، وعرفت إقبال كبير من الطلبة منها زاوية خنقة سيدي ناجي ومحمد بن علي المجاجي، وزاوية القيطنة[5]، التي

1 – الحفناوي، مصدر سابق، ص534.

2 – عبد المنعم القاسمي، مرجع سابق، ص60.

3 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص284.

4 – حسين خوجة، الذيل لكتاب بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان، المطبعة الرسمية العربية، تونس، 1908، ص، ص164، 165.

5 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، المرجع السابق، ص268.

كانت تقوم بإيواء الطلبة وتعليمهم[1]. أما مدرسة مازونة فقد كانت على درجة كبيرة من الأهمية في النواحي الغربية من البلاد، وكان لها نظام راسخ وتقاليد متينة استمدتها من صلتها بالتعليم في تلمسان والأندلس والمغرب الأقصى، وهي أقدم المدارس التي أسست في العهد العثماني[2].

التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني عرف انتعاش في الحواضر الكبرى مثل مدينة الجزائر وقسنطينة وبجاية، حيث عرفت بكثرة رجال العلم بها والمؤسسات التعليمية، على غرار بعض المناطق الريفية التي هي الأخرى عرفت انتعاش فكري ونشاط تعليمي، حيث وجدت بها زوايا تعليمية نشيطة كبلاد زواوة وخنقة سيدي ناجي. ويرجع الفضل في ذلك إلى الأسر العلمية التي ساهمت في تأسيس المدارس والزوايا والبعض منها يرجع إلى العهد الحفصي، واستمر خلال العهد العثماني من خلال إشراف أبناءها على مختلف الأنشطة الثقافية والعلمية. والمقصود هنا ليس كل الزوايا، وإنما تلك التي كان لها نشاط تعليمي ساهمت فيه بعض الأسر العلمية، وسهرت على استمراره، ولقد اشتهرت هذه المعاهد لشهرة العلماء المشرفين عليها وأفضل مثال "مدرسة الفكون" في قسنطينة.

1 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، المرجع السابق، ص270.

2 – نفسه، ص285.

الباب الثالث:

الدور التعليمي لعلماء الجزائر

الفصل الأول:

الدور التعليمي لعلماء الجزائر داخليا

المبحث الأول: أشهر المدرّسين في الجزائر

المبحث الثاني: العلوم المدروسة والإنتاج العلمي

المبحث الأول: أشهر المدرسين في الجزائر

اشتهر في كل عصر وفي كل مدينة عدد من المدرسين والأساتذة وسجلت كتب السيرة أخبارهم وأخبار من أخذ عنهم ومدى سمعتهم بين الناس وبين أهل السلطة، وكتب التراجم والمشيخة تناولت الكثير منهم، ونحب أن ننبه إلى أن بعض هؤلاء المؤلفين قد بالغ في وصف الأساتذة وخلط بين قدرتهم على التدريس وبين تصوفهم.

لكن رغم ذلك تمكنّا من خلال هذه المؤلفات من وضع قائمة لأشهر الأساتذة في الجزائر خلال العهد العثماني، ويشتهر المدرِّسون في وقت واحد ويتنافسون فيما بينهم فنتج من ذلك حركة تعليمية مفيدة، ويجد الطلاب مجالاً للاختيار والحكم على أساتذتهم[1].

وفي تناولنا لهذا المبحث حول أشهر الأساتذة والمعلمين في الجزائر خلال العهد العثماني، وقع اهتمامنا أكثر على أشهر العلماء الذين اشتهروا بتخصصهم في عدة علوم، كما أن دروسهم نالت شهرة لقدرتهم واكتسابهم لمعارف، وطرقهم في التدريس التي نالوا من خلالها إقبال الطلبة عليهم.

1 – المدرِّسين في مدينة الجزائر:

• سعيد قدورة: الإمام العالم الصالح أبو عثمان سعيد بن إبراهيم المعروف بقدورة، وصفه الإفراني «كان عالما متفنّنًا زاهدًا ورعًا موصوفًا بالصلاح ولي الفتوى بالجزائر، فأحسن فيها، أخذ عن سيدي سعيد المقري، وله حواش "على الصغرى" وعلى خطبة اللقاني "وشرح على السلم"، توفي عام 1066هـ/1656م»[2].

وقد اشتهر سعيد قدورة بالتدريس في أشهر مساجد مدينة الجزائر، الجامع الكبير، وجامع سيدي رمضان، فقد كانت مساهمته في التدريس لا في التأليف وباللسان لا بالتعليم، ولذلك كثر تلاميذه وقلّت تآليفه.

والتآليف المنسوبة إليه عبارة عن إملاءات كان يمليها على طلابه، شملت الحديث، والفقه والنحو والمنطق منها: " شرح خطبة مختصر خليل في الفقه، و "حاشية على شرح

---

1 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص، ص324، 325.

2 – محمد الإفراني، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق عبد المجيد الخيالي، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، المغرب، 2004، ص220.

اللقاني لخطبة خليل" و "نوازل تلمسانية" و "رقم الأيادي على تصنيف المرادي في النحو" و "شرح المنظومة الخزرجية في العروض" و "حاشية على شرح صغرى السنوسي"[1].

سعيد قدورة كان من أكبر القائمين على التدريس ولم يكن مفتيًا فقط ولا مدرّسًا فحسب، بل كان أيضًا يخلط العلم بالتصوف، كان يدرّس لطلابه كتب ابن عطاء الله، وصحيح البخاري ورسالة القيرواني وسلم الأخضري وصغرى السنوسي. وكانت أسرته أسرة علم وتدريس أثرت في أجيال المتعلمين من الجزائريين، فقد كان أبناءه محمد وأحمد أيضا مثله غير معروفين بالتأليف والتدريس، ولاسيما محمد الذي شهد له معاصروه بفصاحة اللسان وغزارة العلم[2].

وكانت شهرة هذه الأسرة برواية الحديث الذي كان ثاني علم يُعتنى به في الجزائر بعد القرآن، فكان أعضاء أسرة قدورة معروفين بحفظ الأسانيد ورواية الأخبار والأنساب، وقد عرفت هذه الأسرة كذلك كثرة التلاميذ الذين تخرجوا عليها، ولاسيما الوالد والابن الأكبر[3].

تخرّج على سعيد قدورة عدد كبير من العلماء كابن زاكور الفاسي، الذي سمع من الحديث جملة وافية من "الجامع الصغير" وأبوابا من "صحيح البخاري" على شيخه أبي عبد الله محمد بن سعيد بن إبراهيم قدورة ويجيزه في ذلك[4]. وأخذ عنه الشيخ محمد بن عبد الكريم الجزائري[5]. كما أخذ عنه جماعة منهم ابنه محمد وعيسى الثعالبي ويحيى الشاوي ومحمد بن إسماعيل مفتي الجزائر وأبو عبد الله الموهوب ومحمد بن عبد الهادي، توفي سنة 1066هـ/1656م[6].

---

1 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص368.

2 – نفسه، ص، ص369، 370.

3 – نفسه، ص370.

4 – ابن زاكور الفاسي، نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص17.

5 – محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج3، تحقيق محمد حجي، أحمد التوفيق، ط1، مكتبة الطالب، الرباط، 1986، ص23.

6 – محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص447.

كما ذكره ابن زاكور في كتابه أنه أخذ من مشايخ مدينة الجزائر، ومن أعظمهم سيدي سعيد بن إبراهيم قدورة الجزائري إمام الجامع الأعظم، درس عنده الحديث والفقه والتصوف كـ "الحكم" لابن عطاء الله و "التنوير" ووصفه بأوصاف كبار العلماء[1].

ولقد اقترن لقب المفتي في كثير من الأحيان مع لقب المدرس، لأن مقر المفتي كان في الجامع الأعظم وكان يشرف على نشاطات مختلفة إلى جانب قيامه بوظيفة الإفتاء منها الإشراف على أوقاف الجامع الكبير، الخطابة والإمامة إلى جانب التدريس. وليس من الضروري أن يجمع المفتي كل هذه الوظائف دفعة واحدة، فقد كان له أن ينيب غيره في بعضها بمن في ذلك أبناؤه كما فعل سعيد قدورة[2].

ولقد ارتبط اسم سعيد قدورة بالجامع الأعظم، فقد تولى الإفتاء سنة 1028هـ/1618م إلى وفاته سنة 1066هـ/1656م، وكان إمام وخطيب ومدرس الجامع الكبير، وقد استطاع قدورة أن ينفق على الجامع وأن يوفر أموالاً اشترى بها كتبا لمكتبة الجامع الكبير، وكذلك شيد مدرسة لفقراء الطلبة والغرباء منهم كل ذلك من فائض أوقاف الجامع الكبير، كما شيّد زاوية قرب الجامع أصبحت تعرف باسم الجامع الكبير[3].

• مصطفى بن رمضان العنابي: تولّى وظيفة القضاء[4] والإفتاء الحنفيين بمدينة الجزائر[5]، وكان الشيخ من أشهر العلماء في تلك الفترة، فقد عرف عنه أنه متخصص في علوم الفقه والتأليف فيها، كما تولّى وظيفة التدريس، ومن أشهر تلامذته ابن المفتي الذي ذكره في التقاييد أنه كان يحضر مجلسه، إلى جانب الحاج زروق بن محي الدين بن عبد اللطيف[6].

• أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد المهدي: ولد بمدينة الجزائر حوالي سنة 1090هـ/ 1679م، ونشأ وتعلّم بها على والده وأسرته، كما تتلمذ في مدارس ومساجد الجزائر[7]، وكان من كبار العلماء تولّى وظيفة الإفتاء، وكان خطيبًا ومدرسا بالجامع الجديد لمدة ستة

---

1 – ابن زاكور الفاسي، مصدر سابق، ص48.

2 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص393.

3 – نفسه، ص، ص361، 363.

4 – أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص90.

5 – عائشة عطاس، الحرف والحرفيون، ص163.

6 – أبن المفتي، تقاييد، ص113.

7 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، المرجع السابق، ص300.

سنوات. وقد شهد عليه ابن المفتي في التقاييد أنه «له نظم يروق على الأسماع ويعقد على فضله الإجماع»[1]، فقد عرف عن كتابته للشعر[2].

• الشيخ أحمد زروق بن السيد محي الدين بن عبد اللطيف: من أسرة أندلسية، عاش في مدينة الجزائر، فقد ذكره ابن المفتي أنه كان يحضر معه في مجالس لطلب العلم «في مجلس سيدي مصطفى العنابي، ومجلس سيدي عمار ومجلس سيدي محمد بن نيقرو»[3]، تولّى أحمد الزروق الفتوى المالكية في شهر ذي الحجة سنة 1152هـ/1739م[4].

• محمد بن إبراهيم بن أحمد بن موسى النيقرو: ارتبط اسم هذه العائلة بمسجد ستنا مريم الذي أشرفوا عليه لمدة زمنية طويلة حتى ارتبط اسم المسجد بهم، وأصبح ينسب إليهم، ومحمد بن نيقرو ذكره ابن المفتي بـ: «شيخنا العالم الفقيه النحوي الأصولي البياني المنطقي المتكلمي الحيسوبي، الفرائضي المحدث»[5]، أنه كان يتقن عدة علوم.

ويعود أصله إلى أسرة أندلسية، تقلد عدة وظائف، فكان ينوب في الخطبة إمام جامع القشاش وعن خطيب الجامع الأعظم، حتى تولّى منصب المفتي المالكي سنة 1150هـ/1737م، فكان يجمع بين الخطابة والتدريس بالجامع الأعظم، ورواية الحديث بزاوية الأندلس كانت وقت الزوال في ثلاثة أشهر رجب وشعبان ورمضان[6].

وتوفي رحمه الله سنة 1152هـ/1739 وخلفه أولاده من بعده الأكبر سي أحمد الذي يدرّس الحديث في مسجد ستنا مريم وزاوية الأندلس، وولده الثاني محمد فقيه نجيب تولى مكان أبيه بالتدريس بجامع مزمورطو بباب عزون[7].

• الشيخ عمار بن عبد الرحمن (1144هـ/1731م): تولّى الشيخ عمار منصب الإفتاء المالكي والخطابة في الجامع الأعظم، فقد ذكره ابن المفتي في التقاييد بـ: «شيخنا سيدي

---

1 – أبن المفتي، مصدر سابق، ص92.

2 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، مرجع سابق، ص301.

3 – أبن المفتي، المصدر السابق، ص113.

4 - A. Devoulx, Les édifices religieux…, in R. A. n°10, année 1866, p375.

5 – أبن المفتي، المصدر السابق، ص110.

6 – نفسه، ص، ص110، 112.

7 – نفسه، ص112.

عمار بن عبد الرحمن التلمساني المستغانمي الأصل والولادة، الجزائري المنشأ والدار، فقيه بياني أصولي، نحوي أصولي، متكلم منطقي فرائضي»[1].

• أحمد بن عمار: ذكره أبو راس في كتابه فتح الإله، في رحلته للمشرق والمغرب ولقاء العلماء الأعلام، وما جرى لي معهم من المراجعة، وعند قدومه إلى مدينة الجزائر ولقيت مفتيها العلامة مفتي الجزائر وخطيبها السيد الحاج علي ابن الأمير، فوجدته يدرّس في خطبة الإمام خليل، كما لقي أحمد بن عمار ووصفه بـ: «شيخنا العالم المشارك في أنواع العلوم الدارك الواسع الرواية، الحسن الدراية... المستوعي لما يفوت الحصر، سلس اللسان والعبارة... أمجد النظار السيد أحمد بن عمار عالم الجزائر، محط رحال المستفيد والزائر»[2]. فكان أحمد بن عمار من أشهر علماء الجزائر تصدّى للتدريس، وكان قبلة للطلبة للاستفادة من علومه.

• الشيخ أبو حفص عمر المنجلاتي: ذكره ابن زاكور في رحلته ضمن أشهر علماء عصره الذين أخذ العلم عنهم وأجازوه، فعند قدومه إلى الجزائر ختم جمع الجوامع من حفظه على شيخه أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمن المانجلاتي ومنحه الإجازة في ذلك[3].

• أبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري: ذكره ابن زاكور ضمن قائمة مشيخته في مدينة الجزائر ختم عليه "نظم أبي إسحاق التلمساني" في الفرائض وصدرًا من كتاب "جامع الجوامع" للتاج السبكي وبعضًا من "تلخيص المفتاح" ويمنحه إجازة في ذلك[4].

2 – المدرِّسين في مساجد وزوايا بايلك الشرق:

• أبو عبد الله محمد بن علي أبهلول: هو أكبر أبناء علي أبهلول، الذي عُرِف عنه أنه انتقل إلى مجاجة، واشتغل بقراءة العلم في الزاوية حتى بلغ الرتبة العليا، وبعد وفاته أخذ مكان والده، ودرس في الزاوية، فقد كان عالمًا ورعًا، حريص التدقيق في مسائل الفقه والمعقول

1 – أبن المفتي، المصدر السابق، ص108.

2 – محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر (بدون تاريخ النشر)، ص92.

3 – ابن زاكور، مصدر سابق، ص17.

4 – نفسه، ص17.

وعلم الكلام والأصول[1]. وقد بلغت زاوية مجاجة في حياته أوج شهرتها العلمية فقصدها العلماء والطلبة، أشهرهم سعيد قدورة الذي رثاه في قصيدة بعد وفاته في هجاء قاتله[2].

تخرّج من زاويته تلامذة أشهرهم أحمد بن محمد الشريف الذي سافر رفقة عبد الرحمن بن علي بن عثمان المشهور بـ "دحو بن زرفة" إلى مجاجة عند محمد بن علي المجاجي للقراءة فمكثا إلى أن تمهرا في كل علم[3]. توفي الشيخ محمد بن علي سنة 1008هـ/ 1599م[4].

• الشيخ أبو علي بن السيد علي أبهلول: تفقه وتعلّم على يد أخيه محمد بن علي[5]، تولّى التدريس في زاوية مجاجة بعد وفاة أخيه.

• قاسم بن يحيى بن محمد الفكون: كان قاضيا بمدينة قسنطينة، درس بمدينة قسنطينة من أشهر مشايخه الشيخ الوزان، وكان ممن فاق عصره في علم المعقول وتصدى للتفسير، كما أخذ العلم من علماء تونس[6]، وتصدى للتدريس في مدينة قسنطينة، ومن تلامذته الذي كان يحضر مجالس العلم التي يلقن فيها الدروس يحيى بن سليمان الأوراسي[7].

• أبو محمد عبد الكريم الفكون (الجد): من أبرز علماء قسنطينة، وكان معتكفا على الإقراء والتدريس، تتلمذ على يد الشيخ الوزان وكان أصغرهم وتصدّر للتدريس في زمنه، كما تولّى منصب إمام الجامع الأعظم وخطيبه[8]. فقد كرّس أبو محمد عبد الكريم الفكون وقته وحياته للتدريس فكان يدرس علوم مختلفة منها القرآن الكريم، الفقه والرسالة والمختصر، وشرح الصغرى، وقطر الندى وبل الصدى لابن هشام في النحو، وشرحه على المقدمة الجرومية لزين الدين جبريل، وبعض أوائل الألفية[9].

---

1 – الجيلالي العطافي، المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحيى بن صفية وفي التعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية، ط2، مطبعة حقوق الطبع محفوظة، 2006، ص195.

2 – نفسه، ص196.

3 – عبد المنعم القاسمي، مرجع سابق، ص232.

4 – الجيلالي العطافي، المصدر السابق، ص197.

5 – نفسه، ص197.

6 – عبد الكريم الفكون، مصدر سابق، ص43.

7 – نفسه، ص54.

8 – نفسه، ص48.

9 – نفسه، ص60.

• الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الفكون: (1045هـ/1636م): والد الشيخ عبد الكريم بن محمد الفكون، تولّى الخطبة والإمامة بجامعها الأعظم، وكان فقيها صوفيا، يرجع إليه في المسائل والإفتاء[1]، كما تصدى للتدريس في زاوية العائلة[2]، توفي بعد رجوعه من الحج أواخر محرم الحرام سنة 1045هـ/1636م[3].

• أبو محمد عبد الكريم بن محمد الفكون (الحفيد): من أشهر علماء قسنطينة، تعلّم الفكون على والده في زاوية العائلة، ثم أخذ ينشد العلم حيث وجده، ومن شيوخه البارزين محمد التواتي المغربي الذي أخذ عنه النحو والتصريف[4]، وعن العلامة الرحالة يحيى بن سليمان الأوراسي. تولى التدريس بزاويتهم بقسنطينة والتف حوله الطلبة والعلماء، وأسندت له الإمامة والخطابة باعتباره شيخ الإسلام بالجامع الكبير بقسنطينة خلفا لوالده سنة 1045هـ/ 1636م، ثم عهد إليه بمهمته قيادة ركب الحجيج التي توارثتها أسرته، وما زال يترقى حتى انتهت إليه رئاسة العلم بقطره إفتاءً وتدريسًا وتصنيفاً[5]. وكان له تلاميذ كثيرون يقصدونه من زواوة وعنابة ومتيجة والجزائر وغيرها، وكان مدرسًا ناجحًا[6].

• بركات بن عبد الرحمن بن باديس (ق 11هـ/17م): مفتي قسنطينة ومن مشاهير علماء القرن 11هـ/17م وأدرك القرن 12هـ/18م، من أبرز الشخصيات العلمية، أخذ عن الشيخ عبد الكريم الفكون (1073هـ/1662م) كان محط رجال العلم الوافدين على قسنطينة، وكان له اتصال بالشيخ أحمد بن مصطفى برنار التونسي، الذي تتلمذ له وأخذ عنه، من تلامذته أيضًا: أحمد بن قاسم البوني وحمدان بن الترجمان... وغيرهما[7].

• أبو الحسن بن أبي الفضل المغربي: كان والده قاضيا من فقهاء قسنطينة، فقد ذكره ابن الفكون حيث قال عنه: «تصدر للإفتاء زمن الجد عبد الكريم ودرس بمدينة قسنطينة، كما تصدى للتفسير وكان الغالب عليه فن الحساب والتعديل وله مخالطة في المنطق»[8].

---

1 – عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص52.

2 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص522.

3 – عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص52.

4 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، المرجع السابق، ص522.

5 – عبد المنعم القاسمي، مرجع سابق، ص، ص214، 215.

6 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، المرجع السابق، ص523.

7 – عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص126.

8 – عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص56.

• أبو راشد عمار الغربي القسنطيني: العلامة الشيخ أبو راشد عمار الراشدي المعروف بالغربي كان أديبا، له الباع الطويل في المعقول والمنقول، وشاعرًا، تولّى الفتوى المالكية والخطابة بسيدي علي بن مخلوف والتدريس بمدرسة سيدي الكتاني، ثم جامع القصبة ألّف حاشية جليلة على الشيخ إبراهيم الشبرخيتي، توفي عام 1251هـ/1835م[1].

• الشيخ أبى حفص عمر الوزان: وصفه عبد الكريم الفكون بشيخ الزمان، وياقوتة العصر والأوان، العالم العارف، كان بحرًا في العلوم فقهًا وأصولاً ونحوًا وحديثًا[2]، اشتغل بتحصيل العلوم بمسقط رأسه على أيدي ثلة من أكابر العلماء، حتى أصبح آية في العلوم الشرعية من فقه وتفسير وحديث، وعربية وفلك وأصول.

قضى حياته مدرسًا بمساجد قسنطينة لاسيما مسجد السيدة حفصة، وأكثر العلوم التي كان يدرسها الأصول والفقه والبيان والتصوف[3]، وأخذ عنه علماء أجلاء منهم: عبد الكريم الفكون الجد، يحيى بن سليمان الأوراسي، يحيى بن عمر الزواوي ومحمد الكمان. وكان الوزان متمسكًا بمهنة التدريس متباعدًا عن الأمراء والوظيفة السلطانية، حيث اعتذر عن قبول وظيفة القضاء[4].

• أبو محمد عبد اللطيف المسبح: المرداسي نسبًا، كان مفتيًا بها، مدرسًا في الفقه بقسنطينة، وكان الحساب أغلب عليه من غيره، وله شرح على مختصر الشيخ الصالح سيدي عبد الرحمن الأخضري صاحب (السلم المرونق) وشرح على درة عبد الرحمن الأخضري في الحساب[5].

كما كان إخوته كذلك يمارسون التدريس، فقد ذكرهم عبد الكريم الفكون منهم الفقيه المدرس أبو العباس أحمد المدعو حميدة، كان من المفتين بقسنطينة، وممن له الشورى في النوازل. كما ذكر كذلك أخوهم الصغير أبو محمد بركات المسبح، وكان أكثر معرفة ودراية منهم وكان مشتغلاً بالقراءة والعكوف على الدرس والتدريس[6].

---

1 – أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مطبعة بيير فونتان، الجزائر، 1906، ص، ص286، 287.

2 – عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص35.

3 – عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص256.

4 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص، ص382، 383، 384.

5 – عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص46.

6 – نفسه، ص47.

• أبو عبد الله محمد العطار: كان معاصرًا للشيخ عمر الوزان، وكان متفننًا عارفًا بالمعقول والمنقول، وكان من مدرسي مدينة قسنطينة المتقنين، وكان ذا مال وتجارة يخرج بها إلى تونس ويحضر خلالها حلقات الدروس في جامعها الأعظم جامع الزيتونة، ويناظر طلابها في المسائل العلمية[1]. وكان أخوه أبو القاسم العطار الذي كان معاصرًا للجد عبد الكريم الفكون، ومفتيًا في زمنه، وتصدر للإقراء والتدريس ودخل الشورى في جملة من أهل عصره[2].

• الشيخ شعبان بن جلول: يعدّ من أشهر علماء قسنطينة، تولّى منصب قاضي الحنفية، كما كان يعتبر من أشهر المدرسين في قسنطينة أواخر القرن 12هـ/18م[3].

• محمد التواتي المغربي: من أشهر علماء القرن 11هـ/17م، عرف عنه أنه درس بفاس ثم حل بقسنطينة، وتولّى بها بعض الوظائف وانتصب للتدريس، وخصوصًا تدريس النحو، وعلى يديه تخرج الفكون ومحمد بن راشد الزواوي[4].

• الشيخ أحمد الشريف بن علي البكاي: أشار إليه الورتلاني في رحلته «الولي الصالح جدّنا سيدي أحمد الشريف نسبا إذ ثبت ذلك، وهو الشريف الحسني والذي سمعناه من أعالي أسلافنا أنه من شرفاء تفلالت، وأما مقره ومقر أوائله فمن بجاية، وجدّنا هذا نجل الشيخ سيدي علي البكاي، وكانت له زاوية عظيمة وقد سمعنا أنه قدم بخمسمائة طالب إن صح، وقد ثبت عن بعض الثقات من بني يعدلي أن طلبة الشيخ في محله إذا قرأوا الحزب سمعوهم من بني يعدلي»[5]، فقد كان من العلماء الذين مارسوا التدريس في زاويتهم.

• الحسين بن يحيى بن أحمد الشريف: وهو جد الورتلاني صاحب الرحلة والد والده وقد أشار إليه في رحلته «الفاضل الكامل الفقيه الورع سيدي الحسين جدي إذ كان مدرسًا دائمًا... وهو يدرّس إلى أن مات وكان يفتي ولا يقبل الهدية»[6].

---

1 – عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص38.

2 – نفسه، ص56.

3 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص325.

4 – أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986، ص34.

5 – الورتلاني، مصدر سابق، ص، ص73، 74.

6 – نفسه، ص75.

• محمد الصغير بن رقية: وهو عم الورتلاني صاحب الرحلة[1]، فقد تحدث عليه في رحلته، ووصفه بـ «الفقيه الفاضل الشريف سيدي محمد بن رقية»[2].

• الحسين الورتلاني 1125 – 1193هـ/1713 – 1779م[3]: وصفه الحفناوي في تعرف الخلف بـ «شيخ مشايخ الإسلام... الجامع بين المعقول والمنقول... الجامع بين العلمين...»، أخذ العلم عن والده، ثم رحل إلى المشرق وأخذ العلم من عدة علماء منهم الصعيدي والحفناوي والجوهري والنفراوي والعفيفي والصباغ والعمروسي وخليل الأزهري وعمر الطحلاوي والزياتي وأجازوه في العلمين، ثم رجع إلى بجاية فعلم وأفاد وألّف[4].

برع الورتلاني في علوم عدة منها الفقه والنحو، التصوف والتوحيد، اللغة، الأدب، العروض، التاريخ، وقد أصبح بعد ذلك من المدرسين وشيخ زاوية الأسرة وكان يذهب للتدريس في بجاية وغيرها، وتخرّج على يديه عدد كبير من التلاميذ الذين تولوا بدورهم وظائف دينية سامية[5].

ومن تلامذته الشيخ الحسين الورتلاني الذين ذكرهم في رحلته: السيد محمد بن الفقيه وهو من أولاد الشيخ محمد الصالح ووصفه بأنه «محقق في الكلام فاضل صالح مشتغل بنفسه». وقد أخذ عنه صغرى السنوسي وقرأها عليه قراءة تحقيق بحاشية المحقق المراكشي[6].

وذكر كذلك تلميذه محمد السكلاوي الجزائري الذي قرأ عليه كبرى الشيخ السنوسي بشرح الشيخ اليوسي قرأه تحقيق في أيام زيارته لقرية تدلس[7].

• الشيخ محمد صالح (القرن 11هـ/17م): وصفه الورتلاني: «محي الفنون ومجدد العلم والدين... حتى صار من أهل التمكين، علامة زمانه، وقدوة أوانه... علمه مشهور وفضله

---

1 – الورتلاني، المصدر السابق، ص15.

2 – نفسه، ص600.

3 – أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مطبعة بيير فونتان، الجزائر، 1906، ص، ص286، 287.

4 – نفسه، ص، ص133، 134.

5 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، مرجع سابق، ص394.

6 – الورتلاني، المصدر السابق، ص65.

7 – نفسه، ص15.

منشور، توفي في القرن الحادي عشر ضريحه معلوم يزار في قرية أجلميم من عرش بني منجلات من عرشنا بني ورتيلان... وهذا الشيخ كان مدرسا للعلم قائما بأمور الطلبة بنفسه مع قلة يده»[1].

• علماء بيت الشيخ سيدي ناجي: أسرة علمية مشهورة في الخنقة، قرب بسكرة حيث زارها الورتلاني سنة 1153هـ/1740م، ووصفها أنها منطقة تجمع بين العلم والصلاح قائلاً: «أولاد الشيخ سيدي ناجي قد حازوا المعالي من قديم الزمان وقد وجدت كثيرًا من الفضلاء... وفقهاء وقرّاء... فإن النحو عندهم يعتني به الكبير والصغير، حتى أنهم اشتهروا به اشتهارًا بينيًا وبالجملة، فمحلهم مشهور بالفضل والعلم والهمة...»[2]. كما وصفهم العياشي في رحلته «أهل خير وبركة لهم رغبة في العلم وتعلمه، إلاّ أنهم في بلاد قلّ فيها التحصيل...»[3].

• المبارك بن قاسم بن ناجي الأصغر بن قاسم بن ناجي الأكبر، مؤسس خنقة سيدي ناجي الواقعة بالقرب من بسكرة، وقد كانت له رئاسة كبيرة وأملاك كثيرة وشهرة واسعة، واستقر في منطقة الخنقة قرب وادي العرب، وأسس بلدة جديدة سنة 1010هـ/1602م سمّاها خنقة سيدي ناجي تبركا باسم جده، وأسس زاوية تعلم فيها مبادئ الدين الإسلامي، واهتم بنشر العلوم والثقافة، فصارت البلدة مركز إشعاع علمي وحضاري تعج بالطلبة والعلماء[4].

• محمد التواتي بن المبارك بن قاسم بن ناجي الخنقي عالم فقيه، مدرس، صوفي، نشأ ببلدته وأخذ العلم عن شيوخها[5]، ذكره العياشي في رحلته حيث التقى به في بسكرة ووصفه بـ «سيدي التواتي بن ناجي وكان من العلماء العاملين»[6].

• محمد بن محمد الطيب الخنقي: العالم الفقيه الصوفي السياسي المؤلف القاضي، ينتمي إلى أسرة عريقة ورثت الحكم والعلم والتصوف، تتلمذ على علماء زاوية خنقة سيدي

1 – الورتلاني، المصدر السابق، ص60.

2 – نفسه، ص119.

3 – أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية، ج2، ط1، تحقيق سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2006، ص538.

4 – عبد المنعم القاسمي، مرجع سابق، ص275.

5 – نفسه، ص356.

6 – العياشي، الرحلة العياشية...، ج2، المصدر السابق، ص538.

ناجي، كما أخذ العلم بتونس على علماء أجلاّء تولى رئاسة الزاوية سنة 1107هـ/1696م، عرفت الزاوية في عهده حركة علمية ودينية وسياسية نشطة، كما كان له الفضل في بناء مسجد سيدي المبارك سنة 1147هـ/1734م والذي أصبح منارة علم وصرحا لتلقي المعارف الدينية، أنار في عهده وبعده زمنًا طويلاً[1].

3 – المدرِّسين في مساجد وزوايا بايلك الغرب

• **الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي (1192هـ/1778م):** عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبي الحلال المشرفي الغريسي، ثم المعسكري، كان من كبار علماء وقته، اشتهر بين معاصريه بالفقه والأدب والتصوف وكثرة المراسلات مع غيره من العلماء[2]، أخذ العلم عن العلامة أبي عبد الله محمد المنور الكثير من الفقه والأصول وعلم الكلام والنحو وأتقن علوما جمة وبرع فيها[3]، أسس زاوية بـ "الكرط"، وكان يدرّس الفقه أيضا بزاوية الشيخ محي الدين، وقال عنه أبو حامد المشرفي «كان يقوم الليل ويصوم النهار مع بثه العلم للطلبة، فلا تخلو زاويته من مائتي طالب في بعض الأوقات يأخذون عنه العلم ويطعمهم من ماله»[4].

انتفع به خلق كثير: شريعة وحقيقة وبرهانا وطريقة، ومن أشهر تلامذته أبو راس الناصري حيث وصفه: «له من الطلبة دافّة، وانتفع به خلق كثير: شريعة وحقيقة وبرهانا وطريقة، له دروس حسنة بسلس عبارة، وألطف إشارة...»[5].

• **الطاهر بن عبد القادر المشرفي (ق 14هـ/19م):** العلامة الجليل من علماء المشارف وفقهائهم، أخذ العلم عن والده عبد القادر المشرفي، ثم بفاس من شيوخه بالإجازة عبد الله بن شقرون والطيب بن كيران، تولّى القضاء للأتراك، وقدم لنا أبو حامد المشرفي ترجمة هامة «كان على منهاج والده وسمته، نقله ملك الأتراك إلى وهران للنفع به، فكانت العلماء تختلف على مجلسه العلمي، وقد جبره ملك الأتراك على القضاء بعد إباية منه وامتناع،

---

1 – عبد المنعم القاسمي، مرجع سابق، ص، ص358، 359.

2 – نفسه، ص205.

3 – أبو راس الناصري، فتح الإله...، مصدر سابق، ص53.

4 – عبد المنعم القاسمي، مرجع سابق، ص206.

5 – أبو راس الناصري، فتح الإله...، المصدر السابق، ص53.

فأحسن السياسة الشرعية، ولا يختلف اثنان في عدله، ورتب له الإمام الوقت ستين دينار ذهبا شهرية على قراءة (التلخيص)»[1].

وسار الشيخ الطاهر بن عبد القادر المشرفي على منهاج والده في تدريس العلوم، فدرس بالراشدية ثم نقله باي المغرب "لوهران للنفع به"، فكان مدرسا بها في حدود 1240هـ/1824م. وقد خصته السلطة بمرتب شهري معتبر على تصديه للتدريس، وهذه العلوم التي كان يدرّسها: علم المعاني والبيان والنحو والتصريف والفروع الفقهية[2].

• محمد بن عبد الله سقط: هو محمد بن عبد الله بن مصطفى بن إمام الراشدية عبد القادر المشرفي الملقب بسقط أو سقاط، وصفه أبو حامد المشرفي بـ «شيخ الإسلام» و «شيخ الجماعة» بمدينتي الملك أم عساكر ووهران، درس على علماء الراشدية كما لازم حلقات الشيخ أبي راس في الجامع الأعظم، تصدّى ابن عبد الله للتدريس فدرَّس جملة من العلوم وأحرز تفوقًا على معاصريه في ذلك، بشهادة تلميذه وقريبه العربي المشرفي الذي قال: «وقد قرأنا عليه الفقه وعلى غيره ممن عاصره، فلم نجد له بديلا في التحقيق، وقرأنا عليه علم العروض، فلم نجد فيها عند غيره تحقيقه وتدقيقه وكان يحضر مجلس تدريسه للفقه والنحو والتفسير خلق كثير وجم غفير، ولم يشاركه في تدريس التفسير أحد، وكان عالمًا مشاركًا في جميع الفنون، وانفرد في وقته بعلم المعاني والبيان وعلم المنطق والميزان، وله الباع الطويل في علم العروض، كان شاعر مفلقا، وكان في السيرة النبوية حافظا حجة لا يفوته فيها سؤال وإن أعضل»[3].

• عبد الرحمن بن علي المعروف بدحو بن زرفة: تفقه عن الشيخ عبد القادر بن خدة، وعن الشيخ أبي علي، وعن محمد بن علي أبهلول وأخذ عنه الطريقة، وكان يحبه كثيرًا حتى لامه الطلبة، واشتغل هذا الأخير بالتدريس، ومن تلاميذه: عبد الرحمن الدرعي ومحمد بن حسناء[4].

---

1 – عبد المنعم القاسمي، مرجع سابق، ص، ص177، 178.

2 – فوزية لزغم، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية (1518 – 1830م)، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، بدون تاريخ، ص28.

3 – نفسه، ص29.

4 – عبد الرحمن التوجيني، عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس، ط1، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص، ص16، 17.

• الشيخ عبد القادر السنوسي: ذكره أبى راس في فتح الإله حيث وصفه بـ «الشيخ الكبير العالم التحرير... لقد كان له في العلوم باع له مساق، وقد قام له علماء المشرق على ساق وطار صيته في مصر وقد لقبوه بـ "الشيخ"»[1]، تصدى للتدريس وكان بارع في عدة علوم، فقد وصفه السنوسي: «فقيه نبيه... وعاء من أوعية العلم له لكل علم وصول» في الفقه والمنقول أشهرها: علم النحو، فقه، حديث، أصول، رحل إلى مصر ودرس عند علمائها منهم الشيخ أبي الفيض مرتضى الحنفي، شيخ المالكية محمد الأمير وغيرهم، طار صيته بمصر ولقبوه بالشيخ عبد القادر وأخذ عنه جماعة في علم الفقه والنحو والمعقول واعترفت بفضله وغزارة مادته الأئمة الفحول[2].

• الشيخ السيد السنوسي بن السنوسي ذكره أبى راس أنه شقيق عبد القادر السنوسي، ووصفه بـ «علاّمة محققا، أصوليا، نحويا، لغويا... محققي العلماء الأثبات.. الأئمة الثقات ذو القدم الراسخ في العلوم والإمامة العظمى في الفنون: فقها وأصولا، تفسيرا وعربية وإعرابا...»[3].

وقال فيه الشيخ أبي راس: «على صغر سنه لفنون العلوم والأدب جامعا، منذ كان مراهقا يافعا... تلميذنا العلامة السيد السنوسي»[4].

• الشيخ محمد بن علي بن سحنون: ينتمي إلى أسرة اشتهر أفرادها بالعلم[5]، فقد وصفه المزراري «العالم العلامة الدراكة الفهامة كثير المعاني ومشارك الفنون قاضي المعسكر السيد محمد ولد مولاي علي الشريف بن سحنون»[6]، فقد مارس التدريس في معسكر.

• أحمد بن عبد القادر بن الناصر: والد محمد أبو راس الناصري، فقد ذكره في كتابه فته الإله «كان من القراء الماهرين والأساتذة المشهورين من أهل الحزم في القرآن والجد، ساعي في مساعي الأدب والجد»[7].

---

1 – أبو راس الناصري، فتح الإله...، مصدر سابق، ص29.

2 – نفسه، ص65.

3 – نفسه، ص73.

4 – فوزية لزغم، مرجع سابق، ص29.

5 – أحمد بن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص67.

6 – الأغا بن عودة المزراري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق يحيى بوعزيز، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص286.

7 – أبو راس الناصري، فتح الإله...، المصدر السابق، ص25.

• محمد أبو راس الناصري: ولد بنواحي معسكر سنة 1165هـ/1751م، أخذ علوم اللغة والأدب عن مشايخ معسكر، انتقل إلى مازونة فأتقن بها دراسة الفقه المالكي، ولم يلبث أن التف حوله الطلبة فشرع في تدريس الفقه مع غيره من الفنون[1]. ثم عاد إلى معسكر ومارس فيها التدريس لمدة ستة وثلاثين سنة دون انقطاع، وكان له منهج يتبعه في التدريس حيث قال «إني أختم المصنف في العام ثماني مرات، أربع في الأول وأربع في الثاني وأسردهما معا أول الخريف»[2].

ولقد كانت مجالس العلم التي يشرف عليها تلقي إقبال كبير من طرف الطلبة، حيث يصل عددهم في بعض الأحيان سبعمائة وثمانون طالبا، كما أن دروسه لاقت شهرة واسعة حيث قال في كتابه فتح الإله: «حتى صارت حضرتي في العلم تذكر في الآفاق وتنسيك دروس مصر والشام وتونس والعراق»[3].

فقد عرف عن محمد أبو راس الناصري أنه تصدى للتدريس، فازدحم الطلبة على حلقته، لذلك وضع له الباي كرسيا، واستعان به في التدريس، فكان يدرس ألفين بن مالك وشرح المكودي (صغرى وكبرى). وكانت في طريقة تدريسه سهولة تجعل من الطلبة ينتفعون به لذلك كان يتنافس الأشياخ في أخذه لتدريس أولادهم[4].

• سعيد بن أحمد المقري (928 – 1011هـ/1520 – 1603م): السعيد بن أحمد بن أبي يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العيش المقري التلمساني، فقيه تلمسان وعالمها ومفتيها وخطيبها في الجامع الأعظم خمس وأربعين سنة[5]، كما تقلد منصب الإفتاء والتدريس في الجامع الأعظم بتلمسان، وكان يتقن عدة علوم حيث وصفه ابن مريم «له باع في فن حديث البخاري وغيره، وكان علاّمة في التوحيد والفقه... أتقن كل علم، حافظًا للغة العربية والشعر... إماما في العلوم العقلية كلها حسابا ومنطقا وفرائض وهندسة وطبا وتشريحا وتنجيما وفلاحة وبناء...» [6].

---

1 – عبد المنعم القاسمي، مرجع سابق، ص، ص321، 322.

2 – الناصري، فتح الإله...، ص22.

3 – نفسه، ص22.

4 – نفسه، ص، ص23، 24.

5 – عبد المنعم القاسمي، المرجع السابق، ص154.

6 – ابن مريم، مصدر سابق، ص، ص104، 105.

تخرج عليه جماعة منهم: محمد العشوي الندرومي، أحمد بن أبي عبد الله اليزناسي، أحمد ابن أبي مدين، أحمد بن محمد المقري، الحاج العبادي، وخلق كثير لا يحصى عددهم[1].

• محمد بن سعيد المناوي: ذكره ابن مريم، حيث وصفه بـ "العالم الشهير"، اشتهر بيعدة علوم منها الفقه، الأصول، البيان، المنطق، النحو، العروض، تصدى للتدريس فأخذ عنه طلبة كثيرون «أناس كثيرون لا يحصون» واشتهر بتدريسه القراءات[2].

• محمد بن محمد بن سعيد المناوي: وصفه ابن مريم "العالم النبيه"، حافظ لأهم الكتب التي كانت تدرس في تلك الفترة، منها مختصر ابن الحاجب، رسالة ابن أبي زيد، ألفية ابن مالك، والتلمسانية، عقائد السنوسي، كما اشتهر بعدة علوم منها الحساب والفرائض، تصدى للتدريس وأخذ عنه طلبة تلمسان[3].

• مازونة: عرفت مدينة مازونة حركة علمية كبيرة، واشتهرت بمدرستها التي تعد من أقدم المدارس التي تأسست في العهد العثماني، درس في هذه المدينة عدة علماء منهم أبو راس الناصري المعسكري، حيث ذكر في كتابه فتح الإله: «ولما ذكر لي الطلبة "مازونة" وكثرة مجالسها، ونجابة طلبتها، وقريحة أشياخها سافرت إليها»[4].

ويمكن القول أنه رغم عدم إشراف السلطة على التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، ونقص في المؤسسات التعليمية، كان هناك أساتذة ساهموا في استمرار حركة التعليم خلال المرحلة المدروسة، من خلال مبادرتهم الفردية والجماعية، والاجتهاد في تحصيلهم العلمي لبلوغ أرقى المستوى الفكري والمعرفي الذي يتمكن من خلاله الأستاذ إلقاء الدروس في جلسات علمية تطغى عليها روح المناظرة والنقاش العلمي البنّاء لبلوغ أعلى مستوى المعرفة.

صحيح لم يكن للجزائر "جامعة" إسلامية كالأزهر والقرويين والزيتونة، غير أن دروس جوامعها الكبيرة كانت تضاهي، بل قد تفوق أحيانا، دروس الجامع الأموي بدمشق

---

1 – عبد المنعم القاسمي، مرجع سابق، ص155.

2 – ابن مريم، مصدر سابق، ص، ص266، 267.

3 – نفسه، ص267.

4 – أبو راس الناصري، فتح الإله...، ص43.

والحرمين الشريفين لتنوع الدراسات فيها وتردد الأساتذة عليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

فدروس سعيد قدورة وعلي الأنصاري وأحمد بن عمار بالعاصمة، ودروس سعيد المقري في تلمسان، ودروس أبى راس في معسكر، ودروس عمر الوزان وعبد الكريم الفكون وأحمد العباسي وعبد القادر الراشدي في قسنطينة، وأحمد البوني في عنابة، كانت مضرب الأمثال في العمق والإحاطة والرقي، غير أن شهرة هؤلاء العلماء كانت نتيجة جهودهم الشخصية، وليس نتيجة انتمائهم لنظام شامل تخضع له المؤسسات التابعين لها[1].

1 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص273، 274.

المبحث الثاني: العلوم المدروسة وحركة التأليف

بقيت الحركة العلمية بالمغرب الأوسط نشيطة في القرنين 8 – 9هـ/14 – 15م، ويشهد على ذلك العدد الكبير من العلماء الذين أنجبتهم تلك الفترة، ولقد خلفوا لنا مصنفات احتفظت بقيمتها إلى يومنا هذا، كما سهروا على التدريس في مختلف المؤسسات الثقافية، من مساجد، زوايا ومدارس، وبفضلهم استمر التعليم في الجزائر لفترة طويلة رغم الاضطرابات السياسية التي كان يعرفها[1].

التراث الثقافي خلال القرن 9هـ/15م يعتبر التركة التي ورثها العهد العثماني، وكان في نفس الوقت فاتحة لإنتاج عهد العثمانيين بالجزائر، ولقد عرفت هذه الفترة إنتاجًا ثقافيًا وفيرًا، لما عرفته من مؤلفات وعلماء وصلت شهرتهم إلى المشرق الإسلامي، وكان عددهم كبيرًا مقارنة بالعهود الموالية، لأن الجزائر ابتداء من القرن 16 ستعرف نقصًا في التأليف وعدد العلماء.

ولقد بقي إنتاج القرن 9هـ/15م موضع عناية علماء القرون اللاحقة[2]، لذا رأينا أنه من الضروري إعطاء صورة حول الحياة الثقافية في الجزائر خلال القرنين 8 – 9هـ/14 – 15م، من باب المقارنة.

ولقد اشتهرت حواضر المغرب الأوسط بهؤلاء العلماء، مثل بجاية وتلمسان، حيث وصف حسن الوزان تلمسان أنها «يوجد بها كثير من الطلبة والأساتذة في مختلف المواد الشريعة أو العلوم الطبيعية»[3]. وقال عن بجاية «بها جوامع ومدارس يكثر فيها الطلبة وأساتذة الفقه والعلوم»[4].

اتسعت دائرة العلوم التي أصبحت تدرس في المدارس والمساجد، حيث كانت هذه الأخيرة تعقد فيها حلقات علم رفيعة المستوى، ويقوم بالتدريس فيها كبار العلماء والفقهاء العلوم المختلفة.

---

1 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص44.

2 – نفسه، ص45.

3 – حسن الوزان، مصدر سابق، ص، ص20، 21.

4 – نفسه، ص50.

ولطالما اعتبرت مساجد المغرب الأوسط كما سبق الإشارة إليه، أنها أشبه بجامعات أو معاهد عليها، تنافس قرينتها مثل مسجد القرويين بفاس ومسجد الزيتونة. وكان أساتذة ومشيخة بلاد المغرب ذوي كفاءات ومؤهلات علمية، وقد ذاع صيت البعض منهم مشرقا ومغربا.

وتمكنّا من معرفة العلوم التي كانت تدرس في المغرب الأوسط، استنادا إلى كتب التراجم، والتي ورد فيها البرامج والمشيخة، حيث تطرق فيها المؤلف إلى برنامج دراسته وذكر فيها أهم العلماء الذي تتلمذ عليهم والعلوم التي درسها، مثل الغبريني في كتابه عنوان الدراية، تطرق إلى أهم العلوم التي كانت تدرس في بجاية.

عبد الرحمن الثعالبي، التصق اسمه بالزهد والتصوف، فقد ترك عددًا من المؤلفات قد تصل إلى الخمسة عشر، كلها تقريبا في التفسير والمواعظ والتوحيد والفقه، ولد بوادي يسر غير بعيد من مدينة الجزائر، وانطلق في رحلة إلى طلب العلم، بداية من بجاية وقصد بعدها تونس حاضرة علماء جامع الزيتونة، ودرس كذلك بقسنطينة، كما أخذ العلم بتلمسان، وبعد ذلك رحل إلى مصر ومكة المكرمة، وكان يتلقى العلم بالمشافهة أو الإجازة، وأصبح من رواة الحديث ولاسيما صحيح البخاري الذي كان أبرز رواته ومدرسيه في الجزائر(1).

محمد السنوسي هو صاحب العقائد المشهورة التي تبارى العلماء في شرحها ودرسها وتقريرها وحفظها، وقد اشتهر بغزارة العلم وكثرة الإنتاج فيه والتصوف، وقد اشتهر بكثرة الشروح وندرة التأليف الشخصي، فكتب في التوحيد والفقه، الطب، الحساب، المنطق، الجبر والقابلة، وفي القراءات والفرائض، وفي الحديث والتفسير، وفي التصوف والأذكار(2).

1 – علم التصوف:

أشار الغبريني في كتابه أنه درس هذا العلم عند خمسة مدرسين، وهذا العلم يدرس عند أعلام التصوف في قوله: «هذه الطريقة تنتهي إلى أعلام، وترقى إلى سادات عرفوا بالفضل، كرام، ولقيت كثيرا من مشائخ الصوفية، استفدت منهم، وأخذت عنهم»(3). ولقد ذكرنا البعض منهم في الجزء الخاص بدور الطرق الصوفية في تطوير الحركة العلمية.

---

1 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص92.

2 – نفسه، ص، ص95، 96.

3 – أبو العباس الغبريني، مصدر سابق، ص360.

كما أن التصوف في هذه الفترة من أهم العلوم الدينية التي حظيت بأراضي الدولة الزيانية باهتمام كبير، وعلى الخصوص التقاليد والرسائل والدراسات المتنوعة، فقد كان إقبال الناس على كتب التصوف من أعز ما يقتنيه الدارسون والهواة من جامعي الكتب ولاسيما من أنصار الطرق الصوفية[1].

2 – علم تفسير القرآن:

حسب الغبريني كان يدرس علوم تفسير القرآن على كتاب "الكشف والبيان عن تفسير القرآن" لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي، ويعرف بتفسير الثعلبي (وهو مفسر من أهل نيسابور). كما ذكر أنه درس علوم القرآن على الأندلسي أبي الحسن علي بن محمد عتيق بن مؤمن الأنصاري الخزرجي، فقيه مقرئ من أهل قرطبة[2].

كما أورد الغبريني في مشيخته العديد من المؤلفات وأهم كتب التفسير التي درس عليها أساتذته، وعبّر عنها من خلال مصطلح "حدثني". إضافة إلى طلبة العلم الذين درسوا في المشرق، واطلعوا على هذه الكتب ونقلوا عنها إلى المغرب الأوسط للاستفادة، وبلوغ السند العالي، سواء في تفسير القرآن أو علم الحديث نذكر منها:

– كتاب أحكام القرآن لأبي حسن علي بن محمد الطبري من طبرستان من بلاد خراسان وهو فقيه شافعي[3].

– كتاب "التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل"، تأليف أبي العباس أحمد بن عمار المهدوي، كان عالما بالقراءات والآداب متقدما فيهما[4].

– كتاب "الوجيز في شرح كتاب الله العزيز"، تأليف القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي، أحد القضاة بالبلاد الأندلسية، فقيها عارفا بالأحكام والحديث أديبًا، بارعًا، شاعرًا[5].

---

1 – مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ص215.

2 – أبو العباس الغبريني، مصدر سابق، ص، ص360، 361.

3 – نفسه، ص361.

4 – نفسه، ص362.

5 – نفسه، ص363.

أما حاضرة تلمسان فيما يخص تفسير القرآن فنجد من بين المفسرين أحمد بن عبد الرحمن الشهير بابن زاغو المغراوي التلمساني الذي ألف كثيرا في هذا الميدان، وكذلك محمد بن أحمد بن مرزوق الذي فسر القرآن لتلامذته من خلال دروسه. ومن العلماء الذين ألفوا في علم القراءات ورسم القرآن محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي، فقد ألف كتاب سماه (الطراز في شرح الخراز)، يتناول ضبط القراءات ورسم خطوط المصاحف، ووضع محمد بن أحمد المصمودي رجزًا في القراءات، تناول فيه أوجه الخلاف بين قراءة عبد الله المكي وقراءة الإمام نافع[1].

باستثناء العناية بالسيرة النبوية، فإن التأليف في علوم الحديث لم تتقدم تقدم الدراسات الفقهية وغيرها من العلوم الشرعية، وقد اشتهر من المحدثين التنسي والثعالبي، أما التفسير فقد ضعف العناية به، فكان العلماء يتناولونه في مجالسهم ودروسهم، ولكن قلما ألّفوا فيه، ولولا تفسير عبد الرحمن الثعالبي المعروف (بالجواهر الحسان) لما وصل إلينا تفسير مكتوب من القرن التاسع.

3 – علم الحديث والفقه:

يعتبر هذا العلم من بين العلوم التي عرفت إقبالا من قبل طلبة المغرب الأوسط، حيث كانت تدرس في مدارسها وجوامعها، كما أن الدروس كانت ترجع في مصدر معلوماتها إلى كتب الحديث لأهم علماء المشرق، منها كتاب موطأ الإمام أبي عبد الله مالك ابن أنس[2]، وكتاب "جامع" البخاري و "مسند" مسلم و "سنن" أبي داود و "جامع" الترمذي و "جامع" النسائي[3].

وكتب الحديث التي ورد ذكرها في كتاب الغبريني ما هي إلاّ نتاج التواصل الثقافي الذي كان بين المشرق والمغرب، إضافة إلى الرحلة في طلب العلم، التي هي الأخرى ساهمت في ذلك، وكونت لنا علماء الحديث بلغوا درجة السند العالي، وألفوا كتب استفادت منها الأجيال اللاحقة.

---

1 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص120.

2 – أبو العباس الغبريني، مصدر سابق، ص364.

3 – نفسه، ص367.

وكان اهتمام طلبة العلم بهذه العلوم قبل العهد العثماني، فمن أبرز علماء تلمسان في هذا الميدان أبو العباس الونشريسي، وأما الذين تخرجوا عنهم فهم أحمد البجاوي[1]، ومحمد بن يحيى المديوني، ويحيى بن عمران الزواوي ويحيى الونشريسي ومحمد عبد الرحمن بن حلال ومحمد بن شقروان ابن هبة. وأغلب هؤلاء التلاميذ من الذين اشتهروا في ميدان الفقه وكان حيا سنة 950هـ/1543م[2].

ويظهر لنا جليا اهتمام علماء بجاية بهذا العلم، من خلال المؤلفات والكتب التي ذكرها الغبريني، نذكر منها كتاب عبد الله بن عبد الحكم، فقيه مالكي من كبار علماء مصر، وكان من آجله أصحاب الإمام مالك، وله مصنفات في الفقه[3]. ومن أهم المدرسين الذين درسوا علم الفقه في بجاية أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر المنصور القلعي، له علم بالفقه والفرائض علما وعملا، وكانت له طريقة في الفرائض ملخصة، ولم يكن ببجاية في وقته أحد يريد قراءة هذا العلم إلا قرأه عليه، وكان يقصد من البلاد لقراءة هذا العلم عليه[4].

ولقد تواصل اهتمام علماء الجزائر خلال العهد العثماني بتدريس علم الحديث والفقه، وبرز العديد منهم وكان لهم إنتاج علمي، منهم محمد بن عليس الجزائري (1080هـ/1699م) المعروف بأقوجيل من فقهاء المالكية حافظ للحديث، من آثاره: "عقد الجمان اللامع من قعر البحر الجامع" منظومة نظّم بها أسماء مخرجي أحاديث الجامع الصحيح للبخاري، وعدد الأحاديث التي لكل منها مخطوطة في دار الكتب بالقاهرة[5].

أما الفقه فقد كان محل اهتمام معظم علماء الجزائر تدريسًا وتأليفًا، فقد تولّى العديد منهم منصب الفقيه المالكي أو الحنفي، والبعض منهم ترك مؤلفات في هذا المجال، منهم:

- عبد القادر بن محمد الراشدي (1194هـ/1780م) فقيه مالكي، تولّى القضاء والإفتاء في قسنطينة، من آثاره كتاب في عائلات قسنطينة وقبائلها وعربها وبربرها، ورسالة في "تحريم الدخان" و "وزن الأعمال"[6].

---

1 – أبو العباس الغبريني، المصدر السابق، ص210، 211.

2 – نفسه، ص211.

3 – نفسه، ص377.

4 – نفسه، ص266.

5 – عادل نويهض، مرجع سابق، ص214.

6 – نفسه، ص214.

– السعيد بن عبد الرحمن بن أبي داود (1176 - 1256هـ/1762 - 1840م) من بلاد القبائل[1]، برز في العلوم الفقهية وألّف فيها[2].

– محمد المازري (1196 - 1286هـ/1782 - 1871م) فقيه، نحوي له مشاركة في علوم الحديث والتفسير والمنطق، من آثاره كتاب "تقييدات" على جمع الجوامع لابـــن السبكـــي، و "قصائد" في رثاء ومدح مشايخ زاوية ابن أبي داود[3].

– أحمد بن مزيان الورجي (بعد 1193هـ/1779م) عالم بالفقه وعلم الأصول، من آثاره "تخميس البردة" و "كتاب في الصلاة عن النبي"[4].

– مصطفى بن رمضان العنابي (1130هـ/1718م) من كبار فقهاء الحنفية، من آثاره "أرجوزة في الفرائض" و "الروض البهيج بالنظر في أمور العزوبة والتزويج"[5].

– أحمد الغربي أبو العباس (11هـ/17م) من آثاره "حاشية على المقترح وحاشية على الإرشاد" وشرح رسالة عمر بن الخطاب في القضاء[6].

4 – علوم العربية:

اشتهر المغرب الأوسط بأهم علماء اللغة، فقد عرفت إقبالاً كبيرًا من طرف الطلبة لدراسة علوم اللغة العربية، والجدير بالذكر هنا أن هؤلاء الطلبة تتلمذوا على يد أكبر علماء المشرق، نذكر منهم أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، وهو سيبويه الفقيه النحوي إمام النحاة وأول من بسط علم النحو[7].

والمعروف عن الشعر في هذه الفترة كان يغلب عليه مدح السلاطين، من أهم الشعراء في تلمسان محمد بن عبد الرحمن الخوضي شاعر بلاط الزيانيين، وأحمد بن محمد الخلوف شاعر بلاط الحفصيين، إضافة إلى الشعر الجيني، والمدائح النبوية[8]. فلقد

1 – من منطقة أقبو (بجاية)، عبد المنعم القاسمي الحسني، مرجع سابق، ص156.

2 – نفسه، ص156.

3 – عادل نويهض، المرجع السابق، ص214.

4 – نفسه، ص342.

5 – نفسه، ص، ص146، 245.

6 – نفسه، ص250.

7 – أبو العباس الغبريني، مصدر سابق، ص390.

8 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص79.

كان الشعر وفيرا خلال القرن التاسع، غير أن روح التصوف قد طغت عليه، فلا نكاد نجد (عالما) إلاّ وله قصيدة وكانوا يسمونها غالبا منظومة، في موضوع ديني أو صوفي أو في رثاء متصوف أو زاهد، نذكر منها قصيدة إبراهيم التازي المعروفة بالمرادية و (المنظومة الجزائرية) لأحمد بن عبد الله الجزائري[1].

ونذكر منهم كذلك محمد بن الشاهد الجزائري (1206هـ/1792م)، شاعر من فقهاء المالكية (أصله من الأندلس)، كان ينظّم الموشحات ويلحّنها لاسيما في ذكرى المولد النبوي الشريف[2]، وكان الاحتفال بهذه الذكرى مناسبة يتنافس فيها الأدباء في كتابة الشعر على الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام. كما أن البعض منهم ترك ديوان منهم محمد بن محمد بن علي بن محمد المهدي القلعي (1164هـ/1751م)، شاعر أديب من أهل مدينة الجزائر، من آثاره "ديوان شعر".

وقد اشتهر شعراء الجزائر خلال العهد العثماني بالفصاحة، فمثلاً عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد المعروف بالوقاد (1075هـ/1647م) أنه كان شاعر لغوي خطيب من أهل تلمسان، وكان فصيح العبارة جيد الشعر[3]. وكان الشعر ينظم باللغتين العربية والبربرية منهم السعيد بن عبد الرحمن بن أبي داود الذي كان يقرض الشعر، وله مدائح نبوية باللغة البربرية[4]. كما أن الشعر الجزائري خلال العهد العثماني غلب عليه طابع التصوف، فقد اهتم الكثير منهم بمدح شيوخ الطرق الصوفية، نذكر منهم محمد المازري الذي كتب "قصائد" في رثاء ومدح مشايخ زاوية ابن أبي داود، وتبقى هذه القصائد رغم بساطتها اللغوية للبعض منها إنتاج فكري لهذه الحقبة التاريخية.

وقد ضعف الإنتاج اللغوي، كالدراسات النحوية والقاموسية، وكادت تقتصر على تعاليق سطحية في النحو والصرف. ومن الذين اهتموا بالدراسات النحوية والبلاغية، أبو جميل زيان (إبراهيم) بن قائد الزواوي، ومن نظمه في ذلك أرجوزة في النحو بلغت مائة وخمسة بيتا، قصد بها كما قال إفادة الناشئة. إضافة إلى يحيى بن معطي الزواوي صاحب

---

1 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، المرجع السابق، ص82.

2 – عادل نويهض، مرجع سابق، ص186.

3 – نفسه، ص، ص241، 243.

4 – عبد المنعم الحسني القاسمي، مرجع سابق، ص156.

(الدرة الألفية في علم العربية)، وظل النحو محل اهتمام عدة علماء أمثال ابن القنفد والمشدالي والمغيلي وأحمد بن أحمد البجائي[1].

رغم اهتمام علماء الجزائر بتدريس اللغة العربية وقواعدها من بداية مراحل التعليم في الكتّاب خلال العهد العثماني، إلاّ أنّ التأليف في هذا المجال قليل، فقد عُرِفَ عن ابن الوقاد أنه كان بارعًا في تدريس اللغة العربية وقواعدها، لكنه لم يترك لنا مؤلفات[2]. لكن رغم قلّة الإنتاج العلمي في علوم اللغة، إلاّ أن البعض منها كانت ذات قيمة علمية كبيرة، فمثلاً عبد الرحمن بن محمد الأخضري (920 - 953هـ/1514 - 1545م)، كان من أشهر المؤلفين في القرن العاشر (10هـ/16م)[3]، من مؤلفاته "الجوهر المكنون في البلاغة"، وقد شرحه عدد كبير من العلماء بمصر وغيرها، طبع بمصر مختصر فقه العبادات[4].

كما كانت هناك مؤلفات في قواعد اللغة العربية، منها كتاب الأديب النحوي العربي بن السنوسي القيرواني المستغانمي (أواخر القرن 17م) من علماء مستغانم، من آثاره كتاب "القولة الشافية بشرح القواعد الكافية"[5].

5 – التاريخ والسير:

ترك الجزائريون أعمالاً هامة في التاريخ والتراجم والسير خلال القرن 9هـ/15م، بعضها ما يزال مرجعًا إلى اليوم، وكان جل هذه الأعمال مرتبطًا باسم سلطان من السلاطين أو دولة من الدول المحلية (الزيانية، الحفصية)، غير أن الجهد العلمي بقي محتفظًا بقيمته رغم مرور القرون عليه[6].

والملاحظ أن حركة التأليف في ميدان التاريخ عرفت نشاط في هذه الفترة، لكن بعض هذه الأعمال كتبها علماء تغلب عليهم تخصص آخر غير التاريخ مثل التنسي الذي

---

1 – عبد المنعم الحسني القاسمي، المرجع السابق، ص، ص87، 88.

2 – عادل نويهض، مرجع سابق، ص343.

3 – كتب في علوم كثيرة مثل المنطق، التصوف، الفقه، البيان، الكلام، الحساب. عبد المنعم الحسني القاسمي، المرجع السابق، ص193.

4 – نفسه، ص193.

5 – عادل نويهض، المرجع السابق، ص297.

6 – نفسه، ص60.

اشتهر بدراسته الحديث والفقه والأدب، وابن القنفد الذي درس العلوم كالحساب والإسطرلاب والفلك، والثعالبي الذي عرف بالزهد وعلوم الدين، ومع ذلك فإن آثار هؤلاء التاريخية ما تزال تحتفظ بقيمتها[1].

فلم يعرف المغرب الأوسط مؤرخا كبيرا كابن خلدون الذي طرح في القرن 8هـ/ 14م أبرز النظريات في العلوم الاجتماعية التي عرفها المسلمون، وأخوه يحيى الذي ألف كتاب (بغية الرواد) الذي خصصه لتاريخ وآثار دولة بني عبد الواد. أما محمد بن مرزوق (الجد) فقد اهتم بوضع سيرة الأمير أبي الحسن علي المريني، وسمى كتابه (المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن)[2]. والعالمان حسن بن أبي القاسم بن باديس الذي شرح (كتاب السير) لأحمد بن فارس الرازي، وسماه (فرائد الدرر وفوائد الفكر في شرح المختصر)، تناول في شرحه سيرة الرسول ﷺ وتاريخ الصحابة. ولقد عرف ابن قنفد بأعماله الكثيرة في التاريخ والتراجم والرحلات والأنساب، ومن ذلك (الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية) و (الوفيات) و (أنس الفقير وعز الحقير) و (طبقات علماء قسنطينة) وغيرها[3].

وقد أسهم عبد الرحمن الثعالبي أيضا في السيرة والتاريخ، ففي كتابه (الأنوار في آيات النبي المختار)، تحدث عن سيرة الرسول ﷺ وعن غزواته وسيرة الصحابة وغزواتهم وأوصافهم[4].

ومن أهم مؤرخي القرن 9هـ/15م محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي، الذي اهتم بالتاريخ لبني زيان، وقد أطلق على كتابه اسم (نظم الدر والعقبان في شرف بني زيان، وذكر ملوكهم الأعيان، ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان)، ولأهمية موضوعه تناوله عدد من الباحثين بالترجمة والتعريف والنشر والتحقيق[5].

1 – عادل نويهض، المرجع السابق، ص، ص60، 61.

2 – نفسه، ص، ص61، 62.

3 – نفسه، ص63.

4 – نفسه، ص69.

5 – نفسه، ص70.

واهتم محمد بن عمر بن إبراهيم الملالي التلمساني مع ابن مصعد في الاهتمام بالتراجم، فقد كتب الملالي سيرة أستاذه محمد بن يوسف السنوسي (المواهب القدسية في المناقب السنوسية)، وابن مصعد في كتابه (النجم الثاقب) اعتمد على عدد كبير من المصادر بلغت أكثر من مائة كتاب في ترجمة الأولياء[1].

حركة التأليف في ميدان التاريخ خلال العهد العثماني استمرت لكنها تغيرت تأقلمًا مع تغير الأوضاع السياسية وقدوم الدولة العثمانية، وزوال سلاطين الدولة الزيانية والحفصية الذين شجعوا المؤرخين على تدوين الأحداث التاريخية لفترة حكمهم تخليدًا لأعمالهم. لكن التغير يكمن في أن حكام الجزائر خلال العهد العثماني لم يشجعوا حركة التأليف ماعدا الباي محمد الكبير الذي سبق ذكره. رغم هذا عرفت حركة التأليف نشاطا في ميدان التاريخ من خلال تدوين وتأريخ الأحداث التاريخية، التي أعطت لنا كتب تاريخية لم تفقد قيمتها إلى يومنا، رغم أن الكثير منهم لم يكن متخصص في التاريخ فقط، منهم الفقيه والأديب.

نذكر منهم عبد القادر بن عبد الله بن محمد المشرفي الغريسي (1192هـ/1778م) من فقهاء المالكية، له اشتغال في التاريخ من مؤلفاته كتاب "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان من الأعراب كبني عامر"[2]. ومحمد بن أحمد الحلفاوي التلمساني (1122هـ/1711م) تقلد منصب الإفتاء، من علماء تلمسان اهتم بتدوين التاريخ، من آثاره كتاب "أرجوزة في فتح مدينة وهران" شرحها عبد الرحمن الجامعي. ومن فقهاء تلمسان كذلك محمد بن محمد بن عبد الرحمن التلمساني (1193هـ/1779م)، ألّف كتاب في التاريخ عرف بـ "الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها الكفرة"[3].

كما أن كتب التراجم والسير، اعتبرت هي الأخرى مصادر تاريخية مهمة، أو ما عرف بكتب المشيخة، حيث دوّن العلماء أشهر العلماء الذين درسوا عندهم ووضعوا لهم تراجم، هذه المؤلفات أصبحت من أهم المصادر في تدوين التاريخ، منهم محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم (1025هـ/1611م) مؤرخ، من مؤلفاته كتاب "البستان في ذكر

---

1 – عادل نويهض، المرجع السابق، ص، ص74، 75.

2 – نفسه، ص302.

3 – نفسه، ص، ص71، 72، 76.

الأولياء والعلماء بتلمسان"، وله كتب أخرى منها كتاب "تحفة الأبرار وشعار الأخيار في الوظائف والأذكار المستحبة في الليل والنهار"، وكتاب عبد الرحمن السنوسي "فتح الجليل في أدوية العليل" وكتاب "كشف اللبس والتعقيد عن عقيدة أهل التوحيد"، فله مشاركة في التاريخ والفقه[1].

وهناك من اختص في الكتابة عن الأنساب منهم محمد القسنطيني أبو عبد الله الشهير بابن قنفد (1015هـ/1606م)، اهتم بعلم التاريخ وألّف خلال إقامته في دمشق كتابه "إدريسية النسب في القرى والأمصار وبلاد العرب"[2]. كما عرفت الأحداث البارزة التي عرفتها الجزائر محل اهتمام المؤرخين، خاصة الوباء الذي كانت تعرفه من فترة لأخرى، فمثلا محمد بن رجب الجزائري (1200هـ/1786م) ألف كتاب سنة 1786م بعد انتشار الطاعون في مدينة الجزائر عرف بـ "الدرة المصونة في تدبير الوباء والطاعون"[3].

وعرفت الحملات الأوروبية على الجزائر محل اهتمام المؤرخين، حيث سجلوا تفاصيل الأحداث منها فتح وهران، والاحتلال الفرنسي للجزائر منهم محمد العربي بن أويس بن محمد الغريس الراشدي، الذي عاصر الاحتلال الفرنسي للجزائر فوصف ذلك في كتابه "زهرة البساتين في بيان الاسم الأعظم بالأدلة والبراهين"[4].

القيمة العلمية لهذا الإنتاج العلمي جعل من هذه الكتب مصادر أولية يعتمد عليها في البحث العلمي منها كتب أبو راس محمد الناصر المعسكري "الدرة الأنيقة في شرح العقيقة" و "فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته" وكتاب "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، وكتاب أحمد بن قاسم البوني "الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة"، وكتاب أحمد بن سحنون الراشدي "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، وكتاب أحمد بن المبارك بن العطار "تاريخ قسنطينة (1790 - 1870م)، وكتاب عبد الكريم الفكون "منشور الهداية في كشف من ادّعى العلم والولاية"، وكتاب محمد بن ميمون "التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر"، وكتاب "تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر

---

1 – عادل نويهض، المرجع السابق، ص293.

2 – نفسه، ص270.

3 – نفسه، ص110.

4 – نفسه، ص146.

وعلمائها". كما أن للرحلة الحجازية حض من التأليف لوصف الأمصار، وذكر العلماء منها الرحلة الورتيلانية لحسين بن محمد الورتلاني "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار".

6 – العلوم والمنطق:

إن إنتاج الجزائر في العلوم الرياضية والطبية يعد قليلاً، فلم يكن هناك علماء طبيعيون أو أطباء بارزون، فإن بعض الأسماء قد التصقت بها مهنة الطب، كابن فشوش أو التأليف فيه مثل إبراهيم بن أحمد الثغري التلمساني ألّف معجمًا صغيرا في الطب رتبه على حروف المعجم، وله رسالة أخرى في الأدوية ومنافعها[1]. وفي منتصف القرن التاسع اشتهر أحد علماء بجاية بالتطبب وهو أبو الفضل محمد المشدالي، فقد درس الطب عن محمد بن علي بن فشوش في تلمسان[2].

كما ساهم بعض علماء المغرب الأوسط في علم الحساب الذي له صلة قوية بعلم الفرائض، ومن هؤلاء ابن القنفد الذي ألف كتابا في الحساب سماه (حط النقاب عن وجه أعمال الحساب)، ثم اختصره وسماه (التلخيص في شرح التخليص)، وهو يعني بالكلمة الأخيرة كتاب (تلخيص أعمال الحساب) لابن البنا الذي شرحه. وهناك عالم قسنطيني اشتهر أيضًا بعلم الحساب، وهو أحمد بن يونس ولكن شهرته فيه كانت في التدريس، وقيل إنه كان يقرئ الحساب في مكة وغيرها[3].

كما ساهموا أيضا في علم الفلك والميقات، فألّف ابن القنفد شرحا على أرجوزة ابن أبي الرجال في الفلك والتنجيم[4]، ويعتبر الحباك وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى من أشهر من ألّف في علم الإسطرلاب والهندسة، فله منظومة في الإسطرلاب أصبحت في نظر المتأخرين هي ألفية هذا العلم التي عليها يعتمدون ويلجأون إليها في التدريس اسمها (بغية الطلاب في علم الإسطرلاب)[5].

---

1 – عادل نويهض، المرجع السابق، ص، ص111، 112.

2 – نفسه، ص113.

3 – نفسه، ص114.

4 – نفسه، ص114.

5 – نفسه، ص، ص115، 116.

كما ألّف الحباك كذلك في شكل آخر من الأشكال الهندسية، وهو الذي يسمونه بالربع المجيب وسمي كتابه (نيل المطلوب) في العمل بربع الجيوب). وبالإضافة إلى ذلك شرح الحباك رجز الجادري المسمى (روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار) في الفلك. ويعتبر الحباك بذلك من أهم العلماء الذين انفردوا مهتمين بالحساب، الفرائض، الفلك لمدة طويلة، في وقت قل فيه الاهتمام بتلك العلوم[1].

كما اشتهر علماء الجزائر خلال القرن 9هـ/14م بالتدريس والتأليف في علم المنطق، وقد نسب إلى أحمد بن يونس القسنطيني أنه كان مشاركًا فيه وأستاذًا، وألّف أبو الفضل المشدالي شرحًا على جمل الخونجي في المنطق، وقد قيل إنه قام بذلك ملخصًا ومحققًا شروح من سبقوه عليها مثل ابن مرزوق وسعيد العقباني والشريف التلمساني وابن واصل الحموي، وكان المشدالي قد درس المنطق في القدس. ومن الذين كتبوا في المنطق أيضا محمد بن يوسف السنوسي الذي عرف بكتابه (المختصر)، وهو الكتاب الذي أصبح موضع تعاليق وشروح علماء العصور الموالية[2].

كانت عناية علماء الجزائر خلال العهد العثماني بالعلوم والرياضيات رغم قلّتهم، لكنهم حرصوا على الاهتمام بها وتطويرها من خلال اقتناء أهم الكتب العلمية من المشرق، وقد روى الجبرتي أن والده ذكر له أنه ورد عليهم في مصر سنة 1196هـ/1781م بعض الحجاج الجزائريين وسألوه عن كتب يشترونها، ومن بينها (زيج الراصد) للسمرقندي. ورغم أن والده لم يكشف عن اسمه لكنه كما يبدو أنه كان من العلماء والرياضيين خاصة، وليس من الفقهاء لأن معظم الكتب المذكورة كتب علمية.

إذا أخذنا التاريخ كمقياس فإن أشهر العلماء الجزائريين الذين حجوا في ذلك التاريخ هم أحمد بن عمار وعبد الرزاق بن حمادوش الذي اشتهر بالطب والرياضيات[3].

رغم عناية بعض علماء الجزائر بهذه العلوم واقتناء الكتب العلمية من المشرق، إلاّ أن التأليف فيها قليل وأهم المؤلفات في علم الرياضيات للعالم علي بن والي بن حمزة

---

1 – عادل نويهض، المرجع السابق، ص، ص117، 118.

2 – نفسه، ص، ص118، 119.

3 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص، ص287، 288.

الجزائري (999هـ/1590م) من علماء الجزائر بالرياضيات في أواخر القرن العاشر الهجري (16م) بحوثه في المتواليات كانت الأساس الذي بني عليه هذا الفرع من الرياضيات[1].

إذا حكمنا على النشاط الثقافي لأي بلد من كثرة الكتب والمكتبات التي فيها، فإن الجزائر خلال العهد العثماني كانت في طليعة البلدان الكثيرة الكتب والمكتبات. وقد شهد على ذلك الفرنسيين الذين حكموا بأن العثمانيين لم يقدّموا أي عمل لتنشيط الحياة الروحية والفكرية في الجزائر، وكانت الكتب تنتج محليا عن طريق التأليف والنسخ وتجلب من مصر وإسطنبول والحجاز. فقد روى التمغروطي أواخر القرن العاشر (16م) أن مدينة الجزائر كانت كثيرة الكتب وأنه لا يضاهيها بلد في ذلك من بلدان إفريقية ولاسيما كتب الأندلس.

كما شهد على ذلك الباحثين الفرنسيين الذين شاهدوا وجمعوا المخطوطات من مكتبات المدن الجزائرية غداة الاحتلال أنهم كانوا مندهشين من كثرة الكتب التي وجدوها ومن تنوعها ومن جمالها والعناية بها، كما أنها كانت تشمل مختلف العلوم والفنون[2].

كانت حركة التأليف خلال العهد العثماني حية ونشيطة، ولا نكاد نجد عالمًا إلاّ وله قائمة قصيرة أو طويلة من المؤلفات في مختلف العلوم المتداولة. وقد تمثل ذلك في الشروح والحواشي والتقاييد والتعاليق والرسائل والفهارس، وفي التأليف ذات الأجزاء أيضًا. وكان بعضهم قد ألف كتبه وهو في الجزائر، وبعضهم ألفها وهو خارجها لمناسبة جو التأليف في المهجر، منهم المقري الذي ألف موسوعته عن تاريخ الأندلس (نفح الطيب) في مصر، كما ألف (أزهار الرياض) في المغرب الأقصى، وألف يحيى الشاوي وعيسى الثعالبي وابن حمادوش معظم أعمالهم في الخارج، كما ألف ابن العنابي كتابه (السعي المحمود) في مصر[3].

---

1 – عادل نويهض، مرجع سابق، ص124.

2 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص، ص286، 287.

3 – نفسه، ص294.

أشهر الكتب التي كانت تغذي الحياة العقلية خلال العهد العثماني:

1- تاريخ الدولة العثمانية (لم نعرف لمن هو).

2- وفيات الأعيان لابن خلكان.

3- شرح لامية العجم للصفدي.

4- نفح الطيب للمقري.

5- سراج الملوك للطرطوشي.

6- رحلة العبدري.

7- حسن المحاضرة للسيوطي.

8- جغرافية ابن الوردي.

9- الطبقات للذهبي.

10- تاريخ سورية للواقدي.

11- رجال بجاية: الهداية في رجال بجاية.

12- ذيل الديباج (نيل؟).

13- التاريخ القسي.

14- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (للمقري).

15- حياة أحمد بن عروس.

16- نظم الدرر (كذا) للتنسي.

17- سلافة العصر.

18- فاكهة الخلفاء.

19- ديوان ابن حزم.

20- ديوان ابن عربي.

21- ديوان الخفاجي.

22- ديوان نور الدين (كذا؟).

23- الحماسة.

24- ديوان ابن خفاجة[1].

---

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص، ص306، 307.

25- شرح مقامات الحريري.

26- شرح ابن نباتة عن ابن زيدون.

27- تاريخ ابن الجوزي.

28- الإنشاء لأبي المطرف.

29- ديوان ابن أبي الوفاء (؟).

30- السلوانية.

31- شرح التبريزي على المعلقات.

32- ديوان علي بن أبي طالب.

33- قصيدة ابن الوردي.

34- الصحاح للجوهري.

35- المزهر للسيوطي.

36- شرح ابن القوطية (في الأفعال، نحو).

37- معجم البلدان الكبرى.

38- العقد الفريد لابن عبد ربه.

39- تاريخ ابن الأثير (عز الدين علي بن محمد).

40- النهاية لابن الأثير (مجد الدين مبارك).

41- ستون كتابًا في النحو منها ألفية ابن معطي.

42- ستة مجاميع ضخمة في الحديث[1].

---

1 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، المرجع السابق، ص، ص307، 308.

الفصل الثـاني:

النشاط التعليمي لعلماء الجزائر مشرقًا ومغربًا

<u>المبحث الأول</u>: علماء الجزائر في المشرق الإسلامي

<u>المبحث الثاني</u>: علماء الجزائر في المغرب الأقصى

<u>المبحث الثالث</u>: علماء الجزائر في تونس

المبحث الأول: علماء الجزائر في المشرق الإسلامي

ظل المشرق الإسلامي يمثل المرجعية الدينية لأهل المغرب الإسلامي عمومًا، نظرًا لوجود مراكز الخلافة والمقدسات الإسلامية، فقصدوه للحج والمجاورة ولطلب العلم أيضًا، فقد رحل عدد كبير من أهل العلم الجزائريين إلى المشرق، فأفادوا واستفادوا وأجازوا واستجازوا. ولقد برز خلال العهد العثماني في المشرق الإسلامي العديد من الحواضر العلمية والثقافية التي ازدهرت بها حلقات الدروس العليا في مقدمتها مدينة القاهرة بمصر، ومكة المكرمة والمدينة المنورة، إلى جانب مدينة دمشق بالشام[1]، وكانت هذه الحواضر العلمية قبلة لعلماء الجزائر. فهل كان لهذه الفئة تأثير على الحياة الثقافية في المشرق الإسلامي، وهل كان لها دور تعليمي؟

1 – علماء الجزائر في مصر:

كان أكثر مساجد مصر مراكز فكر وإشعاع جلس بها العلماء وتحلق حولهم الطلاب وأطلق على كل شيخ من شيوخ المساجد لقب "شيخ عمود"، فبجوار الأعمدة المتعددة كان يجلس هؤلاء العلماء. واكتسب بعض هذه المساجد شهرة في التعليم منها: جامع عمرو، جامع شيخون، مسجد الإمام الشافعي، ومسجد كتخدا بالأزبكية، بالإضافة إلى جامع المشهد الحسيني، أما الجامع الأزهر فقد احتل الصدارة في مصر، بل وفي العالم الإسلامي[2]. الذي أصبح منبرًا حرًّا لتدري فقه المذاهب السنية الأربعة: الشافعي، المالكي، الحنبلي والحنفي، وامتد نشاطه إلى مختلف العلوم الشرعية والعربية، أي أصبح بمثابة جامعة متكاملة[3].

ومن التقاليد الراسخة التي ظلت لصيقة بالتاريخ العلمي والاجتماعي للأزهر كجامعة، أنه أفرد لكل طائفة من طلابه وكان يطلق عليهم المجاورون رواقا، يقيمون فيه إقامة دائمة بالمجان طوال سنوات التي يقضيها كل منهم في تحصيل العلم في رحابه،

---

1 – فوزية لزغم، مرجع سابق، ص، ص263، 264.

2 – نفسه، ص، ص265، 266.

3 – عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، "المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517 – 1798)، منشورات المجلة التاريخية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص98.

ويوزع عليهم بدون مقابل نقدي يومًا بعد يوم وفق نظام رتيب الحراية وهي عدد معين من أرغفة الخبز. كما يصرف لأعداد منهم مرتبات نقدية في أول كل شهر هجري، ويقدم لطلبة جميع الأروقة الأطعمة والحلوى والعطايا في المناسبات الدينية كشهر رمضان المبارك والعيدين. وكان هناك تقسيم جغرافي وإقليمي للأروقة، وتقسيم على أساس المذهب الديني الذي يعتنقه الطالب، وكان رواق المغاربة لا يقبل إلا الطلبة المغاربة الذين ينتمون إلى المذهب المالكي، وكان بعض أروقة الوافدين تكتظ بالطلبة ويقف على رأسها رواق الشوام ورواق المغاربة[1]. وأصبح الرواق بمثابة مؤسسة ثقافية واجتماعية تقدم خدماتها لأبناء المغرب على مختلف مواطنهم، ترعاهم طوال مدة دراستهم في الأزهر، أو أداء مهمتهم العلمية فيه إذا كانوا من المدرسين[2].

كانت هناك رحلات علمية كثيرة إلى المشرق، لاسيما وأن أهل المغرب الإسلامي عامة كانوا ينظرون بعين الإكبار إلى كل من يأخذ من علماءه أو يحصل على إجازاتهم. وكانت هذه الرحلات عادة ما تتجه إلى الجامع الأزهر لرسوخ المنزلة العلمية التي احتلها في نفوس أهل العلم الجزائريين، ولعظم المكانة التي يتبوؤها خريجوه في الأوساط العلمية وغير العلمية في الجزائر. وكان لعلماء الجزائر صلات ثقافية وثيقة بعلماء المشرق، وقد أفاد العلماء الجزائريون هناك واستفادوا وأجازوا واستجازوا[3].

ولقد كان للعلماء الجزائريين دور تعليمي وثقافي يمكن تصنيفه في التأليف والتدريس والإجازات العلمية، ومن أشهر هؤلاء العلماء الشيخ محمد حسن الجزائري المتوفى (1187هـ/1773م)، الذي لازم الشيخ محمد المقدسي مفتي الحنفية، ودرس عليه متون الفقه، وحضر دروس المعقول على الشيخ الصعيدي والشيخ الليلي والشيخ محمد الأمير وغيرهم من مشايخ الوقت، وحصل طرفا من العلوم وصارت له شهرة في الحملة، وأعطاه شيخه تدريس الحديث بالصرغتمشية (المعروفة بجامع صرغتمش نسبة إلى مؤسسها سيف الدين صرغتمش الناصري 557هـ/1256م)، فكان في كل جمعة يقرأ فيه البخاري، وبعد وفاة

---

1 – عبد العزيز محمد الشناوي، الأزهر جامعًا وجامعة، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 2013، ص-ص219-221.

2 – عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مرجع سابق، ص99.

3 – فوزية لزغم، مرجع سابق، ص، ص273، 274.

شيخه الشيخ حسن المقدسي تصدر للإقراء محله، وصار ممن يشار إليهم بالبنان، لعلمه وصلاحه وتقواه[1].

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الشهير بالمقري جاء إلى مصر سنة 1027هـ/1618م، وامتدت إقامته فيها زهاء خمسة عشر عامًا حتى وافاه الأجل في جمادي الآخر 1041هـ/1632م، لازم التدريس في الأزهر وكانت حلقاته تزدحم بالعلماء والطلاب وألقى معظم دروسه في الحديث[2]. ولقد عاش المقري في المشرق حياة حافلة بالنشاط العلمي، حيث تفرغ هناك للتأليف والتدريس فعقد دروسا بكل مكان كان يحل به، فهرع إليه الأعيان والعلماء، وجلسوا للاستسماع والقراءة عليه، وبهذا انتشرت إجازاته بين المشارقة، حيث تساوى في المنزلة مع أعلام المشرق في العلم[3]، حيث مدحه الشيخ المصطفى بن محب الدين الدمشقي في قصيدته وساواه فيها بعلامة مصر الشهير الشيخ إبراهيم اللقاني، كونهما إمامان لم يعرف العصر بعدهما خلف[4].

وقد كانت استفادة الشيخ أحمد المقري العلمية بمصر ضئيلة بالنسبة إلى ما استفاده بفاس، لأنه أتاها كعالم فأفاد أكثر مما استفاد، ويبدو ذلك في مظهرين، أولهما مؤلفاته العديدة التي ألفها هناك في العلوم المختلفة، وثانيها تلامذته الذين جلسوا إليه وأخذوا عنه علومًا كثيرة وأجازهم فيها، وفي التفات طلبة الأزهر حوله بمجرد وصوله إلى مصر، دليل واضح على مقدرته العلمية التي أتى بهام من المغرب، ومع ذلك جلس المقري إلى حلقات بعض المشايخ بالمشرق على سبيل المذاكرة، وهناك من أجازه[5].

وقد جَدَّ المقري في الاشتغال بالتدريس بالمشرق، فكان مدرسًا بارعًا في كل فن يطرق بابه، خاصة إملاء الحديث والعقائد، فدرس برواق المغاربة بالجامع الأزهر، وبالإسكندرية وثغر رشيد (وهي مدينة قريبة على البحر والنيل قرب الإسكندرية)[6].

---

1 – عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مرجع سابق، ص104.

2 – عبد العزيز محمد الشناوي، مرجع سابق، ص209.

3 – فوزية لزغم، مرجع سابق، ص، ص276، 277.

4 – المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج1، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (بدون تاريخ النشر)، ص09.

5 – فوزية لزغم، المرجع السابق، ص، ص277، 278.

6 – نفسه، ص279.

ومن جملة تلامذته الذين درسوا عليه بمصر وأجازهم عبد الباقي الحنبلي الدمشقي[1]، فقد درس عليه العقائد والحديث بالأزهر، وعبد القادر بن غصين الغزي[2]، قرأ عليه أرجوزته في العقائد المسماة بإضاءة الدجنة بعقائد أهل السنة[3]. ومن بين تلامذته المصريين الشيخ أحمد بن القاضي شهاب الدين العجمي[4]، الذي حضر عليه بعض الدروس في المنطق وفي شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، والمواهب اللذنية بالمنح المحمدية في السيرة النبوية لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن أحمد القسطلاني المصري الشافعي (851 – 923هـ)، وحرر له المقري إجازتين سنة 1033هـ/1623م[5].

ولقد ذكر نور الدين عبد القادر في كتابه "صفحات من تاريخ مدينة الجزائر" بعض العلماء الذين درسوا في المشرق منهم الشيخ محمد بن محمد المهدي ويعرف بسيدي ابن علي، كان ممن جمع بين العلم والصلاح، ارتحل إلى الشرق وقرأ هناك على أكابر العلماء وأجازوه، ثم عاد إلى مدينة الجزائر وكانت وفاته سنة 1093هـ/1682م[6]. وحمودة بن محمد بن حمودة بن عيسى الشريف الجزائري المعروف بالمقايسي، قرأ بالأزهر على الشيخ محمد الدسوقي المالكي صاحب الحاشية على شرح مختصر خليل للدردير، وقرأ الشمسية في المنطق بحاشية عبد الحكيم السيالكوتي الهندي، وهو شرح المختصر القزويني في البلاغة، والعقائد النسفية في توحيد الماتوردية وهما للتفتازني. كما أنه قرأ

---

1 – عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر الحنبلي الأزهري الدمشقي (1005 – 1071هـ/1660م)، ولد ببعلبك وقرأ بها على والده، ثم ارتحل إلى دمشق وقرأ على مشايخها، ثم إلى مصر، وتصدر للإقراء بالجامع الأموي، وأخذ عنه الكثير من العلماء. انظر: المحبي، ص-ص283-285.

2 – عبد القادر بن أحمد بن يحيى، المعروف بابن غصين الغزي الشافعي (1013 – 1087هـ)، رحل إلى مصر سنة 1013هـ وكانت له مع شيخه المقري علاقة وثيقة. انظر: المحبي، مصدر سابق، ج2، ص305.

3 – فوزية لزغم، مرجع سابق، ص، ص279، 280.

4 – أحمد بن أحمد بن محمد المعروف بالعجمي الشافعي الوفائي المصري (1041 – 1086هـ)، قرأ على عدة مشايخ منهم البرهان اللقاني، من تآليفه: شرح ثلاثيات البخاري ورسالة في الآثار النبوية. انظر: المحبي، خلاصة الأثر، ج1، ص176.

5 – فوزية لزغم، المرجع السابق، ص، ص281، 282.

6 – نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص199.

الحكم لابن عطاء الله الإسكندري، والموطأ للإمام مالك والشفاء للقاضي عياض وسنن أبي داود وجامع الترمذي وسنن ابن ماجة وسنن النسائي. ومن أشياخه بالأزهر حسن العطار والصبان ومحمد الأمير وأذنوا له بالإقراء والتدريس[1].

ومن علماء الجزائر الذين مارسوا التدريس في مصر، نذكر الشيخ أبو العباس الجزائري المغربي المتوفى 21 شعبان 1202هـ/7 مايو 1788م، الذي تتلمذ على يد الشيخ علي الصعيدي ولازمه، مما جعل الشيخ يأذن له في التدريس "فصار يقرئ الطلبة في رواق المغاربة، وراج أمره لفصاحته، وجودة حفظه واشتهر أمره وصارت له في الرواق الكلمة واحترم علماء مذهبه، وازداد أمره ظهورا بعد وفاة أستاذه علي الصعيدي[2].

ومحمد بن عبد الله (المنور التلمساني) [1173هـ/1760م] محدث كبير، أديب رحالة، صوفي من فقهاء المالكية ولد بتلمسان وأخذ الفقه عن الشيخ مصطفى الرماصي ثم رحل إلى المشرق وأخذ عن كثير من علمائها، تولى التدريس بالجامع الأزهر، وأخذ عنه أعلام منهم: بن عبد الرحمن الأزهري، أحمد بن عمار، الحافظ الزبيدي، عبد القادر المشرقي[3].

كما عرف عن الشيخ أبو مهدي عيسى الثعالبي أنه مكث في مصر بين سنتي 1064هـ و 1065هـ/1653م و 1654م، فأخذ عن إمام المالكية بها الشيخ علي الأجهوري[4]، والشيخ شهاب الدين الحفاجي الحنفي[5]، والشيخ سلطان بن أحمد المزاحي الذي كان يدرس في الجامع الأزهر كان يقول: "من أراد أن يصير عالمًا فليحضر درسي لأنه كان في كل سنة يختم نحو عشرة كتب في علوم عديدة يقرؤها قراءة مفيدة"[6].

1 – نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص، ص214، 215.

2 – عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مرجع سابق، ص105.

3 – عبد المنعم القاسمي الحسني، مرجع سابق، ص327.

4 – علي بن زين العابدين بن محمد زين الدين عبد الرحمن بن علي أبو الإرشاد نور الدين الأجهوري، شيخ المالكية في عصره بالقاهرة، وإمام الأئمة. وكان محدثا فقيها أخذ عن الشهاب العجمي محمد الرملي والبدر حسن الكرخي وغيرهم. ألف التآليف الكثيرة منها شروحه اثلاثة على مختصر خليل في فقه المالكية. انظر: المحبي، ج3، مصدر سابق، ص، ص158، 159.

5 – الشيخ أحمد بن محمد بن عمر قاضي القضاة الملقب بشهاب الدين الحفاجي الحنفي المصري، عرف عنه أنه رأس المصنفين وانفرد في وقته بالتقرير والتحرير وحسن الإنشاء، تآليفه كثيرة، من أهم شيوخه الذين أجازوه محمد الرملي، نور الدين علي الزيادي، إبراهيم العلقمي. انظر: المحبي، ج1، مصدر سابق، ص، ص331، 332.

6 – سلطان بن أحمد بن سلامة بن إسماعيل أبو العزائم المزاحي المصري الأزهري الشافعي، إمام الأئمة وبحر العلوم وسيد الفقهاء، أجيز بالإفتاء والتدريس وتصدر للتدريس بالأزهر. انظر: المحبي، ج2، مصدر سابق، ص210.

وقد عرف عن الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن بن علي بن موسى بن خضر الخياري المدني الشافعي أحد المشاهير بالبراعة في الحديث والمعارف وفنون الأدب والتاريخ، أنه أكثر اشتغاله على الشيخ عيسى الثعالبي حيث لازمه كثيرا وأخذ عنه. وكان هذا الأخير قد رحل إلى مصر سنة 1066هـ، فاستجاز للخياري من كل من أخذ عنه من كبار العلماء الموجودين إذ ذاك بالقاهرة[1]، وهذا دليل على المرتبة العلمية الكبيرة التي وصل إليها عيسى الثعالبي، والقيمة الكبيرة التي كانت تمنح للإجازات التي يقدمها.

ويحيى الشاوي[2] رحل إلى مصر سنة 1074هـ/1663م قصد ورجع بعدها إلى القاهرة واجتمع به فضلاؤها وأخذوا عنه، وأخذ عن علمائها كالشيخ سلطان والشمس البابلي والنور الشبراملسي وأجازوه بمروياتهم، ثم تصدر للإقراء بالجامع الأزهر، حيث درس فيه مختصر خليل وشرح الألفية للمرادي وعقائد السنوسي وشروحها، وشرح الجمل للخونجي لابن عرفة في المنطق[3]. فقد حاز الشاوي في المشرق على تقدير العلماء، وأصحاب السلطان في كل البلاد التي دخلها، خصوصا بلاد الروم (القسطنطينية) دار الخلافة، ومصر التي تولى بها قضاء المالكية مرتين، وإمارة ركب الحج النغربي، حيث حج بالركب مرتين، أما ما ذهب إليه مقديش من أن السلطان العثماني ولاه بطلب منه مشيخة الجامع الأزهر فكان كذلك إلى وفاته[4].

وكان يحيى الشاوي يكرم في كل بلاد ينزل بها، ويسعى فيها علمائها للحصول على الإجازة منه، وهذا دليل على مكانته العلمية وشهرته، فلما مر بالرملة في أثناء رحلته إلى الروم اتصل بابن أخت شيخ الإسلام خير الدين الرملي، ومفتي الحنفية محمد بن تاج الدين بن محمد المقدسي الأصل الرملي المولد والمنشأ الحنفي فسمع منه الحديث

---

1 – المحبي، ج1، مصدر سابق، ص25.

2 – يحيى بن الفقيه الصالح بن محمد بن عبد الله بن عيسى أبو زكريا النايلي الشاوي الملياني الجزائري المالكي، اشتهر في عدة علوم منها التفسير، الحديث، الفقه، الأصول، المنطق، النحو والبيان، وفق بين المعقول والمنقول (استنبط من بيان منطقه علم الجدل والقياس). ولد بمليانة ونشأ بمدينة الجزائر وقرأ بها وبمليانة على شيوخ أجلاء منهم محمد بن محمد بهلول، وسعيد مفتي الجزائر، وعبد الواحد الأنصاري. انظر: المحبي، ج4، مصدر سابق، ص486.

3 – نفسه.

4 – فوزية لزغم، مرجع سابق، ص303.

المسلسل بالأولية وقرأ عليه طرفا من الكشاف وغيره وأجازه بمروياته ومن إجازته له ولولده:

أجزت أخانا الفاضل العلم الذي ★★★ تسمى بمن في الناس في الحشر يشفع

ونجلا له والله ينجح قصده ★★★ أبا للهدى والشخص بالاسم يرفع

وقال بذا بحي ونجل محمد ★★★ ومن معرب الأوطان والله ينفع[1]

وعند نزوله في بلاد الروم لقي إقبال كبار علماء عصره حيث بالغ في إكرامه شيخ الإسلام يحيى المنقاري والصدر الأعظم، وحضر الدرس الذي تجتمع فيه العلماء يحضره السلطان، ودخل مع العلماء في مناظرات علمية، ووصف أنه اشتهر بالعلم، لما أثبته من جدارة ونقاش علمي أعكس مستواه الذي كان يوازي علماء بلاد الروم الحاضرين في حضرة السلطان. وبعد رجوعه إلى مصر ولى بها تدريس الأشرفية والسليمانية والصرغتمشية وغيرها[2].

وليس مستغربا ما ناله الشاوي من الحظوة هناك، لما اتصف به من علم وذكاء، فقد وصف بأنه كان بارعا في الأصول والفروع، وبأنه كان سريع الجواب، حاد الذهن والفطنة، يسلك من كل باب أراده، وكان يحيى الشاوي مواظبا على التعلّم والتعليم أينما حل[3]. وجل العلماء المغاربة من بينهم الجزائريين الذين تصدوا للتدريس بالأزهر والمدار المصرية الأخرى، كان لهم تأثيرهم الكبير على تلامذتهم المصريين وفي زملائهم من العلماء، هذا فضلا عن سلسلة العلماء الذين تلقوا العلم بمصر وأفادوا واستفادوا، ثم رحلوا إلى بلادهم ليفيدوا أبناء وطنهم بما اكتسبوا من علم ومعرفة، أو رحلوا إلى بلاد المشرق العربي ليكملوا رسالتهم[4]. نذكر منهم الشيخ قاسم بن محمد الساسي البوني المالكي، الذي استقر مدة طويلة، وبالأخص في الجامع الأزهر، أين قرأ على أشهر علمائه، ودرَّس هناك ثم عاد إلى الجزائر فكان موجودا بها في سنة 1045هـ/1635م[5].

---

1 – المحبي، ج2، مصدر سابق، ص412.

2 – المحبي، ج4، مصدر سابق، ص487.

3 – فوزية لزغم، مرجع سابق، ص304.

4 – عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مرجع سابق، ص106.

5 – فوزية لزغم، المرجع السابق، ص315.

وابنه أحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي التميمي البوني فقيه مالكي من كبارهم، عالم بالحديث، رحل إلى المشرق فأخذ بمصر عن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، وأبى زكريا يحيى بن محمد الشاوي الملياني، بعد عودته من الحج وتصدره للإقراء بالأزهر وغيرهما، ثم عاد إلى الجزائر وأخذ عنه جماعة من العلماء منهم عبد القادر الراشدي القسنطيني وغيره[1]. وتحصل على إجازات كبار علماء المشرق، لتفوقه في علوم كثيرة لاسيما في الحديث الشريف[2].

وحسين بن محمد الورتلاني دخل مصر، وزار القاهرة فوجدها زاهرة بالعلم والعلماء وأخذ العلوم العالية، وذكر الشيوخ الذين أخذ عنهم العلوم وأجازوه، رغم أن رحلته هذه كانت حجازية، إلا أنه كان حريصا على توسيع معارفه أثناء إقامته بالحجاز ومصر، فسعى خلالها ليحضر الدروس في الأزهر الشريف عند أهم العلماء، فقد قرأ على الشيخ عمر الطحلاوي من أشهر المدرسين في الأزهر جمع بين المعقول والمنقول، سمع منه بعض الرسالة الوضعية وبعض التفسير. وسمع من الزياني الشافعي بعض المسائل من النحو، كما حضر دروس الشيخ سالم النفراوي، وقرأ عليه مدة مختصر السعد في حجته الأولى. وعرف عن النفراوي أنه كان عارف بالمنقول والمعقول، وقد أخذ عنه كل من كان في زمانه من الشافعية والمالكية وغيرهم[3].

تلقّى الورتلاني جل إجازاته أثناء رحلته الأخيرة، والتي كان فيها قد بلغ مبلغ كبار العلماء، وقد ذكر رحلته العلماء الذين أجازوه، منهم عبد الوهاب العفيفي، حيث قال عنه: "أخذنا عنه الطريق ورسم الحقيقة وأنه لقننا الأذكار، ووجدنا عليه العهد في الطريق الشاذلية المحضة وأجازني إجازة مطلقة في سائر العلوم العقلية والنقلية"[4]. وممن أجازه الشيخ علي الفيومي، وممن زاره وحضر مجلسه من المؤلفين والعلماء المحققين، والذي

---

1 – عادل نويهض، مرجع سابق، ص، ص39، 40.

2 – فوزية لزغم، مرجع سابق، ص317.

3 – حسين بن محمد الورتلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (المشهورة بالرحلة الورتلانية)، مطبعة بيير فونتان، الجزائر، 1908، ص، ص294، 295.

4 – نفسه، ص، ص288، 289.

اعتبر قبله للطلبة من كل أنحاء مصر لشهرة دروسه في الأزهر الشريف، الشيخ علي الصعيدي، وقد أجازه بخط يده في جميع العلوم، وقد حضر الورتلاني مجلسه في الفقه في مختصر خليل بشرح الشيخ الخرشي، وناقشه في بعض المسائل الفقهية. وقام بزيارة العلامة الشيخ المؤلف صاحب التصانيف المفيدة الشيخ الملوي وقد أجازني في سائل العلوم[1]. رغم المكانة العلمية التي وصل إليها الورتلاني، إلاّ أنه لم يذكر أنه أجاز هو بدوره لعلماء المشرق، كل ما ذكره أنه كلما حضر مجلس علمي إلاّ وناقش فيه كبار العلماء في كل العلوم[2].

وبعد رحلته رجع من المشرق بعد أن حصّل العلم وارتقى إلى منزلة العلماء فأفاد وألّف، حيث تصدّى للتدريس بزاوية جده بزواوة، فكان مقصد الطلبة والزوار من مختلف الجهات، أخذ عنه الفقيه السكلاوي، يحيى بن حمزة، محمد بن عبد الله[3].

تحدث أبو راس الناصري في رحلته إلى المشرق أنه لقي بها العلماء الكبار، أهل العلم والأدب، أين تمكّن من الأخذ عنهم أو إجازته لهم، نذكر أنه قرأ على شيخ الأزهر العلامة عبد الله الشافعي مذهب الإمام الشافعي، فأجازه ولقبه في إجازته له بـ "شيخ الإسلام"، وقبل عودته من رحلته الحجازية الأولى اتصل بالشيخ مرتضى الزبيدي الذي أجازه بسائر العلوم، وكان يروي عنه أوائل الصحيحين "البخاري ومسلم" و "رسالة القشيري" و "مختصر العين" و "مختصر الكنز الراقي" وأجازه بالباقي، ثم كتب له إجازة وبعضها "إني أجزت الفقيه العالم المتفنن الحافظ... ذاكرني في فوائد جمة وذكرني بمطالب مهمة"[4]، وعاد بعدها إلى الجزائر واشتهر بالتدريس.

ونذكر كذلك محمد بن العباس التلمساني (الحفيد) (1011هـ/1603م) أخذ عن الولي الصالح علي بن يحيى السلكسيني مختصر ابن الحاجب، ورسالة ابن أبي زيد، وألفية ابن مالك والحساب والفرائض[5]. ومحمد بن عبد الرحمن الأزهري (1133 – 1208هـ/1715 –

---

1 – الورتلاني، المرجع السابق، ص286.

2 – نفسه، ص، ص285، 286، 287، 305.

3 – عبد المنعم القاسمي الحسني، مرجع سابق، ص144.

4 – أبو راس الناصري، فتح الإله...، ص، ص116، 117.

5 – عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص314.

1793م)، لقب بالأزهري نسبة إلى الأزهر الشريف الذي جاوره مدة طويلة وهو من بلاد زواوة، تتلمذ على يد الشيخ الحسين بن آعراب الذي سبق له وأن تعلم بالأزهر الشريف وعاد بعلوم جمة وثقافة واسعة. فقد استقر محمد بن عبد الرحمن الأزهري في الأزهر الشريف وتلقى العلوم على أيدي علماء أجلاء منهم: الشيخ أحمد بن محمد بن أبي حامد العدوي المالكي الأزهري الشهير بـ "الدردير"، والشيخ علي بن أحمد الصعيدي العدوي، والشيخ علي الغمروسي، الشيخ محمد بن عبد الله بن أيوب المعروف بـ "المنور التلمساني"، تحصل العلوم الفقهية من هؤلاء الأعلام، ثم عاد إلى مسقط رأسه آيت إسماعيل بجرجرة وأسس زاوية وتفرغ للتعليم والتف حوله الطلبة فعلا صيته وذاعت شهرته[1]. ومنهم كذلك أبو العباس الجزائري (1202هـ/1788م)، عارف باللغة ولد في الصحراء الجزائرية، ودخل مصر صغيرًا فتفقه على الشيخ علي الصعيدي ولازمه[2]. ومحمد بن خليفة الجزائري (1094هـ/1683م)، فقيه مشارك في عدة علوم من أهل مدينة الجزائر، رحل إلى المشرق ودخل مصر فأخذ من علمائها، وعاد فتصدّى للتدريس فاشتهر وأخذ عنه العديد من الطلبة وأثنى عليه ابن زاكور[3].

ونذكر كذلك الحسن بن علي التلمساني (1060هـ/1650م)، رحل إلى المشرق وأخذ من علماء الحجاز ومصر وأجازه اللقاني، وعاد فتصدر للتدريس والإقراء وأخذ عنه جماعة من علماء وهران وندرومة وتلمسان[4]. وسليمان القشي ذكره ابن الفكون في كتابه منشور الهداية قال عنه أصله من نقاوس، قرأ القرآن والفقه والرسالة والمختصر على جده أبي محمد عبد الكريم، ثم رحل إلى مصر بقصد الحجاز، فتخلف بالجامع الأزهر فقرأ على شيخ عصره أبي النجات سالم السنهوري: المختصر والرسالة والألفية وألفية العراقي في مصطلح الحديث، وأقام بها مدة ثم رجع إلى قسنطينة واشتغل بالتدريس إلى أن توفي[5].

---

1 – عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص، ص315، 316، 317.

2 – عادل نويهض، مرجع سابق، ص214.

3 – نفسه، ص108.

4 – نفسه، ص68.

5 – عبد الكريم الفكون، مصدر سابق، ص60.

إن هذه العينة من العلماء الذين درسوا في مصر كان لهم تأثير على الحياة العلمية والثقافية فيها، فحسب عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، فإن طلبة العلم من المغاربة (ومن بينهم الجزائريين)، المتصدرين للتدريس بالأزهر والمدارس المصرية، اشتغلوا بكافة أنواع العلوم، المعقول منها ومارسوا مختلف الفنون الأدبية واللغوية، والعلوم الرياضية والفلكية. ويبدي الجبرني في تراجمه للعلماء المغاربة، خاصة أولئك الذين عاصرهم منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر، إعجابه الشديد بنبوغهم وتفوقهم العلمي في مجالات تخصصهم[1].

كما منحت لهؤلاء العلماء ألقاب تدل على الذكاء والنبوغ ومقدرتهم العلمية منها: الإمام، العلامة الفقهية، الباحث، الأديب، شيخ الشيوخ، صدر المدرسين، عمدة البلغاء والمتكلمين، العالم الهمام، فريد العصر، وغير ذلك من الألقاب. كما أن الفاحص للإجازات العلمية التي كان يمنحها علماء الأزهر لتلاميذهم المغاربة ليجد أن هذه الإجازات تفيض بالصفات والنعوت التي تدل على جد واجتهاد هؤلاء التلاميذ، وإظهارهم جوانب النبوغ في مختلف فروع العلوم العقلية والنقلية، كما تدل على جدارتهم وكفاءتهم لحمل هذه الأجازات، حتى أن كثيرا من كبار العلماء المصريين أباحوا لتلاميذهم المغاربة كما سبقت الإشارة التصدي للتدريس في حياتهم[2].

وهناك من استقر في مصر مدى حياته، ومنهم من استقر فيها مدة يتعلم ويعلم بها، ثم يرحل منها إلى بلاد المغرب أو بلاد احجاز أو الشام، حيث يعملون وينشرون ثقافة العروبة والإسلام، حتى أصبحوا بمثابة رسل ثقافة وتعليم في ذلك العصر. هكذا كان تأثيرهم الثقافي في تاريخ مصر الفكري أخذًا وعطاءً، تأثرًا وتأثيرًا، اعتزازًا بالارتباط التعليمي والثقافي مع المجتمع المصري، الذي أعجب بهم ورضى عنهم، وقبلهم ضمن أسرته الثقافية والتعليمية[3].

كما عرف عن العلماء المغاربة أنهم وضعوا مؤلفاتهم في تلك البلدان (المشرق) في مختلف فروع العلوم والفنون التي تعلموها، وشملت المعقول والمنقول من العلوم الشرعية

---

1 – عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مرجع سابق، ص107.

2 – نفسه، ص107.

3 – نفسه، ص109.

واللغوية، كما شملت فنون الأدب شعرًا ونثرًا، بالإضافة إلى التأليف في علوم الرياضيات والنبات والحيوان والتاريخ والاجتماع وكتب الحكمة وغير ذلك[1]. فقد عرف عن المقري أنه كان يعكف في رواق المغاربة على الكتابة والتأليف، وكان هذا الرواق ولا يزال يضم مكتبة حافلة بالكتب القيمة بلغ عددها ثمانية آلاف مجلد، من بينها عدد من نفائس المخطوطات أضاف عليها المقري حواشي وتعليقات كثيرة وشروحا إضافية[2].

وقد استطاع المقري في أثناء إقامته في مصر واشتغاله بالتدريس في الأزهر أن يثري المكتبة التاريخية العربية بسفريه الخالدين "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب" و "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض". أما الكتاب الأول فهو أقرب منه إلى الموسوعة منه إلى الكتاب، سواء من ناحية حجمه أو من ناحية مادته العلمية حول تاريخ وجغرافية بلاد الأندلس، وهو أقيم المصادر العربية عن تاريخ الأندلس والأدب الأندلسي. وإلى جانب هذين الكتابين وضع المقري عدة كتب أخرى ألف معظمها في القاهرة، وهي عبارة عن رسائل دينية وأدبية[3]. وقد اشتهرت أرجوزته في العقائد المسماة بإضاءة الدجنة بعقائد أهل السنة، وقد كتب من هذه العقيدة بالحرمين واليمن ومصر والشام أكثر من ألفي نسخة، ودرسها بمكة وبيت المقدس، ودمشق ومصر والإسكندرية ورشيد وغزة[4].

كما عرف عن يحيى الشاوي أثناء إقامته في مصر أنه صرف أوقاته في التأليف، وله مؤلفات عديدة في الفقه وغيرها، منها حاشية على شرح أم البراهين للسنوسي نحو عشرين كراسا، ونظم لامية في إعراب الجلالة، وله مؤلف صغير في أصول النحو، وله شرح التّسهيل لابن مالك وحاشية شرح المرادي[5].

اجتهد الشيخ عيسى الثعالبي في مصر على دراسة الحديث النبوي، فأخذه رواية ودراية على كبار محدثي ومسندي المشرق، ولكنه لم يكتف بذلك، بل تتبع الخزائن الكبار

1 – عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المرجع السابق، ص108.

2 – عبد العزيز محمد الشناوي، مرجع سابق، ص210.

3 – نفسه، ص210.

4 – فوزية لزغم، مرجع سابق، ص، ص280، 281.

5 – المحبي، ج4، مصدر سابق، ص488.

بمصر والحجاز، فاستخرج منها غرائب المصنفات، وقيد الكثير منها الثنائيات والثلاثيات والرباعيات من الأحاديث، وما فوق ذلك من العشاريات من كثير من المصنفات والجوامع والمساند والأجزاء. وألف عدد من الفهارس أهمها كنز الرواية المجموع في درر المجاز وبواقيت المسموع، الذي رتبه على أسماء شيوخه. يبدأ أولا بالتعريف بالشيخ، وذكر مؤلفاته ومقروءاته، وأسماء شيوخه حتى يستوفي جميع ذلك، ثم يذكر مقروءاته هو عليه، وما قرأه عليه من المؤلفات، ثم يذكر سند شيخه إلى ذلك المؤلف[1]. وقال عنه المحبي في كتابه "خلاصة الأثر"، له مؤلفات منها مقاليد الأسانيد ذكر فيه شيوخه المالكيين، وأسما رواة الإمام أبي حنيفة، وفهرست البابلي[2].

وقد امتد نشاط هؤلاء العلماء المغاربة من التأليف إلى النسخ، والاقتناء لمؤلفات الآخرين للاستفادة منها والعكوف على دراستها، وأكبر دليل على هذا النشاط في مجال نسخ المؤلفات، فإن كثير من المؤلفات التي وجدت في مكتبات مصر في تلك الفترة، نسخت عن طريق علماء مغاربة أو نساخ محترفين من المغاربة. حيث وجد خلال العصر العثماني نساخ محترفون ينسخون الكتب قصد بيعها والاتجار فيها، وهذا دليل على اهتمام المغاربة بالحياة العلمية والثقافية. وعن هذا الطريق أخذ الكثير من المؤلفات سبيله إلى بلاد المغرب العربي[3].

فقد حرص علماء الجزائر أثناء رحلتهم الحجازية أو العلمية على زيارة علماء المشرق وحضور حلقات التدريس والاطلاع على تآليفهم ونسخها إن أمكن. فمثلا الورتلاني في رحلته ونزوله في مصر زار العلامة الشيخ المؤلف ذا التصانيف المفيدة والتآليف العديدة الشيخ الملوي، واطلع على تصانيفه الشرحان الكبير والصغير على السلم. والشرحان أيضا الكبير والصغير على رسالة السمرقندي في الإشعارات. وصرح "أن كلاهما عندنا"، أي أنه يملك نسخة منها[4]. وكذلك محمد بن يحيى المعروف بالمذبوحي من علماء مدينة الجزائر خلال القرن (11هـ/17م) تعلم بمصر، وهو أول من أدخل كتاب

1 – فوزية لزغم، مرجع سابق، ص، ص297، 298.

2 – المحبي، ج3، مصدر سابق، ص243.

3 – عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مرجع سابق، ص108.

4 – الورتلاني، مصدر سابق، ص286.

"جوهرة التوحيد" منظومة في العقائد لأبي الإمداد برهان الدين اللقاني المصري، وأدخلها كذلك إلى المغرب الأقصى[1].

2 – علماء الجزائر في مكة المكرمة والمدينة المنورة:

كانت مكة المكرمة والمدينة المنورة مركزين مهمين من مراكز العلم في الدولة الإسلامية، وكثر الوافدون على مكة بالخصوص بعد الفتح العثماني لها، ودب النشاط في الحركة العلمية بها، نتيجة ازدياد عدد العلماء الذين طاب لهم مجاورة بيت الله الحرام، ومما أسهم في تنشيط الحياة الفكرية بها تشييد العثمانيون للعديد من المدارس من أهمها: مدرسة الأشرف قايتباي، ومدرسة الوزير محمد باشا، والمدرسة المرادية التي أسسها السلطان مراد الثالث (982 – 1003هـ)، ومدارس السلطان سليمان (972هـ/1564م)، بإنشاء أربع مدارس في الجهة الجنوبية للمسجد الحرام يدرس في كل واحدة منها أحد المذاهب الفقهية الأربعة وأوقف عليها أوقافا، وحدد الرواتب التي تدفع للطلاب والمدرسين وأصبحت تدرس الحديث الشريف بالصحاح الست، وقد صارت المدرسة المالكية السليمانية أرقى المدارس الأربع[2].

وكان المسجد الحرام أهم المراكز العلمية والتعليمية في الحرمين الشريفين، لتعدد حلقات الدروس به، والتي كان يعقدها مشايخ من أجلة علماء الحرم، وآخرين وافدين عليه من مختلف مناطق العالم الإسلامي للحج والمجاورة[3].

وقد جاور الحرم المكي عدد من العلماء الجزائريين، بينما لم تسمح الظروف لآخرين بالمجاورة كالشيخ أحمد المقري الذي اكتفى بأداء فريضة الحج[4]. وكان يجتهد الحجاج من العلماء في أن لا يفوتهم الاتصال بالعلماء هناك والأخذ عنهم، وكانت موسم الحج تعج بالعلماء من مختلف البلاد الإسلامية، وكأنها مؤتمر عالمي للفكر الإسلامي، ونفس الشيء يقال عن القاهرة التي كانت محط رجال الحجاج المغاربة[5]. ومن أهم

---

1 – عادل نويهض، مرجع سابق، ص289.

2 – فوزية لزغم، مرجع سابق، ص268.

3 – نفسه، ص، ص268، 269.

4 – نفسه، ص272.

5 – نفسه، ص273.

العلماء الجزائريين الذين درسوا بها المقري أثناء زيارته لها درس بمكة وبالمدينة المنورة الذي درس الحديث الشريف في مسجدها[1].

وكان المقري كثير التردد على الحرمين الشريفين، فقد اتصل بحكامه، وبأعيان العلماء به، وربط معهم علاقات ودية، ومن هؤلاء الشيوخ الذين عقد معهم صداقة متينة الشيخ عبد الرحمن المرشدي الحنفي المكي، تعطى الفتوى على مذهب أبي حنيفة، وباشر إمامة المسجد الحرام وخطابته سنة 1020هـ. وكان المقري يحضر بعض دروسه في الحديث، كما أجاز المقري بمكة نثرا لخطيب الحرم الشيخ تاج الدين المالكي المكي، بمؤلفاته ومروياته بعد أن قرأ عليه بعض المتون منها صدرا من الموطأ[2].

ومن علماء الجزائر الذين نزلوا بالحرم المكي ونالوا شهرة ومكانة علمية، حيث استفادوا وأفادوا منهم الشيخ أبو مهدي عيسى الثعالبي، الذي استقر بمكة المكرمة إلى أن توفي بها سنة 1080هـ/1669م، فدامت مدة إقامته بالمشرق حوالي تسعة عشرة عاما. وفي السنوات الأولى لإقامته بالمشرق أخذ الثعالبي الدروس عن أجلة مشايخ الحرم فأجازوه، كالقاضي تاج الدين المالكي والإمام زين العابدين الزمزمي والشيخ علي بن جمال المكيين وأجازوه بمروياتهم، ولازم بها خاتمة المحدثين الشمس البابلي وخرج له فهرس بمقروءاته، واشتغل بالتدريس في المسجد الحرام في فنون كثيرة، ولقد انتفع بها جماعة من العلماء الكبار منهم الأستاذ الكبير إبراهيم بن حسن الكوراني، والشيخ الحسن بن علي العجيمي والشيخ أحمد بن محمد النخلي، وأحمد بن أبي بكر شيخان وعبد الله الطاهر العباسي. ولقد اكتسب عيسى الثعالبي مكانة علمية كبيرة، حيث كان يصفه علماء الحرم بـ "زروق زمانه"، وقيل عنه كذلك "من أراد أن ينظر إلى شخص لا يشك في ولايته فلينظر إليه" أي عيسى الثعالبي، وهذا دليل على تمكنه في العلوم التي كان يدرسها[3].

ورغم اشتهاره بالتبحر في الحديث الشريف، فقد كان مُلِمًّا بالعلوم الأخرى، وهذا ما ذكره العياشي قائلا بأنه كان: "كامل الأدوات من نحو وتصريف، ومنطق وكلام، وبيان

---

1 – فوزية لزغم، مرجع سابق، ص279.

2 – نفسه، ص، ص283، 284.

3 – المحبي، ج3، مصدر سابق، ص، ص240، 241، 242.

وأصول. ولهذا شهدت حلقاته إقبالاً كبيرًا من طرف أهل الحرم، فكان يحضر مجلسه فيه أغالب النجباء من متفقهي أهل مكة[1]. وأجاز الثعالبي أيضا الشيخ إبراهيم بن حامد القاكي بحديث الرحمة المسلسل بالأولوية والضيافة، المصافحة والمشابكة وتلقين الذكر وغير ذلك. كما أجاز محمد أمين المحبي صاحب كتاب "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر"[2]. ولم تقتصر الرحلة العلمية على الرجال، فكان هناك إحدى بنات حواء اللائي نبغن في علم الحديث، وهي أم الحياء البسكرية صفية بنت محمد، فقد رحال والدها إلى المدينة المنورة، واستقر هناك مع عائلته، وكانت هي لا تزال في سن الطلب، فأكملت تعليمها هناك على يد أكابر العلماء وأجازوها، ثم جلست للتدريس بالمدينة[3].

3 – علماء الجزائر في بلاد الشام:

مدينة دمشق اشتهرت بجامعها الأموي، الذي تعددت به حلقات التدريس، كما وجد بها عدد كبير من المدارس في مطلع القرن العاشر الهجري، وعددها 159 مدرسة، بعضها مخصص لتدريس القرآن الكريم، والآخر للحديث الشريف، وبعضها للمذاهب الفقهية وغيرها من العلوم. ووجد بالمشرق العديد من المدارس والزوايا والمساجد التي قامت بمهمة التعليم، غير أنها لم ترق إلى مستوى المراكز العلمية التي حفلت بها الحواضر الثلاثة السالفة الذكر، فبعضها كان بيت المقدس ونابلس وحلب[4].

ولقد كانت بلاد الشام من أهل المناطق التي قصدها علماء الجزائر خلال رحلاتهم الحجازية والعلمية، فكانت محطة يقصدها الطلاب والعلماء للاستفادة والحصول على الإجازة من علمائها، أو الإفادة من خلال تقديم دروس في مساجدها ومدارسها. من بينهم المقري الذي درس بالمسجد الأقصى أثناء زياراته له وبالجامع الأموي بدمشق. ولقد زار المقري دمشق مرتين في شعبان سنة 1037هـ/1627م والثانية في شهر رمضان سنة 1040هـ[5]، وفيها أقام بالمدرسة الجقمقية ولقيت دروسه في الجامع الأموي إقبالاً كبيرًا،

1 – فوزية لزغم، مرجع سابق، ص، ص298، 299.

2 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، مرجع سابق، ص، ص56، 57.

3 – فوزية لزغم، المرجع السابق، ص319.

4 – نفسه، ص269.

5 – نفسه، ص، ص279، 284.

حيث قال عنه المحبي أنه لقي إقبالا كبيرًا من طرف الطلبة والعلماء لم يلقاه أحد من العلماء القادمين إلى دمشق، ودرس فيها عدة علوم وأملى صحيح البخاري[1].

ولما كثر عدد المقبلين على حلقات الدروس التي كان يقدمها بالجامع الأموي خرج إلى صحن الجامع، وفي يوم ختم القرآن ليلة 27 من رمضان، بلغ عدد الناس الآلاف، فنقلت حلقة الدرس إلى الصحن، وأُتِيَ بكرسي الوعظ، فصعد عليه وتكلم بكلام في العقائد والحديث الشريف، وترجم للبخاري. وكانت الجلسة من طلوع الشمس إلى قرب الظهر، ثم ختم الدرس، ونزل عن الكرسي، فازدحم الناس على تقبيل يده، أما الطلبة فقد حضر العديد منهم ولم يتخلف أحد. ولما رأى من أهلها الاهتمام قام بمدح دمشق في أبيات شعرية في كتابه "نفح الطيب"[2]. ومن جملة تلامذته الذين درسوا عليه الحديث في الجامع الأموي الأديب يحيى المحاسني فأجازه[3]. كما درس عنده أبناء مفتي الحنفية بدمشق عبد الرحمن العمادي، حيث أخذ ابنه إبراهيم الحديث عن الشهب الثلاثة النيرة أحمد العيشاوي الشافعي وأحمد الوفائي الحنبلي وأحمد المقري المالكي[4]. وهذا دليل على أنه بلغ منزلة أهم علماء المشرق، كما أخذ عنه كذلك شهاب الدين بن عبد الرحمن بن محمد العمادي الدمشقي الحنفي[5].

كما لازمه نقيب الشام محمد بن كمال الدين الحنفي وحضر دروسه في "شرح الهمزية لابن حجر" وفي "إضاءة الدجنة"، وقرأ عليه بعضا من صحيح البخاري ومن صحيح مسلم، ومن "الأربعين النووية" فأجازه. وحضر الأديب الدمشقي أحمد بن شاهين هو الآخر دروس المقري بالجامع الأموي في عقيدته "إضاءة الدجنة"، ثم سأله أن يجيزه فيها وفي غيرها فنظم له إجازة في الحديث عن فضل علم التوحيد (أصول الدين)، ثم ذكر المقري أنه درس الكتاب المذكور بمصر ومكة والشام[6].

---

1 – المحبي، ج1، مصدر سابق، ص305.

2 – نفسه، ج1، ص، ص304، 305، 306.

3 – المحبي، ج4، مصدر سابق، ص463.

4 – المحبي، ج1، المصدر السابق، ص23.

5 – المحبي، ج2، مصدر سابق، ص232.

6 – فوزية لزغم، مرجع سابق، ص، ص289، 290.

وروى عنه الشيخ محمد بن علي بن عمر القاري[1] بعضا من صحيح البخاري، ثم سأله الإجازة، فأجابه إلى ما طلب بإجازة نظمية في اثنين وأربعين بيتا، أباح له فيها رواية مروياته منها: صحيح البخاري، وكل ما ألفه في الفنون[2]، كما أخذ عنه العلم وأجازه بجميع مؤلفاته ومروياته[3] محمد ميرزا بن محمد المعروف بالسروجي[4].

وقد زار الشيخ يحيى الشاوي الشام عدة مرات، من ذلك نزوله بها في غرة ربيع الآخر سنة 1089هـ واجتمع في هذه المرة علماؤها وشهدوا له بالفضل التام، وتلقوه بما يحب، ومدحه شعراؤها، واستجاز منه نبلاؤها. فكان يعقد دروسا في الألفية بكرة النهار في منزله، وعقد دروسا أيضا في الجامع الأموي، وألقة دروسا بعد الظهر في الحكم، ودروسا بعد العصر في "التسهيل" ودروسا بعد المغرب في عقيدة السنوسي[5].

ونذكر كذلك محمد القسنطيني أبو عبد الله الشهير بابن قنفد (1015هـ/1606م)، باحث، له علم في التاريخ من أهل قسنطينة، رحل إلى المشرق وأقام مدة في دمشق، ألف خلالها كتابه "إدريسية النسب في القرى والأمصار وبلاد العرب"[6].

إن دوام الاتصال وتبادل الأفكار بين الجزائر ومعاهد العالم الإسلامي، نتج عنه حركية المعارف وكثرة تنقل العلماء في الأقطار الإسلامية مشرقًا ومغربًا لإثراء معارفهم وتوسيع آفاقهم العلمية أو المعرفية، بالإضافة إلى أخلاقيات العلم التي تقتضي أخذه حيث وجد ونشره. فكان العلماء الجزائريون يلازمون مشاهير العلماء في الحواضر العربية التي صنفت معاهدها ومساجدها بمثابة جامعات يدرس فيها أشهر العلماء وتقام فيها حلقات

---

1 – محمد بن علي بن عمر الملقب شمس الدين العلي القدسي الدمشقي، الفقيه الحنفي، العالم الصوفي، درس في مصر، كان قطب وقته عمّر كثيرا، قيل أنه جاوز المائة، توفي سنة 1061هـ. انظر: المحبي، ج4، مصدر سابق، ص، ص43، 44، 55.

2 – فوزية لزغم، مرجع سابق، ص291.

3 – المحبي، ج4، ص202.

4 – محمد ميرزا بن محمد المعروف بالسروجي كان تقيا ورعا زاهدا في الدنيا، ملازما للعبادة والذكر، كثير المطالعة للكتب، محققا لكتب الحقائق، أقام بمكة سنين وتوفي بها سنة 1088هـ/1677م ودفن بالمعلاة. انظر: المحبي، ج4، ص203.

5 – فوزية لزغم، المرجع السابق، ص312.

6 – عادل نويهض، مرجع سابق، ص270.

الدروس لأهم العلوم العقلية والنقلية مثل الأزهر الشريف، المسجد الأموي، الحرم المكي. وبعد التحصيل ونيل الإجازات، يعود بعضهم إلى بلدهم لنشر علمهم ومعارفهم، وهناك من فضل البقاء وتقلد مناصب عليا في الدولة مثل التدريس والإفتاء والقضاء وغيرها.

ولقد تحصل العلماء الجزائريون على إجازات، هذه الشهادة العلمية تجيز لهم أن يدرّسوا العلوم والمعارف التي أخذوها عن شيوخهم. وهناك من تخصص في عدة علوم كما سبق الإشارة إليه، وأصبحت الدروس التي تقدم في مساجد ومدارس الجزائر، ترقى إلى مستوى الدروس التي كانت تقدم في أهم معاهد المشرق الإسلامي، على اعتبار أن الشيوخ الذين يقدمونها لقوا إجازات علمية من علمائها، وانتفعت بذلك المدارس والزوايا والمساجد من دروس أكابر العلماء وتفتحت بواسطتهم أفكار المجتمع على مختلف العلوم.

المبحث الثاني: علماء الجزائر في المغرب الأقصى

ارتبط علماء الجزائر بصلات ثقافية وثيقة بأقرانهم في المغرب الأقصى وتونس، فكانت هناك رحلات بين الجزائر وجيرانها تتمثل في رحلات علمية طلبا للعلم وبحثا عن الاستقرار، والظروف الملائمة للإنتاج الفكري. وكان لهذه الرحلات نتائج إيجابية على الحياة التعلمية والفكرية في الجزائر خلال العهد العثماني، حيث كانت هناك دروس ومناظرات بين علمائها تبادلوا فيها الفتوى في المسائل الفقهية، واستجازوا وأجازوا بعضهم البعض.

أحدثت هذه الهجرات المتلاحقة تغييرات مهمة سواء في الهيئة التعليمية بالمغرب أو في المواد المدروسة وأساليب التعليم، ولم يستأثر هؤلاء الوافدون باهتمام الطلبة والمتعلمين فحسب، بل جلبوا إليهم أنظار زملائهم في التدريس، وأرباب السلطة من ملوك وأمراء وكبار رجال الدولة، فدرسوا في القصر والمسجد والمدرسة، وعكف بعضهم عن تعليم مواد فلسفية ورياضية انتشرت عنهم في المغرب، بعد أن كان حظها ضعيفا، بينما استقر آخرون منهم في مناطق بربرية استهووا أفئدة طلبتها وعامتها بفصاحة عباراتهم وغزارة مادتهم ونشروا فيهم اللسان العربي المبين[1].

1 – النشاط التعليمي لعلماء الجزائر في المغرب الأقصى:

شيد في فاس منذ أيامها الأولى جامع القرويين الذي هو أهم جامعة وأقدمها، وفيه كان العلماء منذ حوالي ألف سنة يعكفون على المباحثة الدينية والمناظرات الفلسفية، وكان المثقفون يدرسون التاريخ والعلوم والطب والرياضيات[2]. إذ اعتبرها أحد الباحثين الأوروبيين أقدم مدرسة كلية في العالم أنشئت لا في أوروبا كما يظن البعض، بل في إفريقية في مدينة فاس عاصمة بلاد المغرب سابقا، إذ قد تحقق بالشواهد التاريخية أن هذه المدرسة كانت تدعى (كلية القيروان)، وقد أسست في الجيل التاسع للميلاد، وعليه فهي ليست فقط أقدم كليات العالم، بل هي الكلية الوحيدة التي كانت يتلقى فيها الطلبة العلوم

---

1 – محمد حجي، جولات تاريخية، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص255.

2 – عبد الهادي الباري، جامع القرويين، المسجد الجامعة بمدينة فاس، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت (بدون تاريخ النشر).

السامية في تلك الأزمنة باللغة العربية ويقصدها الطلبة من طرابلس، وتونس ومصر والأندلس وغيرهم.

ولقد كثرت مراكز العلم بمدينة فاس، وكان في استطاعة العلماء أن يلقنوا دروسهم هنا وهناك، وكانت العادة المتبعة أن لا ينتصب للتدريس بالقرويين إلا من انتهت إليه المهارة والكفاية في العلم والسلوك، والطالب الذي يريد الدراسة فيه لا يمكنه أن يحضر مجالسها، ولا أن يستفيد من مشايخها إلا بعد أن يكون على سابق معرفة بعدد من الفنون الأولية التي تمكنه من الارتفاع إلى مستوى الطلاب الجديرين بهذا الوصف.

كما اشتهر المغرب الأقصى بعدد كبير من الزوايا، منها الزاوية الناصرية في درعة[1]، والزاوية العياشية في الأطلس الكبير[2]، والزاوية الدلائية[3] بتادلا في الأطلس الكبير، وتعد هذه الأخيرة أهمها لأنها اشتهرت بإيواء الطلبة ونشر العلم، وكان بها مكتبة كبرى قيل أنها أشبهت مكتبة الحكم المستنصر بالأندلس، وبلغت أوج عظمتها أواسط القرن الحادي عشر هجري (17م)، فأصبحت مساجدها ومدارسها ومكتباتها تضاهي ما كان اللعهد به في فاس ومراكش[4].

المدن العلمية والمراكز القروية المشهورة في المغرب الأقصى التي استقر فيها التعليم، وتعدد فيها العلماء المشتغلون بالتدريس، وكانت مهبط العلماء من المغرب والمشرق. فمدينة فاس تفردت بالزعامة العلمية، تليها مدينة مراكش وترودانت، هذه الحواضر الثلاث كانت مدن علمية، ومركز إشعاع علمي وثقافي، ولشهرتها قصدها العلماء وطلاب العلم[5].

---

1 – أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية...، مصدر سابق، ص30.

2 – زاوية آيت عياش أو زاوية سيدي حمزة كما تسمى اليوم تقع في حدود جبل العياشي وسط سلسلة جبال الأطلس، أسسها أوائل القرن الحادي عشر هجري (17م) محمد بن أبي بكر العياشي. انظر: محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج2، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة فضالة، 1978، ص508.

3 – هناك زاويتان دلائيتان، أسس الأولى أبو بكر محمد الدلائي 974هـ/1566م في مرتفعات جبال الأطلس، وشيد الثانية حفيده السلطان محمد الحاج الدلائي عام 1048هـ/1638م ببن خنيفرة وقصبة تادلا. انظر: محمد حجي، نفسه، ص499.

4 – نفسه، ص، ص499، 500.

5 – نفسه، ص، ص340، 375، 378، 405.

أهم مراكز العلم بفاس هناك جامع القرويين، جامع الأندلس، مدرسة العطارين، المدرسة المصباحية ومدرسة الحلفاوين، وفي جامع فاس وحده كان خمسة عشر كرسيا للتدريس، يسهر على القيام بكل كرسي منها عالم من العلماء الأجلّاء، تعددت اختصاصاتهم(1). لذلك كان هذا الجو العلمي الذي كان يعرفه المغرب الأقصى عامل جذب لطلبة العلم الجزائريين، الذين وجدوا فيها المناخ الملائم للإنتاج الفكري وتحصيل العلم في مدارسها ومساجدها، فكان المغرب قبلة علماء الجزائر، ودخلها علماء كثيرون من تلمسان، وهران، مدينة الجزائر، قسنطينة وعنابة. وأغلبهم من تلمسان ووهران بسبب الاضطرابات الكثيرة في هذه المنطقة التي ظل يتنافس عليها طوال النصف الأول من القرن العاشر الهجري كل من الإسبانيين والأتراك والزيانيين، وكانت الهجرة الكبرى من تلمسان عام 961هـ/1554م، وسقوط دولة بني زيان(2). ولقي علماء تلمسان تقدير سلاطين المغرب الأقصى، وتولوا المناصب العلمية الرفيعة، كما عقدوا حلقات دروس أقبل عليها المغاربة فقرؤوا عليهم واستجازوهم(3).

ولقد اشتهر علماء الجزائر في المغرب الأقصى بعلمهم وتمكنهم في عدة علوم، لذلك حضي البعض منهم على كرسي للتدريس في مساجد المغرب نذكر منهم:

- أحمد بن محمد بن حيدة الوهراني (ت955هـ/1548م)، تولى كرسي ابن غازي الحديثي في القرويين، ودرس أيضا الفقه والعقائد لكبار الطلبة(4).
- علي بن عيسى الراشدي (ت 961هـ/1554م)، من جبل بني راشد جنوبي تلمسان، جاء إلى فاس عام 911هـ/1506م وهو لا يتجاوز العشرين سنة، فكان يحضر مجالس كبار علماء المدينة الإدريسية كالهبطي والدقون، ويلقي دروسا في مبادئ النحو والقراءات قبل أن ترسخ قدمه ويسند إليه كرسي القرآن والسيرة النبوية بمسجد الشرفاء(5).

---

1 – عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، ط3، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، 2006، ص، ص308، 309.

2 – محمد حجي، الحركة الفكرية...، مرجع سابق، ص355.

3 – فوزية لزغم، مرجع سابق، ص176.

4 – محمد حجي، المرجع السابق، ص356.

5 – نفسه.

• محمد بن عبد الرحمن ابن جلال التلمساني (ت 981هـ/1574م)، نال حظوة كبرى عند السعديين، فولوه خطط الفتوى والإمامة والخطابة[1]، وتولى التدريس وكان يحطب في جامع الأندلس وجامع القرويين، وطالت مدة إقامته في فاس وانتفع الناس به[2].

• محمد شقرون بن هيبة الوجديجي التلمساني، مفتي مراكش، كان فقيها علامة مشاركا في الفرائض والحساب والبيان والمنطق[3]، قدم إلى فاس سنة 967هـ/1559م، فكانت مدة إقامته بها حوالي ست عشرة سنة، وقلده السلطان الغالب بالله الفتوى، ورياسة العلم بحضرة مراكش، فجعل له كرسيا للدرس في مشور قصره، كان يحضره السلطان وسائر الأمراء، وكان يتنقل بين فاس ومراكش ويفتي الناس بهما[4]. ودرس الإمام شقرون خارج القصر مختصر ابن الحاجب الفرعي، والأصلين، والبلاغة والمنطق والفرائض والحساب، فأخذ الطلبة بذلاقة لسانه وسلالة عباراته ومتانة مادته[5]. ومن تلمسان محمد الحاج المري الذي ولاه المنصور الإفتاء والتدريس في مراكش، فعطف على إفادة الطلبة في العلوم الدينية والفقهية بالخصوص، وتخرج على يده نخبة من أبناء الوزراء والكتاب وغيرهم، كمحمد بن عبد العزيز الفشتالي[6].

واختص أحمد الونشريسي بتدريس الفقه وأصوله، وأخذ هو أيضا يعلم فور مجيئه من تلمسان في المسجد المعلق بالشراطين قبل أن تسند إليه الكراسي الوقفية في أهم مساجد ومدارس فاس، وكان ابن غازي يعترف للونشريسي بالتفوق في الفقهيات، وقد مر به يومًا في مجلسه بالقرويين[7]، فقال ابن غازي لمن حوله من الفقهاء: "لو أن رجلاً حلف بطلاق زوجته أن أبا العباس الونشريسي أحاط بذهب مالك، أصوله وفروعه لكان بارا في

---

1 – محمد حجي، الحركة الفكرية...، مرجع سابق، ص357.

2 – محمد بن عسكر الشفساوي، دوحة الناسر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق: محمد حجي، ط2، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977، ص123.

3 – أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهدامة، ط2، منشورات دار الكاتب، طرابلس، 2000، ص82.

4 – محمد بن عسكر الشفساوي، المصدر السابق، ص، ص116، 117.

5 – محمد حجي، جولات تاريخية...، مرجع سابق، ص261.

6 – نفسه، ص262.

7 – نفسه، ص، ص265، 266.

يمينه"[1]. ونالت دروس أحمد بن بوجمعة شقرون الوهراني إقبالاً عظيما في فاس، وعجب الناس من سعة علمه، كما كان سلس العبارة قوي الذاكرة والاستحضار، أسهم إلى جانب الإمامين المتقدمين في نشر العلم بفاس، وكثر الآخذون عنه في مختلف العلوم الدينية واللسانية، كما اشتغل بتدريس الفقه في فاس[2].

• عبد الواحد الونشريسي، كان يظهر عليه في حياة والده شبه فتور في التحصيل، غير أنه قام مقامه بعد موته فأجاد وأفاد، واسندت إليه الكراسي العلمية التي كانت لأبيه فتوسع في التدريس ولم يقتصر على الفقه، بل عنى أيضًا بالتفسير والحديث وقواعد اللغة والأدب. وكان عظيم النشاط دؤوبا على الدرس، يتنقل من القرويين إلى مسجد العقبة الزرقاء، إلى المدرسة المصباحية[3].

• أحمد بن جيدة الوهراني تلميذ الإمام السنوسي صاحب العقائد الشهيرة، التزم عندما حل بفاس تدريس الإلهيات وبالأخص كتب أستاذه السنوسي، ثم أسند إليه كرسي ابن غازي في القرويين. ومحمد بن جلال التلمساني المبرز في العلوم الدينية والأدبية، نال حظوة كبرى عند السعديين فولوه خطط الفتوى والإمامة والخطابة والتدريس بجامع القرويين، درس كذلك بالجامع الكبير بتارودانت فأخذ عنه فقهاؤها[4].

• بن عيسى الراشدي التلمساني أستاذ القراءات وقواعد اللغة والأدب، استهل عمله في فاس بتدريس الكراريس، وهي المنظومات الأولية المتعلقة بضبط القرآن ورسمه وتجويده، ثم أسند إليه كرسي الشاطبية الكبرى بمسجد الشرفاء (الذي سبق ذكره)[5].

• أحمد بن أحمد العبادي التلمساني، من فحول العلماء غزير العلم، لقي المشايخ وأخذ عنهم، قدم من تلمسان مع جملة من الفقهاء، رحلهم السلطان الغالب حين وقعت الفتنة بينهم وبين الأتراك فنقلهم إلى فاس، اشتغل بالتدريس، والتف حوله الطلبة، ثم انتقل إلى مراكش ومنها رجع إلى تلمسان، واستقر أخيرًا بمليانة[6].

---

1 – محمد بن عسكر الشفساوي، مصدر سابق، ص47.

2 – محمد حجي، جولات تاريخية...، مرجع سابق، ص261.

3 – نفسه، ص267.

4 – نفسه، ص، ص269، 270.

5 – نفسه، ص270.

6 – محمد بن عسكر الشفساوي، المصدر السابق، ص118.

• محمد بن الوقاد من علماء تلمسان انتقل إلى تارودانت، وتولى التدريس والفتوى والإمامة والخطبة بالجامع الكبير، وكان على جانب كبير من الفصاحة وحسن التعبير، فبهر السنوسيين بذلاقة لسانه وسعة معارفه، لاسيما الطلبة ورجال العلم منهم، وظلوا يستمعون إليه ردحًا من الزمن على كرسي التدريس وعلى المنبر أيام الجمع والأعياد، فأثر فيهم أيما تأثير وانطلقت ألسنتهم وتهذبت عبارتهم. ولم تقتصر دروس ابن الوقاد على قواعد اللغة والفقه، بل شملت التفسير والحديث والأدب[1].

• أحمد بن محمد بن أحمد المقري التلمساني، كان أعجوبة الزمان في القدرة على الكتابة المسجعة المنمقة وقرض الشعر، كما كان فقيها محدثًا أقام مدة في الزاوية الدلائية يدرس الحديث على محمد بن أبي بكر الدلائي. وبقي المقري يراسل أستاذه من المشرق ويبعث له نسخ مما يؤلفه هناك من الكتب[2]. وعرف عن المقري أنه ترك أسرة ومكتبة في مدينة فاس. كما أن هذا الأخير عندما زار المغرب أواخر عهد المنصور وألف رحلته روضة الأنس، ثم رجع إليه مرة ثانية بعد وفاة المنصور وأقام في فاس نحو اربعة عشرة سنة (1013 – 1027هـ/1604 – 1617م)، اشتغل فيها بالإمامة والخطابة والتدريس بالقرويين. فقد عرف عن الجلسات العلمية التي كان يقيمها مع أبو القاسم أبى النعيم أنها كانت تنفرد بطريقتها في التدرس، حيث كان يعقدان مجلسًا موحدًا عظيمًا يحضره نبهاء الطلبة وعلماء المدينة وعامتها، وتحمل إليه كثير من المراجع المهمة المختارة من خزانة الجامعة، فيتناوب الشيخان في التقرير بينما يشارك الحاضرون في القراءة والتعليق والمقارنة[3].

• محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني، مفتي فاس وخطيب جامعها الأعظم، وعميد علمائها، رحل إلى فاس وقلده السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ الشريف الفتوة بها والتدريس، وخطب بجامع الأندلس ثمان سنوات، ثم بجامع القرويين ثلاث عشرة سنة، وتنافس الناس في الاقتباس من علومه، فكان متخصصا في المنطق والعقائد والبيان والفقه والحديث والتفسير[4].

---

1 – محمد حجي، جولات تاريخية...، مرجع سابق، ص276.

2 – محمد حجي، الزاوية الدلائية، دورها الديني والعلمي والسياسي، ط2، مطبعة النصر الجديدة، الرباط، 1988، ص، ص115، 116.

3 – محمد حجي، جولات تاريخية...، المرجع السابق، ص306.

4 – أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف...، ج2، ص414.

• المحدث عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن الوقاد، تولى الخطابة والتدريس مكان والده محمد بن الوقاد بمدينة ترودانت، وظل مداوما على طلب العلم، ومن أشهر شيوخه المغاربة أحمد بابا التنبكتي الذي كتب له إجازتين[1].

• سعيد قدورة: كان للشيخ رحلة إلى المغرب الأقصى حيث سافر من تلمسان إلى سجلماسة وحل في بني عباس سنة 1015هـ/1606م، وأقام يُدرِّس بها مدة غير يسيرة، وخلال شهر رمضان من نفس العام، عقد مع العالم المتصوف أحمد بن أبي محلي السجلماسي (1022هـ/1613م) الأديب الفقيه، الصوفي، بالمسجد الرئيسي دروسا حديثية مشتركة وبالأخص في "صحيح البخاري" ولم تنقطع الصلة بين الرجلين[2].

• محمد بن أحمد القسنطيني الشريف الحسني المعروف بابن الكماد (1116هـ/1704م)، منطقي محدث، فقيه، متكلم، كان أحفظ علماء عصره، رحل إلى المغرب الأقصى واستقر بمدينة فاس[3]. وحظي بمكانة رفيعة عند ملوك المغرب الأقصى، تصدر للإقراء "جمع الجوامع" للسبكي فأبدع في إقرائه ورأى الطلبة من حفظه ما لم يكونوا يعهدوه فكثر الازدحام عله. وكانت له ملكة في علم الكلام والمنطق والحفظ التام في علم الحديث والفقه وغيرها من العلوم، والجدير بالذكر أنه زاحم علماء فاس بتكوينه العلمي الجزائري فقط، وفيه دلالة على متانة التعليم الذي كان يؤديه بعض العلماء الجزائريين حينئذ. وقد شغل كرسي البخاري بجامع القرويين، بالإضافة إلى تدريسه علوم مختلفة منها: التفسير والأصول والفقه والبيان والمنطق، فتخرج عليه عدد كبير من علماء المغرب[4].

• أحمد بن محمد بن قاسم العقباني (980هـ/1571م)، فقيه مالكي مشارك في عدة علوم من أهل تلمسان، بها نشأ وتعلم، انتقل إلى فاس وتصدر للتدريس في جامع القرويين[5].

• عمر بن محمد بن عبد الرحمن المنجلاتي (1104هـ/1693م)، فقيه كبير، أصولي منطقي، مشارك في كثير من العلوم من أهل بجاية، رحل إلى الجزائر ودرس فيها وكان من كبار

---

1 – فوزية لزغم، مرجع سابق، ص218.

2 – نفسه، ص220.

3 – عادل نويهض، مرجع سابق، ص274.

4 – فوزية لزغم، المرجع السابق، ص، ص225، 226.

5 – عادل نويهض، المرجع السابق، ص236.

علمائها، رحل إلى المغرب وأُخِذَ عنه، أثنى عليه ابن زاكور الفاسي وقال: أجازني بالجزائر وتطوان... [1].

ظلت الصلات الثقافية وثيقة بين الجزائر والمغرب خلال العهد العثماني، حيث أهم علمائها قاموا بالتدريس في أشهر مساجدها ومدارسها، كما قلّما نجد من علماء الجزائر خاصة تلمسان لم يدرس بفاس، وذلك لإرضاء طموحهم العلمي والحصول على إجازات علمية تزيد من شهرتهم، كالشيخ العلامة سعيد المقري الذي مكث مدة بالمغرب الأقصى ودرس على علمائه قبل أن يعود إلى تلمسان ويتصدى للتدريس بها[2]. وعيسى بن محمد اليحيوي البطيوي، متصوف من فقهاء المالكية، نسبة إلى بطيوة (آرزيو)، عاش إلى النصف الأول من القرن 11هـ/17م، من آثاره: "مطلب الفوز والفلاح في طريق أهل الفصل والصلاح" في التصوف، خصص الفصلين 8 و 9 من الباب السابع لذكر أساتذته في بطيوة ورحلته للدراسة بفاس[3]. ونذكر كذلك محمد عبد الكريم الجزائري، عالم أديب من الفقهاء نزيل فاس، أخذ على نحو سبعين شيخا من علماء المغرب والمشرق وأجازوه آخرون، ذكره الجبرتي في وفيات سنة (1102هـ/1691م)[4].

ومحمد بن عبد الرحمن القنادسي (بوزيان) (1145هـ/1733م) مؤسس الطريقة الزيانية بالجزائر من أتباع الطريقة الشاذلية، أصله من القنادسة، توجه إلى فاس طلبًا للعلم، مكث هناك ثماني سنوات، تتلمذ فيها على يد علماء وأعلام مثل محمد الفاسي. ولما رجع أسس زاوية بالقنادسة وشرع في تدريس العلوم والمعارف الدينية[5].

كذلك أحمد المقري عند إقامته في المغرب استفاد من علمائها، حيث ذكر أنه حضر دروس أبرز علماء المغرب آنذاك الشيخ أحمد بن القاضي بكل من مراكش وفاس فاستفاد من علومه، ثم استجازه فأجازه ما يجوز له وعنه روايته، وما أخذه عن شيوخه، وكتب له ثلاث إجازات: اثنان بمراكش سنة 1009هـ/1600م والثالثة بفاس في نفس السنة[6]. وكان

1 – عادل نويهض، المرجع السابق، ص318.

2 – فوزية لزغم، مرجع سابق، ص179.

3 – عادل نويهض، المرجع السابق، ص44.

4 – نفسه، ص110.

5 – عبد المنعم القاسمي الحسني، مرجع سابق، ص، ص320، 321.

6 – فوزية لزغم، المرجع السابق، ص185.

أحمد المقري يحضر مجالس الدروس إلى جانب أكابر العلماء، التي كان يقدمها ابن القاضي حول صحيح البخاري في جامع الأبارين بفاس[1]. وممن لقيهم في مراكش أحمد بابا التنبكتي السوداني وانتفع به واستفاد منه وأعاره جملة من كتب خزانته الفريدة وأجازه في جميع تأليفه وكتب له بخط يده عدة مرات. كما لقي الشيخ أحمد بن القاسم التادلي وأخذ عنه، حضر لمجلسه بجامع الكتبيين، وقد استجازه في كل ما تجوز له عنه روايته وجميع تآليفه وما أخذ عن شيوخه كالإمام الشهير أبي عبد الله الخروبي الطرابلسي[2]. كما لقي أحمد المقري في فاس الشيخ محمد القصار القيسي متولي خطة الفتيا والإمامة والخطابة، كان له في علم البيان والأصلين وعلم الأنساب والحديث، وأجازه يوم سفره من فاس إلى تلمسان سنة 1010هـ/1601م. ومما أجازه الحديث المسلسل بالأولية، وموطأ الإمام مالك، والصحيحين ومختصر ابن الحاجب الأصلي والفرعي والبردة[3].

استقر أحمد المقري في فاس معمرًا وقته بالتأليف والتدريس، حيث ألف مكتبة حافلة بالمخطوطات في شتى الفنون. وفي أوائل جمادي الأولى سنة 1022هـ/1613م أسندت إليه وظيفة الإفتاء والخطابة، والإمامة بجامع القرويين، فظل متوليا لها أزيد من خمس سنوات ألى أن خرج متوجها إلى المشرق[4]. وفي مدة إقامته بالمغرب تصدى أحمد المقري للتدريس، فتخرج عليه عدد من أعلام المغرب وأجازهم، كالشيخ على السنوسي البوسعيدي وأحمد بن موسى الأبار الفاسي، وعلي بن عبد الواحد الأنصاري الذي أجازه نثرًا بعد أن قرأ عليه الموطأ والرسالة ومختصر خليل وابن الحاجب وغير ذلك، كما حضر الشيخ محمد الشهير بابن القاضي دروسه بفاس في عدة علوم منها الفقه، الحديث وعلم الكلام، وقرأ بعض المختصر فأجازه المقري به، وبكل مروياته ومصنفاته من نظم ونثر.

---

1 – محمد حجي، الزاوية الدلائية...، مرجع سابق، ص94.

2 – أحمد بن محمد المقري، روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1983، ص-ص300-304.

3 – نفسه، ص، ص316، 322، 323.

4 – فوزية لزغم، مرجع سابق، ص192.

• ابن حمادوش: فقد رحل الشيخ ابن حمادوش سنة 1156هـ/1743م إلى مدينة تطوان من أجل طلب العلم[1]. هذه المدينة التي قال عنها محمد حجي أنها قديمة خربت أواخر الدولة المرينية، وجدد بناءها أندلسيون هاجروا إلى المغرب قبل سقوط غرناطة. ولقد شهدت هذه المدينة خلال القرن 10هـ/16م هجرة علماء من الأندلس والجزائر منهم أبي القاسم ابن سلطان القسنطيني أستاذ الفقه والمعقولات، مؤلف كتاب الانتصار للسنة والرد على الطائفة الأندلسية في مجلدين. وأحمد بن يوسف الزياتي، الذي درس وتخرج عالما في فاس، مشاركًا ممتازا في النحو والفقه، ثم انتقل إلى تطوان وفيها نشر علمه[2].

أقام ابن حمادوش في هذه المدينة، والتقى في الجامع المعروف بجامع لكاش بالشيخ أحمد الورززي الدرعي التطواني (ت 1179هـ/1765م)، فأتاه بصحيحي البخاري ومسلم، ولما انتهى أجازه، وسمع منه درسا من "السبكي" و "مختصر خليل" وكتب له الإجازة بخطه، وأجازه أيضا أن يروي عنه بعض الفهارس. كما حضر الشيخ ابن حمادوش مجالس دروس الشيخ محمد بن عبد السلام بناني الفاسي، الذي كان له مجلس بالقرويين، كان يحضره الأعلام فأجازه. كما أخذ بفاس على الشيخ أحمد بن المبارك المعروف بالسجلماسي، حيث كان يقرأ عليه "مختصر السنوسي" في المنطق صبيحة كل يوم[3].

شهدت سنة 1133هـ/1720م رحيل بعض العلماء الجزائريين إلى فاس للأخذ عن مشايخها، كالشيخ محمد بن عبد الله أيوب التلمساني الملقب بالمنور الذي استقر مدة بها، وأخذ على مشايخها، ووجد له مجموعة من الإجازات كتبها له مشايخ المغرب تضمنت إجازته العامة من الشيخ أبي العباس أحمد بن المبارك اللمطي، وإجازته من طرف شيخه أبي عبد الله المسناوي، ومن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن زكريا الفاسي، والشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن الحاج، والشيخ محمد بن محمد بن حمدون بناني، ومن العلامة القاضي محمد العربي ابن أحمد بردلة، ومن الشيخ أبي عبد الله محمد الصالح المعطي الشرقاوي، ومن الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد الحريشي[4].

1 – فوزية لزغم، مرجع سابق، ص236.

2 – محمد حجي، جولات تاريخية...، مرجع سابق، ص، ص283، 284.

3 – فوزية لزغم، المرجع السابق، ص، ص236، 237، 238، 239.

4 – نفسه، ص223.

كما قصد الشيخ محمد بن علي الشريف الجعدي الجزائري فاس سنة 1133هـ/ 1720م للقراءة على مشايخها، فاجتمع هناك بالشيخ محمد بن عبد الرحمن الفاسي، وسأله الأخذ عليه، فأجابه إلى ذلك وناوله فهرسته "المنح البادية" فقرأها كلها فأجازه بذلك، وسمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية، وحديث الضيافة، ثم ناوله الكتب الستة، فقرأها عليه وهو يسمع، ثم أول "الموطأ" والجد من جامع الترمذي، والكثير من سنن ابن ماجة، ومسند الدارامي، و "مفتاح الشفا"[1].

وهناك إجازات علمية كثيرة متبادلة بين العلماء الجزائريين وعلماء المغرب، لم ترد حولها إلا إشارات في كتب التراجم والرحلات، منها الشيخ عمر بن عبد القادر التنلاني (ت 1152هـ/1739م) نحوي من فقهاء قصر تنلان بمنطقة توات، استقر بالمغرب وأخذ على علماء فاس كالشيخ محمد بن أحمد بن مبارك السجلماسي الذي أجازه، كما درَّس هناك بجامع القرويين، فصار من أشهر الأساتذة به، ثم عاد إلى بلده سنة 1129هـ وتفرغ للتعليم بزاويته بتنلان[2].

2 – علماء المغرب في الجزائر:

شهدت الجزائر خلال العهد العثماني توافد عدة علماء من المغرب، لطلب العلم، كما أن الجزائر كانت محطة للرحلات الحجازية، حيث كان العلماء المغاربة يغتنمون الفرصة للاستفادة من علماء الجزائر، وحضور الجلسات العلمية في مساجدها والحصول على الإجازة من أشهر علمائها، نذكر منهم:

• أبو عبد الله محمد بن قاسم ابن زاكور الفاسي: فقد ذكر الشيخ محمد زاكور أنه كان عالما فقيها، متمكن من عدة علوم، منها الحديث والتفسير والأصول، البلاغة والتاريخ، وقرأ بفاس على عدة مشايخ مشهورين، ويعتبر من أهم العلماء الذين ازدهرت بهم الجزائر خلال القرن 11هـ/16م، خلف عدة تآليف منها رحلته التي سماها "نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان" ذكر فيها الشيوخ الذين قرأ عليهم في حلقات دروسهم بالجامع الأعظم بمدينة الجزائر وأجازوه، منهم أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمن المانجلاتي،

---

1 – فوزية لزغم، مرجع سابق، ص، ص224، 225.

2 – نفسه، ص252.

وقرأ عليه "جمع الجوامع" للإمام السبكي سنة 1094هـ/1682م. وقرأ عند الشيخ أبو الحسن علي ابن عبد الواحد السجلماسي الأنصاري لازمه أربعة عشر سنة في مدينة الجزائر فأخذ عنه الأصول والبيان والمنطق ومصطلح الفقه والحديث والسير والتصوف. كما أخذ عن شيخ الإسلام سعيد قدورة بن إبراهيم الجزائري إمام الجامع الأعظم أخذ عنه الحديث والفقه والنحو وشيئًا من التصوف، وعن غيره الحساب والفرائض وشيئًا من علم التوقيت[1].

• محمد الطيب بن محمد عبد القادر الفاسي: من السفراء المغاربة الواردين إلى الجزائر سنة 1103هـ/1691م صحبة الأمير عبد الملك بن السلطان مولاي إسماعيل والكاتب الشهير محمد الوزير الغساني. ومما قاله الشيخ محمد الطيب الفاسي: "ولما دخلت مدينة الجزائر كان مما أتحفني الله بلقائه من أعلامها الفقيه النبيه... مصطفى بن رمضان الحنفي، الشهير بالعنابي، فتذاكرت معه في فتوى علمية، واستفدت منه فوائد سنية وذكرت له زوائد ودُررا علقت بذهني مما سمعته من جهابذَ علومه مرضيَّة، فحمله حسن نيته وخلوص طوبته أن استدعى منِّي إجازة في ذلك... الح"، وقد أجازه بالفعل[2].

وهذا دليل على أن علماء المغرب استغلوا كل فرص تواجدهم بمدينة الجزائر للاستفادة من علمائها، إلى جانب الرحلات الحجازية، كانت البعثات الديبلوماسية هي الأخرى فرصة للجلوس عند العلماء والمناظرة والمذاكرة.

• أبو عبد الله محمد المراكشي الضرير: العالم، الصالح القارئ، الناظم، الناثر، النحوي، اللغوي العروضي، قدم إلى عنابة بعلوم كثيرة، ونوادر غزيرة، ألف في البيان وفي تفسير القرآن، كان يدرس بالجامع الأعظم، دفين عنابة له منظومة في البيان[3].

• عبد الرحمن الجامعي الفاسي: قال عنه أحمد بن قاسم البوني، شاعر العصر ونابغة الوقت، يعتبر من الشعراء الذين مدحوا عنابة، وقد تتلمذ عليه[4]. وقد ذكر الرحالة أبو زيد عبد الرحمن الفاسي في شرحه (أرجوزة الحلفاوي) أنه لما زار الجزائر حوالي 1119هـ/ 1707م قال "كنت وفدت على العالم العلامة أبي عبد الله سيدي محمد المصطفى

---

1 – نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص، ص226، 227، 228، 229، 230.

2 – أحمد بن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص79.

3 – أحمد بن قاسم البوني، مصدر سابق، ص، ص129، 130، 134.

4 – نفسه، ص154.

الرَّماصي، فوجدته يسكن بأهله بيوت الشعر قرب غابة في رأس جبل، يطالع كتبه ويقرئ طلبته..."[1]. فأثناء زيارته لوهران اغتنم الفرصة وحضر مجلس التعليم للشيخ مصطفى الرماصي، ولما دخل مدينة الجزائر أعجب بالأديب محمد بن محمد بن سيدي بن علي، فقال لما رأيته: "رأيت صورة تدل على حقيقة الأدب ومعناه". كما اطلع على النسخة الأصلية لكتاب جواهر الحسان في تفسير القرآن للإمام الثعالبي التي حبسها على طلبة العلم[2]، لكنه لم يذكر ما أخذ عنهما أو درس عنهم أو أجازوه.

- أحمد الورززي: ورد الشيخ أحمد الورززي مرتين إلى مدينة الجزائر، الأولى في سنة 1159هـ/1746م، والثانية في سنة 1162هـ/1748م، هذه الرحلة التي يفترض أن تكون رحلة علمية لنزوله بمدرسة الجامع الكبير، وإلقاءه بعض الدروس في الجامع المذكور، كإلقاءه درس في التفسير تلبية لرغبة بعض علمائها، كما قام الورززي بتصحيح كتاب الدرر على المختصر للسنوسي للشيخ عبد الرزاق بن حمادوش بحضور جماعة من الطلبة، وكان مؤلفه قد قرأ كتاب المختصر للسنوسي في تطوان على الشيخ ابن مبارك، وأثناء قراءته كتب الشرح المذكور، ورغم مرور ثلاث سنوات على ذلك، إلاّ أن ابن حمادوش استغل فرصة قدوم شيخه الورززي إلى الجزائر ليصححه عليه، لأنه من تلامذة الشيخ ابن المبارك المذكور، بالإضافة إلى أنه محقق في الفنون وخصوصًا المنطق، واستغرق تصحيحه حوالي عشرين عامًا[3].

وأثناء زيارة الورززي الثانية لمدينة الجزائر، اجتمع بأحد أبرز علمائها آنذاك، وهو مفتي الحنفية الشيخ محمد بن محمد المهدي المعروف بابن علي، وقد كان المفتي الحنفي يقوم بمهمة التدريس بالجامع الجديد الحنفي إلى جانب وظيفة الإفتاء والخطابة. وكان موصوفًا بالحفظ الغزير، ورواية الحديث النبوي والمهارة في التفسير، بالإضافة إلى اشتهاره بجودة الشعر والنثر والفصاحة في الخطابة، وكانت له صلات قوية بعلماء المغرب الذين زاروا الجزائر على عهده كالشيخ عبد الرحمن الجامعي والشيخ الورززي المذكور وله شعرًا في كليهما[4].

---

1 – أحمد بن سحنون الراشدي، مصدر سابق، ص34.

2 – نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص، ص202، 203.

3 – فوزية لزغم، مرجع سابق، ص241.

4 – نفسه، ص244.

3 – المصنفات الجزائرية في المغرب:

إن وصول المصنفات الجزائرية إلى المغرب الأقصى اتخذت عدة طرق، فمنها من نقلها العلماء الذين رحلوا إلى المغرب لطلب العلم أو الاستقرار فيه، سواء الكتب التي ألفوها بالجزائر، أو نقل مصنفات من سبقوهم من العلماء. كما قام كذلك علماء الجزائر بنقل الكتب التي أتوا بها من المشرق، وهناك من قام بتأليفها بعد هجرتهم من الجزائر إلى المغرب الأقصى. كما أن معظم الكتب التعليمية بالمغرب تتألف من مختصرات ومنظومات وشروح وحواشي ألفها علماء فيما بين القرنين السادس والتاسع للهجرة أندلسيون ومغاربة منهم محمد السنوسي التلمساني[1].

• تعتبر مؤلفات محمد بن يوسف السنوسي من أهم الكتب التي كانت تدرس وتعتمد من طرف طلبة وعلماء المغرب الأقصى، فعلم التوحيد عرف توسعًا كبيرًا على يده، إذ يعتبر السنوسي إمام هذا الفن في الشمال الإفريقي، انتشر على يد تلاميذه الذين دخل بعضهم إلى فاس، فتدارس الناس كتبه لاسيما العقيدة الكبرى والوسطى والصغرى وصغر الصغرى[2]. والعقيدة الصغرى قد انتقلت إلى فاس عبر العلامة محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني الذي كان يدرس التفسير والفقه والكبرى والصغرى للسنوسي بفاس في جامع القرويين[3]. بالإضافة إلى أحمد بن جيدة المديوني الوهراني وهو من تلامذة السنوسي أخذها عنه ونشرها بفاس وكان متخصصا فيها[4]. العقيدة الصغرى نالت اهتمام كبير من طرف طلبة وعلماء المغرب الأقصى، فوضعوا لها شروحا ومختصرات، كما خصص لتدريسها كرسي بالقيروان يختار له أحسن شيوخ وعلماء الكلام والعقائد[5].

كما عرفت كتب أحمد بن محمد ابن زكري المازوني التلمساني إقبالا من طرف العلماء وطلبة المغرب الأقصى، فقد خصص بمسجد القرويين كرسي لتدريس نظم ابن زكري في علم الكلام، وخصصت له أحباس تنفق على الشيوخ الذين يدرسونه وإيواء الطلبة[6].

---

1 – محمد حجي، جولات تاريخية...، مرجع سابق، ص224.

2 – نفسه، ص-ص227-264.

3 – أبو القاسم محمد الحفناوي، مصدر سابق، ص414.

4 – محمد حجي، جولات تاريخية...، المرجع السابق، ص269.

5 – عبد العزيز بن عبد الله، معطيات الحضارة المغربية، ج1، ط3، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2000، ص122.

6 – نفسه، ص122.

كما أن منظومة الوفيات لأحمد بن قنفد القسنطيني، كانت محل اهتمام من طرف علماء المغرب، حيث قام أبي عبد الله محمد بن علي القشتالي المتوفى سنة 1021هـ/1612م بوضع منظومة، نظم فيها وفيات ابن قنفد المسماة "أسنى المطالب"[1].

وأبو العباس أحمد بن القاضي الذي ألف كتاب (لقط الغرائد من لفاظة خفق الفوائد)، وقد ذيل به وفيات ابن الخطيب القسنطيني الشهير بابن قنفد[2].

كما ألف الونشريسي كتب عديدة من أحسن ما ألف المغاربة في الفقه، أشهرها المعيار المغرّب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب في اثني عشر مجلدًا. واشتهر علماء الجزائر بتدريسهم لأهم الكتب الفقهية والأدبية، فكان علي الراشدي يدرس البردة بمسجد الشرفاء، يومي العطلة الأسبوعية، ويتوسع فيها بالاعتماد على الشرح الكبير لابن مرزوق فلا يختمها إلا بعد سنتين، في ظل غياب وندرة الدروس الأدبية وكتب الأدب[3]. ومحمد بن الوقاد أول من قرأ الجامع الصحيح للبخاري بتارودانت، قراءة، ضبطًا وإتقانًا، وخطب فيها ببراعة اللسان[4]. وأحمد المقري قرأ صحيح البخاري في جامع القرويين، بمحضر القاضي والأعيان في شهر رمضان سنة 1025هـ/1616م[5].

كما أن الزيارات التي كان يقوم بها علماء الجزائر إلى المغرب الأقصى، كانوا يحرصون فيها إهداء مؤلفاتهم لسلاطينها وعلمائها، فمثلا أبو راس الناصري كان كثير الزيارة إلى المغرب الأقصى، من ذلك الزيارة التي قادته إلى فاس سنة 1216هـــ/1802م، حيث أقام بها مدة وأهدى العديد من المؤلفات إلى السلطان المغربي سليمان، منها شرح بعنوان "روضة السلوان المؤلفة بمرسى تيطوان"، وأثناء زياراته هذه كان يتصل بالعلماء ويأخذ عنهم ويأخذون عنه[6].

1 – عبد السلام بن سودة المري، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1997، ص280.

2 – أحمد بن محمد المقري، روضة الأس...، ص298.

3 – محمد حجي، جولات تاريخية...، مرجع سابق، ص273.

4 – نفسه، ص276.

5 – أحمد بن محمد المقري، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تحقيق: محمد بن معمر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2004، ص، ص196، 197.

6 – فوزية لزغم، مرجع سابق، ص، ص253، 254.

مصنفات علماء الجزائر، صنفت ضمن أهم الكتب المتداولة في مراحل التدريس، فطالب العلم يلقن أولا مبادئ القراءة والكتابة ثم يشرع في حفظ كتاب الله العظيم، ثم يأخذ في دراسة مختصر خليل، الرسالة، مقدمة بن أجرم، ألفية بن مالك، لامية الأفعال، علم الحساب، علم العربية، الألفية، اصول الدين، كبرى السنوسي، الحاشية الصغرى، الحاشية الكبرى، شرح بن زكرياء الكبير والصغير، وكتاب عبد الرحمن الثعالبي ايساغوجي في المنطق والشمسية، علم العروض، تلخيص المفتاح والإيضاح، الكتب الخمس، الحديث والفقه المالكي[1].

كما رافق حركة تنقل العلماء والكتب بين الجزائر والمغرب الأقصى مناظرة ونقاش تليه مجاوبة ومراسلات بين هؤلاء العلماء والفقهاء في مختلف المسائل الفقهية والعقائدية، هذه المناظرات العلمية تولّد عنها انسجام وتواصل ثقافي بين رجال علم البلدين. وفي بعض الأحيان هذا النقاش يدوم لفترة زمنية، واجتهاد كل عالم في مناقشة الموضوع يتولد عنه مؤلفات فقهية، حيث يذكر الحجي في كتابه جولات تاريخية أنه قامت مناظرة حادة حول كلمة الإخلاص أثارها أحد علماء الجزائر (لم يذكر اسمه)، وشارك كثير من علماء المغرب كعبد الله الهبطي ومحمد اليسيتني مفتي فاس، وألّف كل واحد في الانتصار لرأيه والرد على خصومه، واستمر النقاش والتأليف في الموضوع زهاء قرنين إلى أن أتى اليوسي بالقول الفصل في كتابه "مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص"[2].

المقري لما دخل فاس لأول مرة حضر مجلس علي بن عمران السلاسي[3] في مختصر خليل وبحلقته جمع من نجباء الفقهاء، وأثناء سرده للدرس قام أحمد المقري وصحح له مسألة في الميراث، ورغم معارضة تلاميذ السلاسي للشيخ أحمد المقري باعتباره طالبا غريبا وجديدًا، فإن السلاسي وافقه وأعجب به، ومنذ ذلك الوقت ذاع صيته بفاس[4]. والنماذج كثيرة حول المناظرات التي وقعت بين علماء الجزائر والمغرب الأقصى،

---

1 – عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص307.

2 – محمد حجي، جولات تاريخية...، مرجع سابق، ص264.

3 – علي بن عمران السلاسي، قاضي الحضرة الفاسية ومفتيها، حافظ لا تدرك غايته، متمكن من مختصر خليل أتم قيام، وله مشاركة في التفسير والأصلين والبيان والمنطق والنحو، وله رواية في الحديث. انظر: أحمد المقري: روضة الأس...، ص332.

4 – نفسه، ص333.

لكن ما يغلب عليها في الكثير من الأحيان التطابق والتشابه في وجهة النظر رغم حدة النقاش في بعض الأحيان، وذلك راجع إلى أن هؤلاء العلماء تلقوا تكوينا واحدا، فهناك تشابه في طرق التدريس وعناوين الكتب المقروءة في مراحل الدراسة. كما نتج في بعض الأحيان عن هذه المناظرات كتب فقهية، حيث يدون العلماء أفكارهم في كراريس ويجمعها في شكل كتاب. كما أن الطلبة هم كذلك متتبعين لهذه المناقشات الفكرية والثقافية بين علماء البلدين، وما هذا إلا وجه من التفاعل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى الذي ساهم في تنشيط الحياة التعليمية في البلدين.

المبحث الثالث: علماء الجزائر في تونس

اتفق المؤرخون على تقهقر حال العلم بعد الفتح العثماني، خصوصا لما كان عليه في العهد الحفصي من توفير المرافق للمعلمين والطلبة، فلما آل الحكم إلى حسين باي ابن علي سنة 1705م، عقد العزم على الرفع من شأن العلم ورجاله، فبنى المدارس اسكنى الطلبة وللتدريس وأجرى المرتبات للمدرسين من مال الجزية وريع الأوقاف العامة وواصل هذه السياسة من جاء بعده من البايات. فزادوا في عدد المدارس، فازدهر بذلك التعليم وبرز أعلام من المدرسين تخرج على أيديهم كبار العلماء[1].

اهتم حسين باي علي مؤسس الدولة الحسِنية ومن توارث بعده العرش اهتماما بالغا بشؤون الدين والعلم، فاقوا في ذلك كل من سبقهم من الفتح العثماني، وكأنهم أرادوا بعلمهم إحياء سنن الدولة الحفصية في عنفوانها. فلم يصرف البايات الحسِنيون اهتمامهم لإحداث جوامع حنفية باستثناء حسين باي ابن علي الذي بنى سنة 1139هـ/1726م جامعه المعروف بالجامع الجديد واشتمل أيضًا على مدرسة. بل كانت سياستهم العمرانية الدينية ترمي إلى إنشاء مدارس للتعليم وإقامة الطلبة الحنفية والمالكية وأوقفوا عليها أوقافا لفائدة المشايخ المدرسين بها والطلبة، كمدرسة النخلة بجوار جامع الزيتونة (1126هـ/1714م) والمدرسة الحسِنية الصغرى (1128هـ/1716م) ومدرسة الجامع الجديد (1139هـ/1726م) ومدرسة حوانيت عاشور والمدرسة الباشية (1166هـ/1752م) والمدرسة السليمانية (1168هـ/1754م) ومدرسة بئر الحجار (1170هـ/1756م) والمدرسة الحسِنية الكبرى (في حدود 1190هـ/ 1776م). كما اعتنوا بجامع الزيتونة لإحياء التعليم فيه[2].

ويعتبر جامع الزيتونة من أشهر مراكز التعليم في العالم الإسلامي، وقد اشتهر بمن درس به من أعلام هذا القطر في أزمنة متلاحقة، ولما قامت الدولة الحسِنية رجع لجامع الزيتونة شيء من مجده بصفته مركز تعليم، وازدادت العلوم فيه إلى أن أصبح عدد المدرسين نحو الثلاثين أو يفوق بعد أن لم يكن عددهم يتجاوز الثمانية. وأصبح كعبة العلم بتونس يأتيه الناس من كل جهات المملكة، إذ أصبح التعليم فيه هو معيار التعليم الإسلامي

---

1 – محمد العزيز ابن عاشور، جامع الزيتونة، دار سراس للنشر، تونس، 1991، ص89.

2 – نفسه، ص، ص93، 94.

في البلاد لانخراط نخبة علماء تونس في سلك مدرسيه وأصبح أيضًا هو التعليم الرسمي بامتحاناته ومراقبة الدولة.

لم تكن صلات المقري وثيقة بعلماء تونس، كما هي مع المغرب الأقصى، ولذلك لم يجز إلاّ لعدد قليل منهم، فأثناء رحلته إلى المشرق سنة 1028هـ/1618م نزل بمدينة سوسة، واستقر بها مدة، فاستجازه مكاتبة من مدينة تونس الشيخ محمد العارفين، وهو حينئذ من كبار علماء تونس، وحضر إلى المقري بسوسة فنظم له إجازة في ثلاثة وأربعين بيتًا. وأجاز المقري كذلك الشيخ أبي القاسم جمال الدين المسراتي القيرواني جميع مؤلفاته ومروياته[1].

عيسى الثعالبي أثناء رحلته إلى المشرق نزل بمدينة تونس وأخذ عن كبار علمائها، كالشيخ أبي بكر بن الشيخ تاج العارفين البكري (ت 1072هـ/1662م)، لكن المحبي لم يذكر عما إذا أجازه أم لا، أما محمد مخلوف فقد ذكر العلماء الذين أخذ عنهم الثعالبي بتونس ومصر ثم أضاف قائلاً: "وأجازوه وأثنوا عليه بما هو أهله"[2]. ونذكر كذلك عبد العزيز النفاتي كان كاتبا لدار الإمامة بقسنطينة ذكره ابن الفكون في كتابه منشور الهداية "ممن قرأنا عليه الحساب وبعض الفرائض... صاحب رأي ومشورة ودهاء عظيم". درس عبد العزيز النفاتي في تونس على رئيس أهلها في العلمين والتعديل شريف النجار[3].

- قاسم بن يحيى بن محمد الفكون (ت 965هـ/1558م)، قاض مفسر، فقيه، مشارك في عدة علوم من أهل قسنطينة بها نشأ وتعلم، وأتم دراسته بتونس وعاد إلى قسنطينة فولي قضاءها[4].

- محمد بن محمود العنابي أثناء تردده على المشرق كان يمر بتونس، فربطته علاقات ودية مع بعض علمائها، ومنح إجازات لبعضهم ممن التجئوا إليه، وطلبوا منه ذلك نثرا وشعرا، ولاسيما علماء أسرة بيرم[5]. وشهد القرن الثاني عشر بزوغ شهرتها العلمية حيث أنجبت العديد من العلماء، الذين توارثوا الخطط الدينية الرفيعة والإفتاء

1 – فوزية لزغم، مرجع سابق، ص، ص196، 197.

2 – نفسه، ص203.

3 – عبد الكريم الفكون، مصدر سابق، ص، ص60، 61.

4 – عادل نويهض، مرجع سابق، ص255.

5 – أسرة بيرم تركية الأصل، دخل أول أفرادها تونس أثناء الفتح العثماني لها، وتعنى بيرام العبد بالتركية، وقد قدم بيرام إلى تونس صحبة جند سنان باشا لاستنقاذ البلاد من الاحتلال الإسباني سنة 981هـ/1573م، وطاب له المقام بتونس. انظر: فوزية لزغم، المرجع السابق، ص247؛ أبو راس الناصري، فتح الإله...، ص، ص53، 54.

الحنفيين. ولقد جمعت بين محمد بن محمود العنابي وأسرة بيرم مودة كبيرة تشهد عليها الرسائل المتبادلة بينه وبين الشيخ محمد بيرم الرابع[1].

• أبو راس الناصري نزل بتونس وقد أكرمه حاكمها حمودة باشا، واجتمع فيها مع علمائها في جلسات علمية أفاد واستفاد، وممن لقيهم مفتي الحنفية بتونس السيد محمد بيرم، وقرأ عليه فقه أبي حنيفة بـ "مختصر الكنز" وغيره في داره ومقره. ومنهم كذلك عبد القادر بن عبد الله المشرفي، أخذ عن العلاّمة أبي عبد الله محمد المنور التلمساني الكثير من الفقه، والأصول وعلم الكلام، والنحو، والبيان، وأجازه، وأتقن علوما جمة، وبرع فيها، وأقرّ له كل من رآه بالبراعة والكفاية[2].

كما لقي أبو راس الناصري في تونس الشيخ أحمد بن عبد الله السنوسي المغربي الأصل والمستقر في تونس ويعتبر من أشهر علمائها، لذلك سعى أبو راس الناصري للحصول على الإجازة منه وكتب إليه قائلا: "أحببت أن أكون من تلامذتك الراغبين في إجازتك، وإن لم أكن لذلك أهلا فيكون منك لنا وبلا"، فأجازه في جميع ما يتعلق بالدين ووصائله وفروعه وأصوله ومسائله سنة 1205هـ/1790م[3].

• الصالح بن سليمان بن محمد بن أبي القاسم الزواوي العيسوي (1152 – 1242هـ/ 1739 – 1826م)، من كبار مدرسي اللغة والنحو بزاوية الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري من أتباع الطريقة الرحمانية، درس بجامع الزيتونة[4].

• محمد بن محمد الطيب الخنقي (1078 – 1154هـ/1667 – 1740م)، بخنقة سيدي ناجي، تتلمذ على علماء الزاوية، كما أخذ العلم بتونس على علماء أجلاء منهم الشيخ علي النوري الصفاقسي، كان كثير التنقل في شبابه، زائر لأهل العلم[5].

• أحمد بن عمار (1119 – 1205هـ/1707 – 1790م)، يعد من علماء السند في عصره، تنقل بين الجزائر ومصر وتونس والحرمين، وكان له نشاط أدبي في كل هذه البلدان.

---

1 – فوزية لزغم، مرجع سابق، ص، ص247، 248.

2 – أبو راس الناصري، فتح الإله...، المرجع السابق، ص، ص52، 53.

3 – نفسه، ص50.

4 – عبد المنعم القاسمي الحسني، مرجع سابق، ص173.

5 – نفسه، ص358.

جمع إبراهيم السيالة إجازات أستاذه ومروياته فإذا هي تبلغ نحو الكراستين وتسمى "منتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد"، وعندما اطلع عليها ابن عمار أجازه لها، وكان له تلاميذ كثيرون من المشرق والمغرب[1].

وذكر إبراهيم السيالة أن شيخه ابن عمار جاء إلى تونس من الجزائر سنة 1195هـ/ 1780م بقصد الاستيطان بها، وأنه كان عندئذ كبير السن، ومع ذلك نجده يناظر علماء تونس ويؤلف عملين في تونس، الأول "رسالة في التفسير والأدب" والثاني "تاريخ في سيرة وآثار باي تونس علي باشا بن حسين". كما ألف عدة كتب لم تكن تتماشى مع ما كان يفعله علماء عصره أهمها: "لواء النصر في فضلاء العصر"، "نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب" :تاريخ الباي علي باشا بن حسن" "رسالة في الطريقة الخلوتية"[2].

- أحمد الشريف الزهار: (1196هـ/1781م) بمدينة الجزائر وأخذ عن مشايخها، وخلف والده الحاج علي في نقابة الاشراف وباشر الكتابة في ديوان الدولة، ارتحل إلى تونس وأقام فيها عدة سنوات وحضر دروس الشيخ إبراهيم الرياحي والشيخ الحاج الطيب بن عيسى الجزائري وغيرهم من شيوخ جامع الزيتونة[3].
- محمد بن مالك الجزائري: من قضاة الجزائر في العهد العثماني، وكان يشتغل بالسياسة والأدب، هاجر إلى تونس، وتقدم إلى الباي هناك يستمنحه الصلات، وكتب قصيدة مدح فيها الباي، ومدح تونس في عهده مستعملاً الجناس مع المذاهب الثلاثة (المالكي والشافعي والحنفي)[4].
- أبو القاسم محمد البجائي: كان من النحاة التقليديين في القرن 11هـ/16م، فقد عاش على الأقل جزءًا من حياته في تونس، وأخذ بها العلم على علمائها وعلى الوافدين عليها من العثمانيين وغيرهم. ويذكر حسين خوجة صاحب (بشائر أهل الإيمان) أن البجائي قد تولى الخطابة في جامع الخطبة خارج باب الجزيرة بتونس وأنه كان أيضًا فقيهًا ورعًا[5].

1 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، مرجع سابق، ص، ص34، 35.

2 – نفسه، ص216.

3 – نور الدين عبد القادر، مرجع سابق، ص216.

4 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، المرجع السابق، ص264.

5 – نفسه، ص163.

• أحمد بن قاسم البوني: من علماء وصلحاء مدينة عنابة، مؤلف كتاب "الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة"، وقد قسمها إلى أبواب وفصول، وترجم في الباب الرابع لشيوخه وجعل فيه فصولاً لذكر شيوخه المغاربة وشيوخه في باجة وعنابة وتونس وتستور والقيروان وغيرها من مدن تونس[1].

• عاشور بن موسى القسنطيني: نشأ في قسنطينة وأخذ العلم عن والده، شد الرحال لطلب العلم في عدة بلدان، وطالت غيبته نحو العشرين سنة، قصد فيها عدة بلدان منها تلمسان والمغرب والسودان ثم رجع إلى قسنطينة، ليرتحل بعدها إلى تونس واستقر بها، وانتصب للتدريس بالزيتونة، ومن تونس توجه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج فأدركه الموت بعد سنة 1074هـ/1663م[2].

إن التفاعل التعليمي والثقافي بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني عرف كذلك هجرة بعض العلماء التونسيين إلى الجزائر، كان لهم دور فعال في تفعيل النشاط الثقافي والتعليمي بين البلدين، فهناك علماء أجلاء قدموا إليها من تونس واستقروا فيها، وكان لهم الدور البارز في رسم ملامح الحياة الثقافية والتعليمية في الجزائر منهم:

• محمد بن علي الخروبي: نسب الخروبي إلى صفاقس وطرابلس والجزائر، قيل أنه أخذ العلم من علماء مشارقة ومغاربة، ومن هؤلاء أحمد زروق ومحمد بن عبد الله الزيتوني ومحمد بن مرزوق وتلاميذ عبد الرحمن الثعالبي، ومحمد بن يوسف السنوسي. وقدم خدم الخروبي الوجود العثماني بقلمه ودرسه وطريقته الصوفية، بالإضافة إلى نشاطه الديني والمذهبي في الجزائر، قام بعدة سفارات إلى المغرب. فقد زار فاس ومراكش وغيرهما وأخذ عليه علماء المغرب، وتولى الخطابة في أحد مساجد الجزائر. كما عرف عنه أنه كان جمّاعًا للكتب، وقد قيل أنه ترك خزانة كتب ضخمة في مراكش، وخصص جهده للتأليف والدعاية لصالح الطريقة الشاذلية، وكانت وفاته في الجزائر (963هـ/1555م)[3].

• سعيد قدورة: بلغ نفوذ عائلة قدورة أنها تولت الإفتاء المالكي بالجامع الكبير بالعاصمة أكثر من قرن بدون انقطاع. ولد سعيد قدورة بالجزائر، وأصله من تونس من قدورة

1 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، المرجع السابق، ص352.

2 – نفسه، ص383.

3 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، مرجع سابق، ص468.

القريبة من جزيرة جربة على ساحل تونس، درس في الجامع الكبير، ثم رحل للدراسة في زاوية الشيخ "العارف بالله" في تنس، ثم رحل إلى تلمسان وتتلمذ على سعيد المقري في الحديث والمنطق والبيان، ولما عاد إلى الجزائر تولى إمامة جامع البلاط والخطابة في جامع سيدي رمضان، وكان يدرس أيضا في أخد هذين الجامعين، وتولى منصب الإفتاء 1028هـ/1618م إلى 1066هـ/1656م. كما تولى منصب خطيب ومدرس الجامع الكبير، وبذلك يكون قد وصل إلى قمة السلَّم الوظيفي والعلمي.

كما عرفت الحركة الثقافية والفكرية بين الجزائر وتونس، توافد علماء تونسيين للدراسة والاستفادة من علمائها، لكن عددهم كان قليلا، ولعلّ ذلك يعود إلى اكتفاء علماء تونس الذاتي من طلب العلم، فلهم جامع الزيتونة يروي غلتهم، وإذا أرادوا المزيد ذهبوا إلى المشرق[1]، نذكر منهم:

• الحمني (1037 – 1134هـ/1628 – 1722م)، إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم الحمني، رحل إلى الجزائر وأخذ العلم عن الشيخ عبد الله بن أبي القاسم الجلالي، ثم دخل زواوة فأقام بها ست سنين وقرأ بها على جماعة منهم محمد السعدي ومحمد المغربي وأبو القاسم القاضي[2].

• الجيلاتي (1099هـ/1687م)، سليمان بن أحمد بن محمد الجيلاتي الإباضي أخذ العلم عن جماعة، وأكثر ما أخذ عن أبي الفضل قاسم بن سعيد الصدغياني، وأخذ عن أبي النجاة يونس بن تعاريت الخيري، وبعد استكمال تحصيله انتصب للتدريس، وتوافد عليه كلاب العلم من جربة، ومن جبل نفوسة بليبيا، ومن وادي ميزاب بالجزائر للأخذ عنه والاستفادة منه[3].

• الخيري (10هـ/16م)، هو سعيد بن علي بن حميدة بن عبد الرزاق بن علي الخيري من رجال الإصلاح بمنطقة ميزاب، قام برحلة إلى ميزاب حينما طلب منه أهل المنطقة من الإباضية بجربة أن يرسلوا إليهم عالما حكيما لنشر العلم وتنوير عقولهم لما استفحل الجهل

---

1 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، مرجع سابق، ص64.

2 – محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1982، ص56.

3 – نفسه، ص184.

بالبلاد، وقد صاحبه العالمان الشيخ دحمان من جربة والشيخ الحاج ابن سعيد من جبل نفوسة، ترك الخيري مكتبة محتوية على نفائس الكتب موقوفة على دار التلميذ بغرداية[1].

ومنه يمكن القول رغم الظروف السياسية التي عرفتها تونس والجزائر خلال العهد العثماني، إلاّ أن النشاط العلمي بين البلدين لم ينقطع، وكانت العلاقة بين علمائها وطيدة. وظهر لنا ذلك من خلال الرحلات العلمية التي كان يقوم بها علماء البلدين للإفادة والاستفادة والحصول على الإجازات العلمية. كما أن المصنفات الجزائرية كانت تدرس في جامع الزيتونة، خاصة في علم التوحيد، كتب الشيخ السنوسي الكبرى، الوسطى، صغرى الصغرى، وفي علم المنطق كتاب الشيخ عبد الرحمن الثعالبي "متن ايساغوجي"[2]. كما أن التفاعل الثقافي والتعليمي بين البلدين لم يخلوا من المناظرات والمراسلات العلمية، ولولا هذه الحركية الثقافية والفكرية لعرف التعليم تدهورًا، لغياب دعم الدولة من جهة، والظروف السياسية والصراعات من جهة ثانية. لذلك يمكن القول أنه كان لهذا التواصل الفكري الدور البارز في تشجيع الحركة التعليمية في كل من تونس والجزائر معًا.

---

1 – محمد محفوظ، المرجع السابق، ص، ص280، 281.

2 – محمد العزيز ابن عاشور، مرجع سابق، ص، ص98، 99.

الخاتمة

تضاربت مواقف المؤرخين حول التعليم في الجزائر خلال الهد العثماني، فهناك من يقول إن الجزائر خلال هذه المرحلة عرفت جمودًا فكريًا، والبعض يقول أنه كان هناك نشاطا ثقافيا وتعليميا، لكن لا يرقى إلى المستوى الذي كانت تعرفه الدول الإسلامية.

ومن خلال دراستنا لموضوع التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني توصلنا إلى جملة من النتائج نوردها فيما يلي:

- إن التعليم في الجزائر في العهود التي سبقت الفترة المدروسة عرف نشاطًا فريدًا من نوعه (خلال القرنين 14 – 15م)، لذلك اعتبرت هذه المرحلة الموروث الثقافي للعهد العثماني، كما أنها كانت عبارة عن عوامل ساهمت في نمو الحركة التعليمية في الجزائر واستمرار نشاطها خلال العهد العثماني، حيث عرفت نشأة عدة مؤسسات تعليمية من كتاب إلى زوايا ومساجد، كما عرفت انتشارًا كبيرًا في المغرب الأوسط، واستمر نشاطها التعليمي خلال الفترة المدروسة. هذا إضافة إلى دور الطرق الصوفية والزوايا التي أخذت على عاتقها تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي لسكان المغرب الأوسط، وتحولت فيما بعد إلى معاهد عليا تدرس فيها أهم العلوم على يد أشهر العلماء الذين تلقوا شهادات (الإجازات) من المشرق والمغرب وكوّنوا لنا جيل من العلماء والأعلام، الذين سوف يواصلون نشاط أساتذتهم في التدريس خلال العهد العثماني.

- كان لوجود الجالية الأندلسية دورًا في نمو الحركة التعليمية، من خلال هجرة علماء الأندلس، ونقل أهم المصنفات في شتّى العلوم، واشتهارهم في ممارسة التعليم، كما نقلوا معهم طريقتهم في التدريس التي تأثر بها المدرسون في الجزائر، فتعددت الطرق حسب المدرس وأنواع العلوم، وتعددت الكتب التي كانت تدرس حيث استفاد منها طلبة العلم في الجزائر.

- كما رأينا أن الرحلة في طلب العلم إلى المشرق والمغرب كان لها دورًا في نمو الحركة التعليمية، حيث تشرّب علماء الجزائر من ثقافتهم وتزودوا بمختلف العلوم من خلال احتكاكهم بعلماء المشرق والمغرب، وحضور الجلسات والمناظرات العلمية، وحصولهم على إجازات تؤهلهم للتدريس في مختلف العلوم، كما كان للرحلة العلمية دورٌ في نقل أهم

المصنفات التي كانت تدرس في معاهد المشرق الإسلامي مثل الأزهر والحرم المكي، وتدريسها في مدارس ومساجد الجزائر. كما أن المدرسين في الجزائر أصبح لهم مؤهلات علمية مماثلة التي يتميز بها علماء المشرق والشهادات المتحصل عليها تزيد من شأنهم ومصداقية العلوم التي كانوا يدرسونها.

– ومنه يمكن اعتبار هذه العوامل مرحلة مهمة ساهمت في نمو الحركة التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني، لأنه لولا هذه المرحلة التي عرف فيها النشاط الثقافي انتعاشًا وإشعاعًا علميًا، لما توصل ذلك خلال الفترة المدروسة، رغم تراجعه مقارنة بالفترة التي سبقته، إلاّ أن هذا الموروث الثقافي أنقذ الجزائر من الدخول في عهد الظلمات في ظل الاضطرابات السياسية والتحرشات الأوروبية خلال الفترة المدروسة.

– إن الأوضاع السياسية التي مرت بها الجزائر خلال العهد العثماني والتوتر والصراعات وطبيعة شخصية الأتراك الوافدين إلى الجزائر التي اعتبرت نفسها في مهمة عسكرية لتحرير الجزائر مهملة بذلك الجانب الثقافي والتعليمي، فكل ذلك لم يؤثر على الحركة العلمية إلاّ بنسبة قليلة، حيث تواصل نشاطها رغم الظروف التي كانت تعيشها الجزائر. ومنه يمكن القول أن التقهقر الفكري كان مرتبطًا بالتدهور السياسي، في ظل غياب عناية الحكام بالثقافة والعلم.

– المؤسسات التعليمية التي كانت منتشرة في الجزائر خلال القرنين 14 – 15م، استمر نشاطها خلال العهد العثماني (زوايا، كتاب، مساجد)، كما عرفت هذه الفترة إنشاء مؤسسات جديدة بمبادرات شعبية، حيث تميز المجتمع الجزائري، بحبه وتقديسه للعلم، لذلك عمل على إنشاء مؤسسات تعليمية، وإرسال أبنائهم للدراسة، في غياب رعاية الدولة لها والمبادرة في تأسيسها. رغم ذلك عرفت الجزائر خلال الفترة المدروسة مؤسسات تعليمية تتميز بعضها ببرامج تعليم ذات مستوى عالٍ تمكّن الطالب الحائز على إجازة شيوخها من معرفة معمقة بالعلوم الدينية (فقه وأصول، علم الكلام، التفسير، القراءات، التوحيد) والعلوم اللغوية (صرف، نحو، عروض، بلاغة) والعلوم العقلية (فلك، حساب، منطق).

الملاحظ أن المؤسسات الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني لا تكاد تنفصل عن المسجد والزوايا والكتاب، ومعظمها كانت للتعليم، ما عدا المساجد والزوايا التي كانت تقام فيها الصلوات الخمس، والمساجد التي كانت تقام فيها خطبة الجمعة. فهناك تداخل بين وظيفة المدرسة والزاوية والمسجد في ميدان التعليم، نتيجة نقص أو عدم وجود مؤسسات حكومية خاصة بالتعليم، حيث كانت المساجد والزوايا تؤدي وظيفة المدرسة في نشر العلم على اختلاف مهامها. كما كانت الزوايا عبارة عن معاهد للتدريس ومساكن لإيواء الطلبة، حيث احتضنت الزوايا اللغة العربية والثقافة الإسلامية ونشرتهما بشكل واسع وفتحت أبوابها لطلاب العلم والمعرفة. وكان لهذه السياسة التعليمية والتداخل بين وظائف المؤسسات الثقافية والدينية شكل من أشكال مقاومة الجهل والأمية ونشر العلم والمعرفة وسد النقص الذي كان موجودا في المؤسسات التعليمية.

- رغم غياب هيئة رسمية تشرف على النظام التعليمي في الجزائر خلال العهد العثماني، إلاّ أن هذا الأخير عرف قوانين وأعراف نظمت من خلالها العملية التربوية، فالتعليم كان يتم عبر مراحل تدريجية يحصّل فيها الطالب مختلف المبادئ الأساسية للعلوم والمعارف، وينتقل من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة العليا، ويتحصل في الأخير على إجازة (شهادة) تؤهله إلى تقلد مناصب عليا في الدولة مثل الإفتاء أو ممارسة التدريس. كما اشتهرت مساجد وزوايا الجزائر بتدريسها لأهم العلوم التي كانت تدرس في المشرق والمغرب، وكانت تقام فيها المناظرات العلمية والحوارات الفقهية والأطروحات الأدبية واللغوية، ودروس الوعظ والإرشاد والإفتاء.

- فقد عرفت الجزائر خلال العهد العثماني انتشار التعليم في أهم الحواضر، منها مدينة الجزائر، بجاية، وهران، معسكر، عنابة، قسنطينة، المدية، مليانة،... الخ. وانتشاره يدل أيضا على كثرة المعلمين والعلماء الذين يصعب ذكرهم وحصر أعمالهم، حيث أن كتب التراجم والمشيخة ورد فيها ذكر هذه النخبة من العلماء الذين مارسوا التدريس في عدة مناطق من الجزائر، ووصلت شهرتهم إلى المشرق والمغرب، لشهرة العلوم التي يقدمونها، فقد ذكرهم الحفناوي والغبريني وأبو راس الناصري.

كما اشتهر طلبة الجزائر بحبهم للعلم والسعي لتحصيله، سواء من خلال الرحلات العلمية الداخلية بين حواضر الجزائر للدراسة في أهم المعاهد، والحصول على الإجازة من شيوخها، أو في إطار الرحلات العلمية إلى المشرق والمغرب، رغم أن الطالب الجزائري لم يكن يتلقى الدعم المادي من الدولة، وكان يعيش الفقر، ماعدا بعض الإعانات التي تقدمها الأوقاف، إلا أنه تحدى الصعاب، وواصل مساره الدراسي وحصل على الشهادات العلمية.

– أما تمويل التعليم، فقد لاحظنا عدم اهتمام الدولة بهذا القطاع، ما عدا بعض المبادرات لبعض البايات رغم أهميتها فإنها جاءت في وقت متأخر، زيادة على ذلك الأوضاع التي كانت تعيشها البلاد لم تسمح لهذه الشخصيات القيام بنهضة علمية وثقافية شاملة. لذلك فعملية تمويل التعليم كان يشرف عليها المجتمع ومؤسسة الأوقاف، وقد وضّحنا ذلك من خلال دراسة نماذج حول مساجد مدينة الجزائر، ومساهمة الأوقاف في تمويلها، ودفع أجور الأساتذة وتقديم منح للطلبة، ولولا إشراف مؤسسة الأوقاف على تمويل التعليم ومبادرات أفراد المجتمع، لما استمر النشاط التعليمي في الجزائر خلال العهد العثماني.

– دور علماء الجزائر، الذين أشرفوا على التعليم وسهروا على تلقينه للأجيال، من خلال نشاطهم العلمي وحلقات التدريس والتأليف. وقد سمحت لهم غزارة علمهم بفرض وجودهم في الحواضر الثقافية في البلاد العربية، فكان هناك تفاعلا ثقافيًا بين الجزائر والمشرق الإسلامي (الأزهر الشريف، المسجد الأموي، المسجد النبوي) ومع المغرب الأقصى وتونس، حيث كان هناك هجرات لعلماء الجزائر نحو المشرق والمغرب في إطار الرحلة العلمية أو الحجازية. لقد كان لهم دورًا تعليميًا في المشرق والمغرب، حيث استفادوا من حضور دروس أشهر علمائها للحصول على الإجازة، وأفادوا من خلال تقديمهم دروس في أشهر المعاهد مثل الزيتونة، القرويين، الأزهر الشريف. كما أن المناخ في هذه الحواضر كان ملائما للإبداع الفكري حيث ألّفوا عدة مصنفات ذات قيمة علمية كبيرة أصبحت تدرس في المعاهد العليا في المشرق والمغرب الإسلاميين.

هذه جملة النتائج التي توصّلت إليها من وراء هذا البحث، فما هو مرجح أن أوضاع التعليم في الجزائر لم تكن تختلف عما كان سائدا في العالم العربي والإسلامي، لكن نتيجة للأوضاع السياسية والاضطرابات والفتن، والتحرشات الأوروبية التي جعلتها تعيش حالة عدم الاستقرار، زيادة على غياب دعم الدولة للتعليم، وعدم وجود مؤسسة حكومية تشرف عليه، كل هذه العوامل جعلت التعليم يعيش نوع من التراجع، والنشاط الذي كان يعرفه كان بمبادرات شعبية، لأن المجتمع الجزائري كان يقدس التعليم ويحرص على تعليم أبنائه.

الملاحق

ملحق 1 **سجلات بيت المال والبايلك : العلبة 03 ، السجل : 16**

- **وقفية عبد الرحمن الثعالبي 1199 هـ / 1777 م**

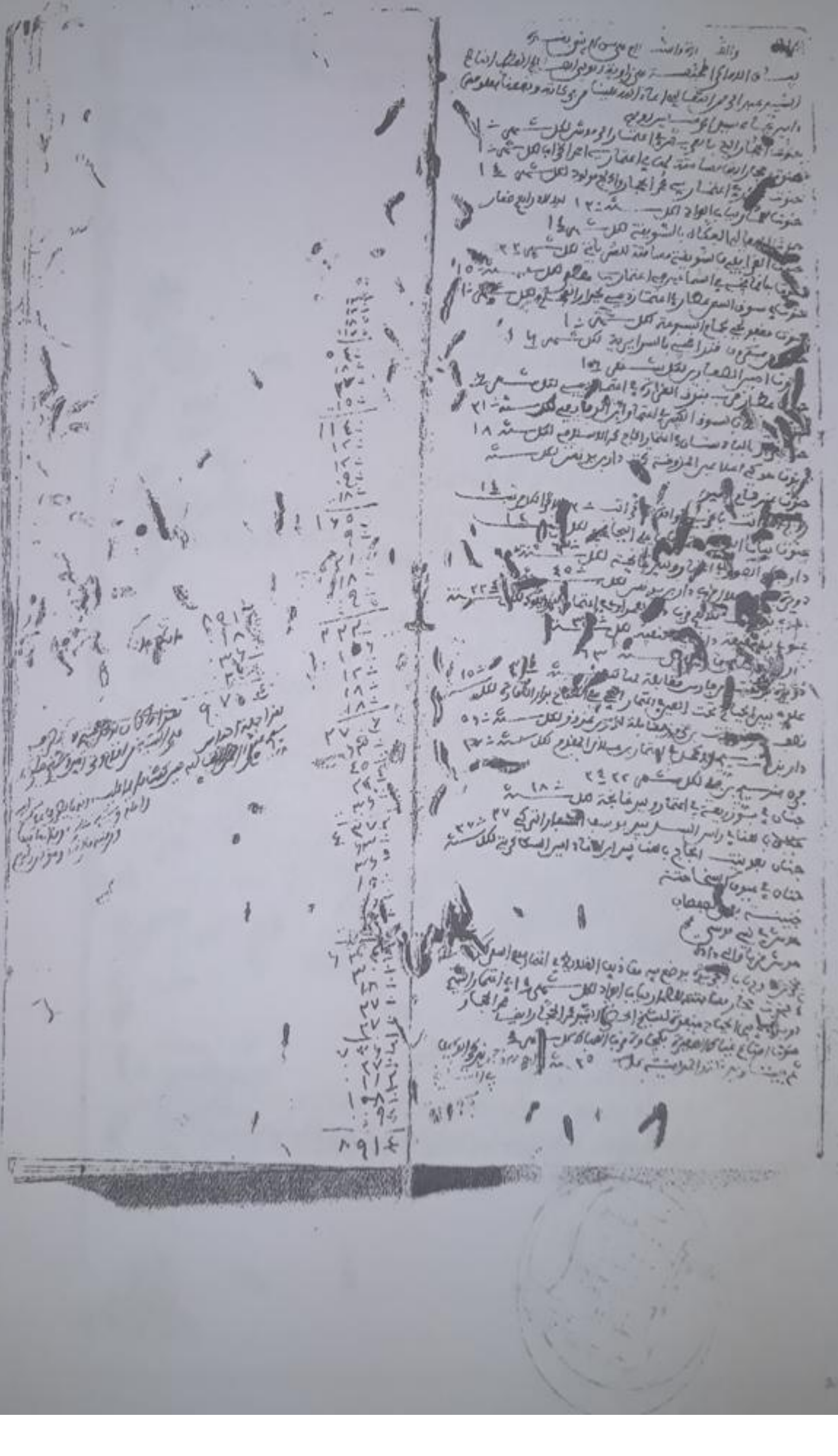

ملحق 2

سجلات بيت المال و البايلك العلبة 03 - السجل 16

- الكتب المحبسة على ضريح عبد الرحمن الثعالبي

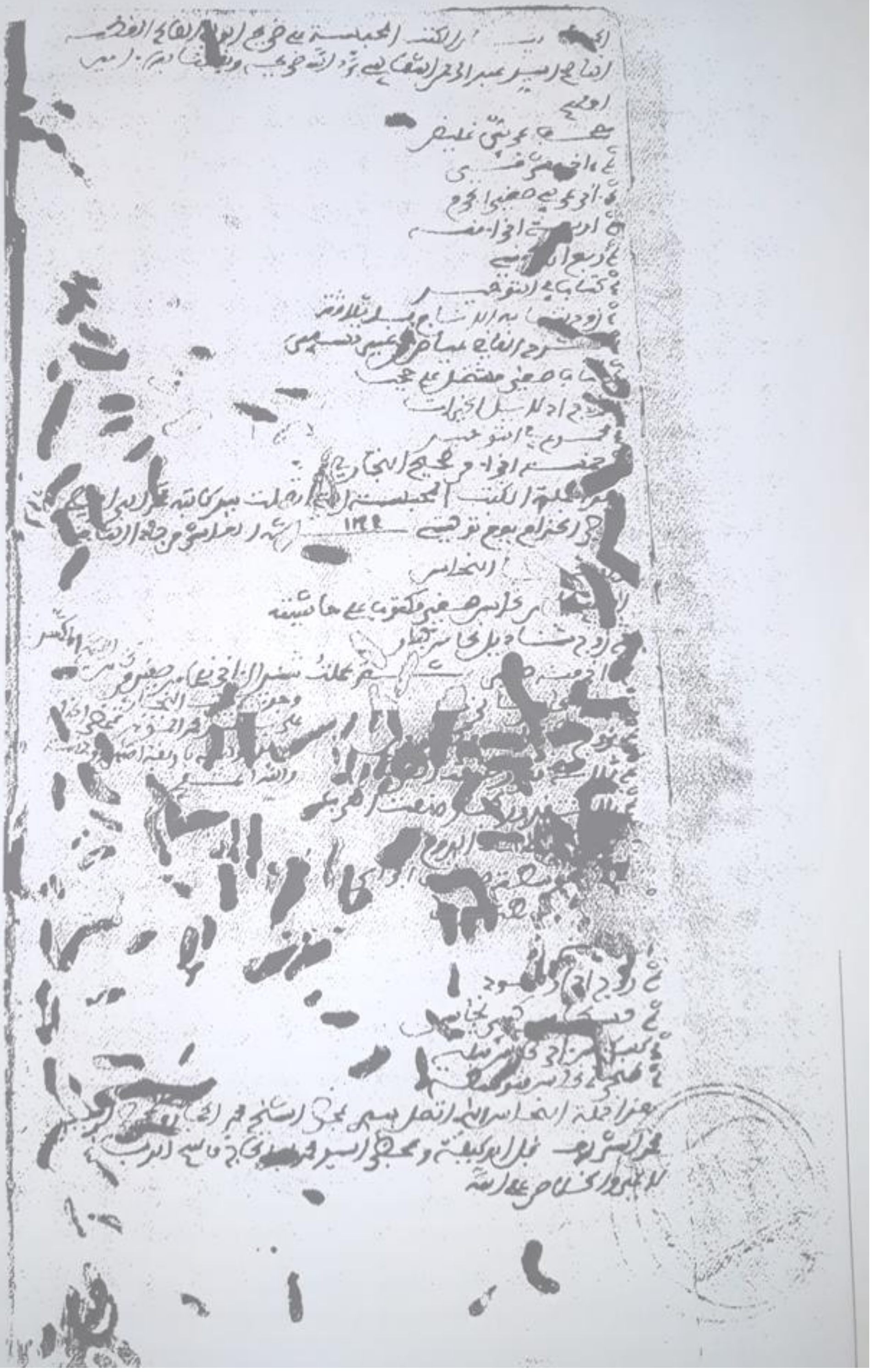

ملحق 3　　سلسلة المحاكم الشرعية ، العلبة 129 - الوثيقة 11

- عقد تأسيس زاوية كجاوة 1201 هـ / 1786 م

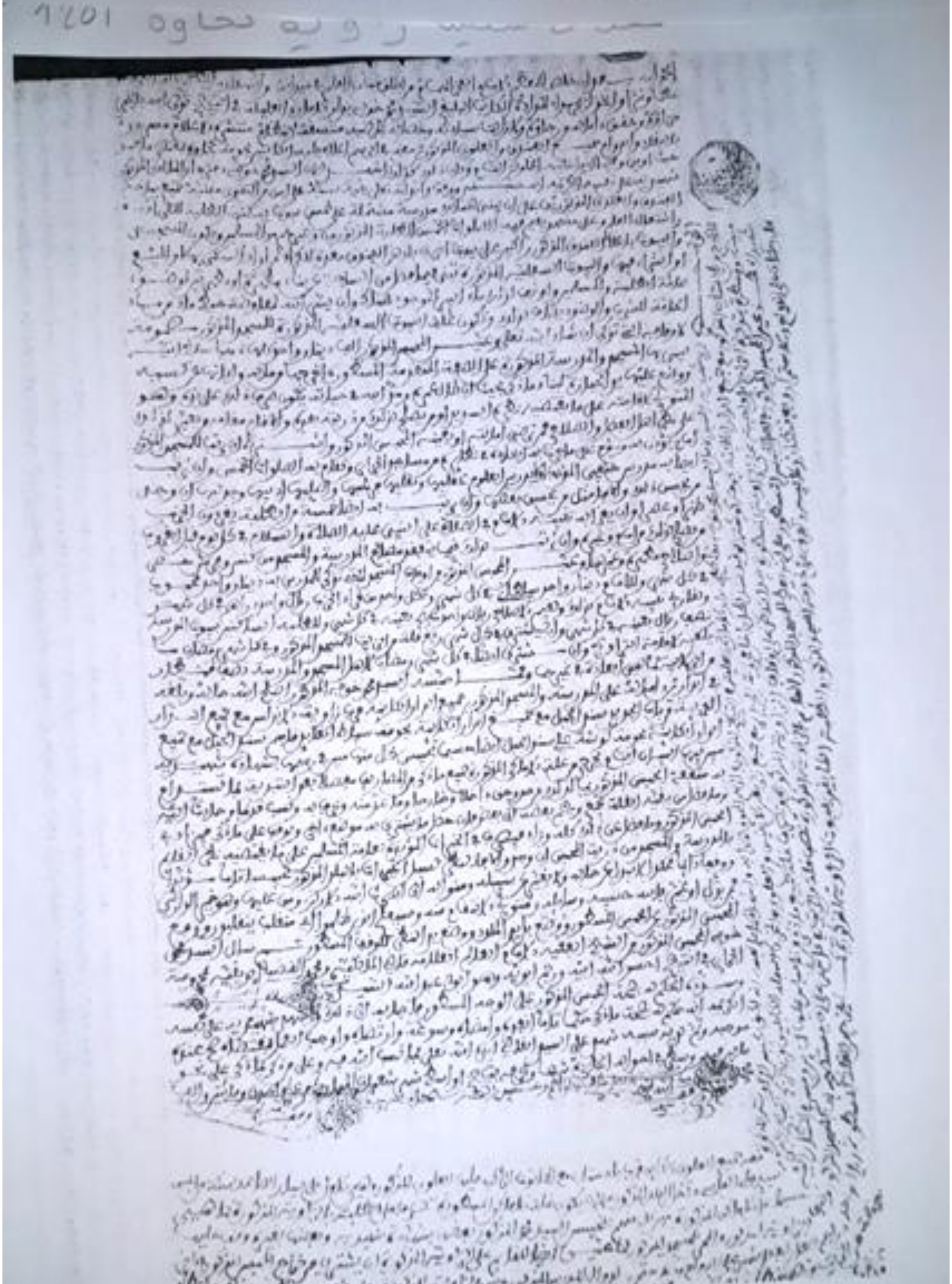

ملحق 4

سجلات بيت المال و البايلك السجل 100 - الورقة 16

- بيان الأماكن المحبسة على زاوية القشاش 1248 هـ / 1832 م

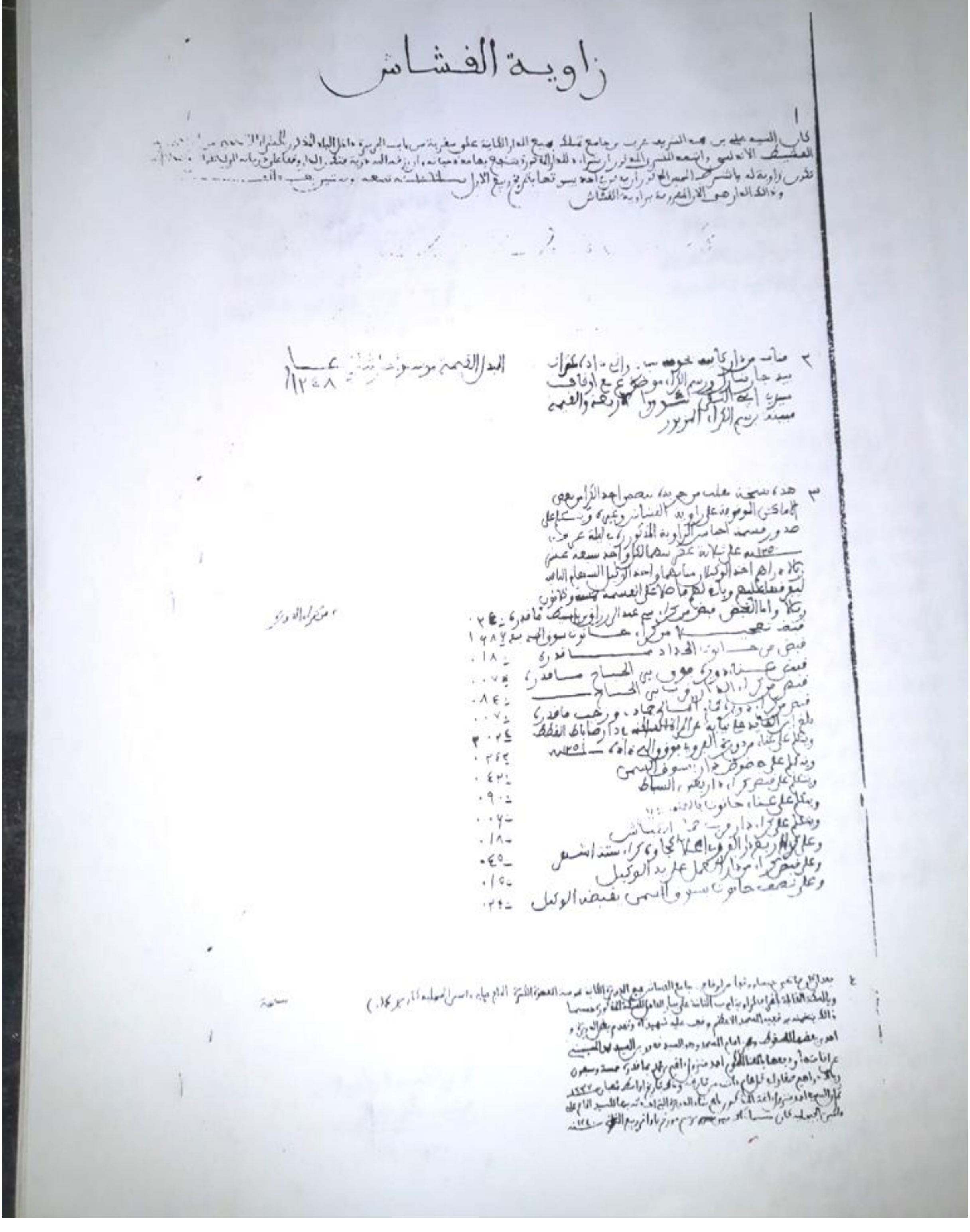

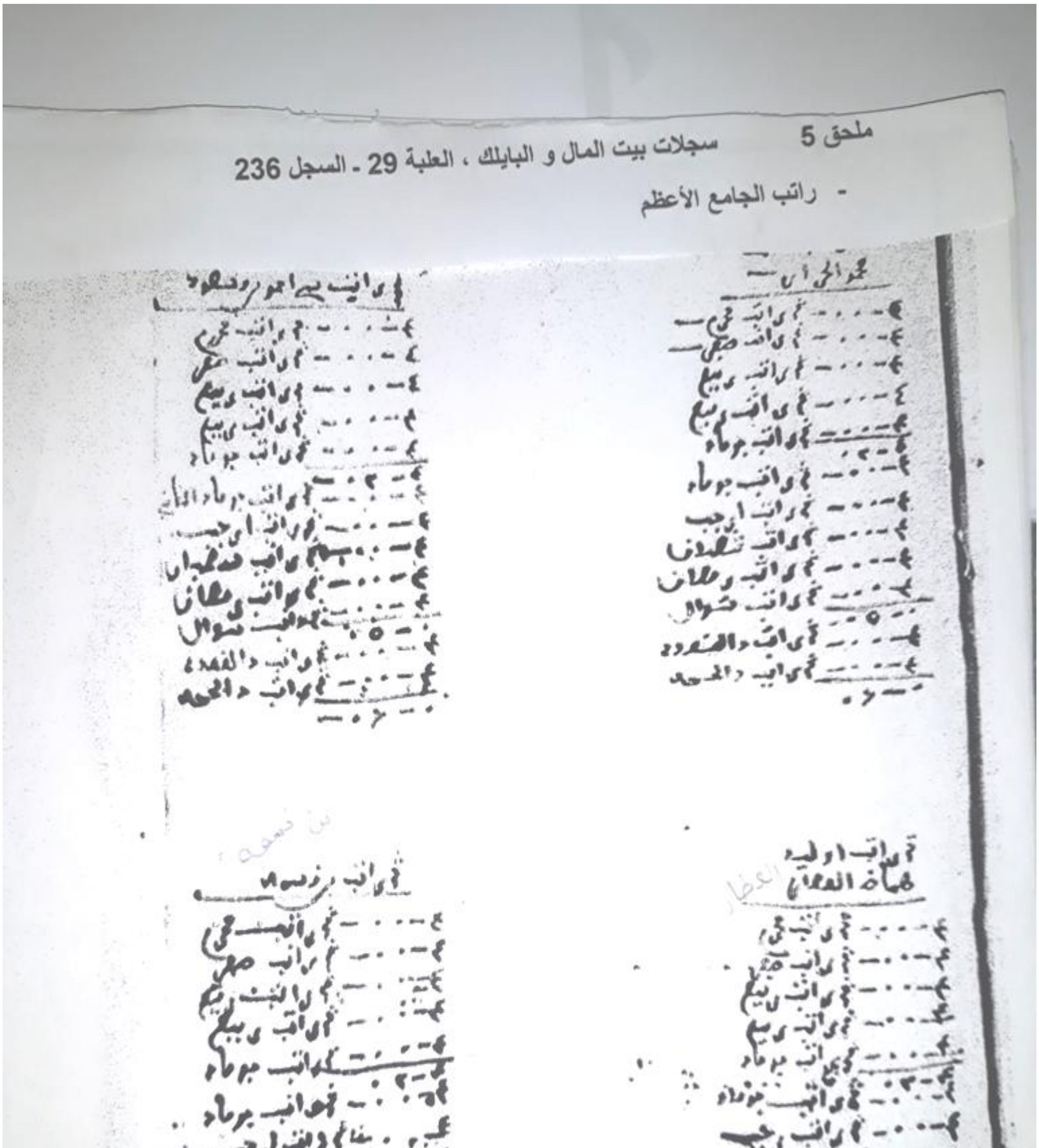
ملحق 5

سجلات بيت المال و البايلك ، العلبة 29 - السجل 236

- راتب الجامع الأعظم

٢ ... ثم رواتب رمضان
٢ ... ثم رواتب شوال
٥ ...
٢ ... ثم رواتب ذي القعدة
ثم رواتب ...
... ٥

٢ ... ثم رواتب رمضان
٢ ... ثم رواتب شوال
٥ ...
٢ ... ثم رواتب ذي القعدة
٢ ... ثم رواتب ذي الحجة
... ٦ ...

(٢)

ثم رواتب العرب
ابن الخوجة
٢ ... اوائل رواتب محرم
٢ ... ثم رواتب صفر
٢ ... ثم رواتب ربيع الاول
٢ ... ثم رواتب ربيع الثاني
٢ ... ثم رواتب جمادى
٢ ...
٢ ... ثم رواتب جمادى الثاني
٢ ... ثم رواتب رجب
٢ ... ثم رواتب شعبان
٢ ... ثم رواتب رمضان
٢ ... ثم رواتب شوال
٥ ...
٢ ... ثم رواتب ذي القعدة
٢ ... ثم رواتب ذي الحجة
٦ ...
...

ثم رواتب اولاد
بن كوجيل
...
٢ ... ١٠
...

ثم رواتب سيدة احمد
الشريف ادريسي
٥ ... ٥ ثم رواتب محرم
٥ ... ثم رواتب صفر
٥ ... ثم رواتب ربيع
٥ ... ثم رواتب ربيع
٥ ... ثم رواتب جمادى
٢٥ ... ٣ ...
٥ ... ثم رواتب جمادى
٥ ... ثم رواتب رجب
٥ ... ثم رواتب شعبان
٥ ... ثم رواتب رمضان
٥ ... ثم رواتب شوال
٥ ... ٦ ...
٥ ... ثم رواتب القعدة
٥ ... ثم رواتب الحجة
... ٨ ...

ثم الرئيل سيدة محمد الناصري
مرتبات الجبانة امتاع باب محل
١٠ ... اوائل رواتب محرم
١٠ ... ثم رواتب صفر
١٠ ... ثم رواتب ربيع
١٠ ... ثم رواتب ربيع
١٠ ... ثم رواتب جمادى
٥ ...
١٠ ... ثم رواتب جمادى
١٠ ... ثم رواتب رجب
١٠ ... ثم رواتب شعبان
١٠ ... ثم رواتب رمضان
١٠ ... ثم رواتب شوال

اولاد سيدة
احمد الشريف
٧ ... ثم رواتب محرم
٧ ... ثم رواتب صفر
٧ ... ثم رواتب ربيع
٧ ... ثم رواتب ربيع
٧ ... ثم رواتب جمادى
٤٢ ...
٧ ... ثم رواتب جمادى
٧ ... ثم رواتب رجب
٧ ... ثم رواتب شعبان
٧ ... ثم رواتب رمضان
٧ ... ثم رواتب شوال
... ثم رواتب ذي القعدة
... ثم رواتب ذي الحجة
١٠ ... ٢ ...

(3) ١١

ثم راتب رابع الاعمام

أولاد جوهان الجرود

- ٢-٠٠٠ ثم راتب محرم
- ٢-٠٠٠ ثم راتب صفر
- ٢-٠٠٠ ثم راتب ربيع
- ٢-٠٠٠ ثم راتب ربيع
- ٢-٠٠٠ ثم راتب جومادى
- ٢-٠٠٠ ثم راتب جومادى
- ٢-٠٠٠ ثم راتب رجب
- ٢-٠٠٠ ثم راتب شعبان
- ٢-٠٠٠ ثم راتب رمضان
- ٢-٠٠٠ ثم راتب شوال
- ٢-٠٠٠ ثم راتب ذو القعدة
- ٢-٠٠٠ ثم راتب ذو الحجة

[illegible]

ثم احمد الجرود

- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب محرم
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب صفر
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب ربيع
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب ربيع
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب جومادى
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب جومادى
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب رجب
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب شعبان
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب رمضان
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب شوال
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب ذو القعدة
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب ذو الحجة

[illegible]

ثم راتب سي احمد بن عبد العزيز

- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب محرم
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب صفر
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب ربيع
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب ربيع
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب جوماد
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب جوماد
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب رجب
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب شعبان
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب رمضان
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب شوال
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب ذو القعدة
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب ذو الحجة

٠٥-٣

محمد بن مسعود

ثم سي محمد بن مسعود

- [illegible] ثم راتب محرم
- [illegible] ثم راتب صفر
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب ربيع
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب ربيع
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب جوماد
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب جومادى
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب رجب
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب شعبان
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب رمضان
- [illegible] ثم راتب شوال
- [illegible] ثم راتب ذو القعدة
- [illegible] ثم راتب ذو الحجة

٠٥ [illegible]

ثم راتب سي احمد ابن الشايب

- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب محرم
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب صفر
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب ربيع
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب ربيع
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب [illegible]

ثم راتب سي يوسف فاي بن طاهر والد [illegible]

- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب محرم
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب صفر
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب ربيع
- ١٢-٣-٠٠٠ ثم راتب ربيع
- ١٢ [illegible]

ثم راتب شعبان ١٢ ٣
ثم راتب رمضان ١٢ ٣
ثم راتب شوال
٤-٣-٠
ثم راتب ذو القعدة ١٢ ٣
ثم راتب ذو الحجة ١٢ ٣
٥-٢-٠

ثم راتب رمضان ١٢ ٣
ثم راتب شوال ١٢ ٣
٤-٣-٠
ثم راتب ذو القعدة ١٢ ٣
ثم راتب ذو الحجة ١٢ ٣
٥-٢-٠

ثم راتب بني احمد
ابر اشكاي

ثم راتب محرم ١٢ ٣
ثم راتب صفر ١٢ ٣
ثم راتب ربيع ١٢ ٣
ثم راتب ربيع ١٢ ٣
ثم راتب جمادى ١٢ ٣
ثم راتب جمادى ١٢ ٣
ثم راتب رجب ١٢ ٣
ثم راتب شعبان ١٢ ٣
ثم راتب رمضان ١٢ ٣
ثم راتب شوال ١٢ ٣
٤-٣-٠
ثم راتب ذو القعدة ١٢ ٣
ثم راتب ذو الحجة ١٢ ٣
٥-٢-٠

ثم راتب بني يوسف
في [illegible] الد....

ثم راتب محرم ١٢ ٣
ثم راتب صفر ١٢ ٣
ثم راتب ربيع ١٢ ٣
ثم راتب ربيع ١٢ ٣
ثم راتب جمادى ١٢ ٣
ثم راتب جمادى ١٢ ٣
ثم راتب رجب ١٢ ٣
ثم راتب شعبان ١٢ ٣
ثم راتب رمضان ١٢ ٣
ثم راتب شوال ١٢ ٣
ثم راتب ذو القعدة ١٢ ٣
ثم راتب ذو الحجة ١٢ ٣
٥-٢-٠

ثم راتب الصديق

ثم راتب محرم ٣
ثم راتب صفر ٣
ثم راتب ربيع ٣
ثم راتب ربيع
ثم راتب جمادى
ثم راتب جمادى
ثم راتب رجب
ثم راتب شعبان ٣
ثم راتب رمضان ٣
ثم راتب الصديق ٣
ثم راتب ذو القعدة ٣
ثم راتب ذو الحجة ٣
٥-٣-٢

الديار العامرة في القندق

ثم راتب محرم ٧-١-٠
ثم راتب صفر ٧-١-٠
ثم راتب ربيع ٧-١-٠
ثم راتب ربيع ٧-١-٠
ثم راتب جمادى ٧-١-٠
ثم راتب جمادى ٧-١-٠
ثم راتب رجب ٧-١-٠
ثم راتب شعبان ٧-١-٠
ثم راتب رمضان ٧-١-٠
ثم راتب شوال ٧-١-٠
ثم راتب ذو القعدة ٧-١-٠
ثم راتب ذو الحجة ٧-١-٠
٤-٣-٢٢

ثم جملة ما انفق في عدد
المرسى نبيل الاثري شاد خيرالله [illegible]

٦-٠ اوكيام
٦-٠
١٢

ملحق 6 **سجلات بيت المال و البايلك ، العلبة 29 - السجل 241**

- **راتب الجامع الجديد 1143 هـ / 1730 م**

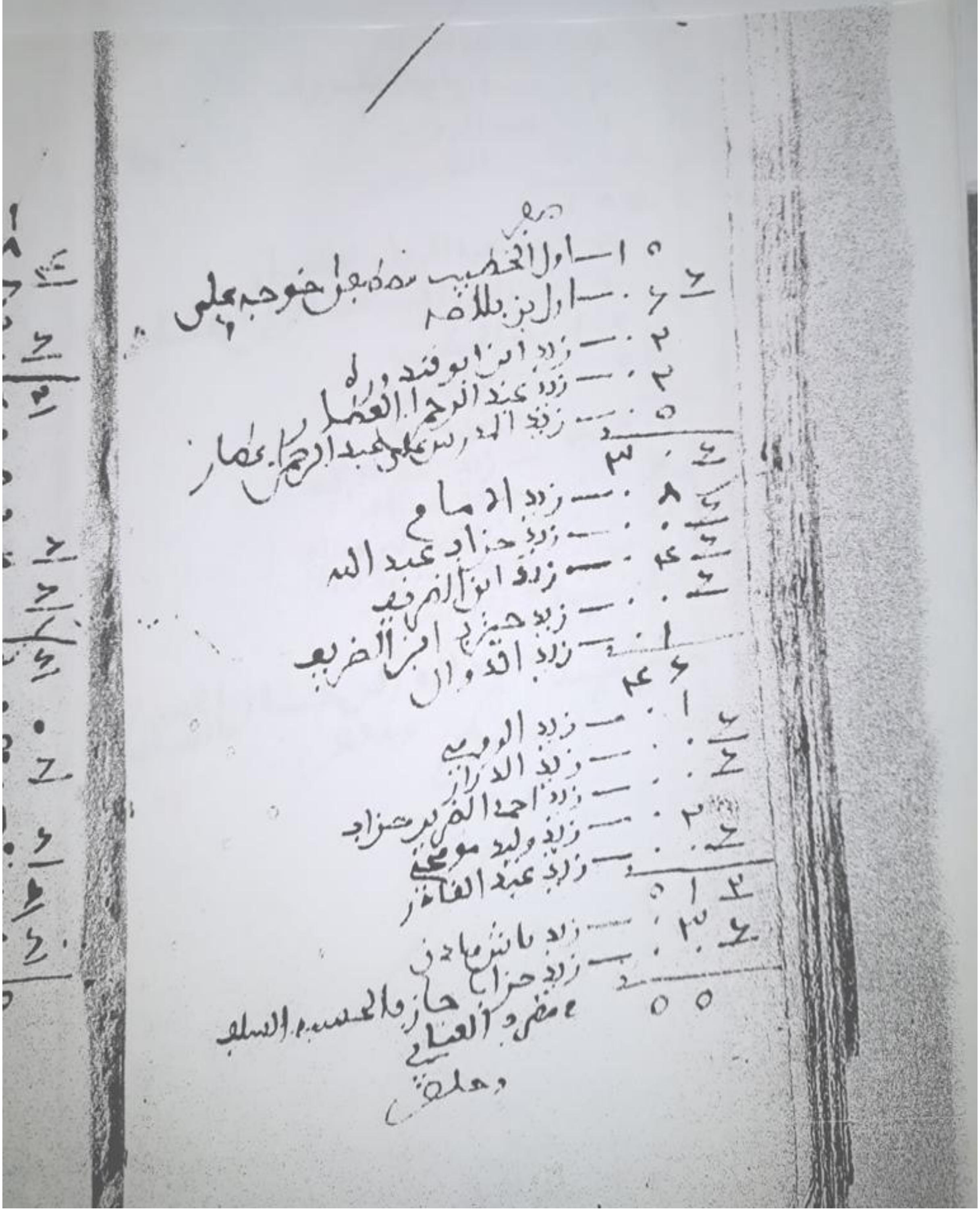

راتب الجامع الجديد في سنة ١٢٤٣

مصروف

ـــ اوزداك ابن باشه . ٦

ـــ زيد [illegible] . ٨

ـــ ابن ابو افنطورة . ٣

ـــ الرومية . ١

ـــ الضرير . ٢

١٨٤

ـــ عبد الرحمن العطار . ٣

ـــ الدوالخد عبد الرحمن العطار . ١

ـــ الخطيب . ١ ٥

ـــ ابن الضرير . ٥

ـــ زيد حبيب

ـــ زيد وليد مومجي

ـــ زيد [illegible]

ـــ زيد عبد الله خنواد

ـــ زيد [illegible] . ١٢

ـــ زيد خنواد

٥ . ٥

ـــ زيد المحدلين جاز والحسين . ٥٥

[illegible]

ـــ اول الخطيب مصطفى خوجه علي . ١ ٥

ـــ اول ابن بللاصر . ٦

ـــ زيد [illegible] . ٢

راتب ربيع الاول

٦ . ـــ اولاد بلاصه
٥ ١ ـــ زيد الخطيب
٨ . ـــ زيد الامشاد
٢ . ـــ زيد والبدو يجي على ... احمد
. ـــ حزاد عبد القادر
٢ ـــ حزاد عبد الله
. ـــ حزاد الدرار
. ـــ حزاد الفنوبر
ـــ حزاد
٤ . ـــ حزاد ابن الهو...
. ـــ ابن ... ربيع
٢ . ـــ ابن كراجه ... العدل
٥ . ـــ الدومي على ...
١ . ـــ امرود
٣ . ـــ ابا شرماد
. ـــ دسيسابس الجالا

٢ ٥
١ . ـــ الدرال
٢ . ـــ زيد

٥ ٥
وخلو

راتب ربيع الثاني

١ : — اول الدوال ابن الحاج مصطفى
٨ : — الامام الجامع
٦ : — ابن بلاصم
٢ : — ولكيلموسي
: — زيد الاواز
١ ٨ ٢

٢ : — عبد الرحمن العطار
٥ : — وال المدرس
٢ : — زيد ابن جراحه
٤ : — زيد مصطفى ابن الضريب
: — زيد جيرب ابن الضريب
٣ ٤ ٣

٣ . — زيد احمد بعلنا باش صاعن
١ ٥ . — زيد الخطيب مصطفى خوجه
: — زيد احمد العزيز حراد
١ . — زيد الربع
: — زيد نسيب يحيى الجلالي حراد
: — زيد عبد الله
. — زيد عبد حراد وحالو
٥ ٥

حي الفعدل

٢ . . — اول وليد مع محي

٦ ٦ . . — الشعال ابن بالله

٥ ١ — الخطيب علي محمد ابن ابو فندوا

٦ ٢ — ماجد السدال ابن ابو فندوا

٢ ٥ ٦

٤ . — امن الصوريص

٦ . . — ابن الطريف جبر

٦ . . — الاذار حزاب

٨ . — الامام

٤

١ . — الرامي

٦ . . — الضوبر

٦ . . — المحجوب نايف عن عبد الواحد

٦ . . — حمزة

٣ — باشن ماجد ز

٢ ٢ — عبد الرحمن العطار

٥ . . — المدرس علوي بن جراب

٦ . . — حزاب

١ .

٥٥

ى الحجه

٣ . — ابن بلاصه

٦ ٣ . — ابن بلاصه من الحانوت

٥ ١ — الخطيب على يد ابن صالح خوجه

٢ . — زيد ابن صالح خوجه

٥ . — زيد الحاج [illegible] على يد على بلداشتر

٦

٢ . — زيد عبد القادر

٦ . — زيد عبد الله

٤ ٥ . — زيد ابن الضريعي

١ . — زيد ابن الحاج احمد وجه دال

١ . — الرويبه

٦ ٧ ٣

٢ . — وليد موسى على يد احمد

٦ . — الضوبير

٦ . — ماد الصبان

٢ . — عبد الرحمن العطار

٨ . — الحمام

٢ ١ ٥

٣ . — باش مهاري

٦ . —

٥ ٥

رمضان [illegible]

٣ . ـــ وليد موسى

٨ . ـــ الامام

ـــ حزاب

ـــ حزاب سي عبد الله

ـــ حزاب عبد القادر

الجيلالي

٥ ـــ ابن الضريح (?)

ـــ حزاب ابن عبد العزيز

ـــ الضرير حزاب

٣ . ـــ وليد بو قندور

٦ . ـــ ابن الاصم (?)

٢ . ـــ العطار عبد الرحمن

٥ ١ ـــ الخطيب

١ . ـــ ابن الحاج محمد

٥ . ـــ المدرس

١ . ـــ للروبي (?)

٣ . ـــ باش مودن

٥ ٥

شعبان

٢ . — وليد موسى

شوال

٦ . — اول اشتغال ابن بالاصر

٨ . — للامام

٥ ١ — الخطيب

٢ . — ابن فنطسورة

٣ ١ ٦

٥ . — ابن الطويل

٦ . . — زيد جزاء مدب العبيان

٥ . — زيد المدرس

٣ . — زيد بلا شرط ...

٢ . — زيد وليد موسى

٣ ٨

٦ . . — زيد محمد جزاء طالب

٦ . — زيد الطويل جزاء

٦ ٢ . — زيد سعيد الوجران

. . — زيد سعيد ومحمد ... الادر

٤ . . — زيد يحيى عبد الله

٣ ٥

١ . — زيد يحيى محمد

١ . — زيد الروس

٥ ٥

رجب ١ 63.

٢ ٢ — ابن والاصه

١ . — زوزد دوال

٨ . — زوزد الاسلي

٢ . — حزاب سيدي عبد القادر

٢ . — حزاب سيدي عبد الله

٢ ٩ ١ — حزاب الخضر بن سي حمد

٢ . — حزاب عنابي

٢ . — حزاب سيدي عبد القادر الطالب

٢ . — حزاب ابن الشويرب

٤ . — ابن الطنوبي

٥ ١ — الخطيب

٢

٠ ٤٤

٢ . — ابن صالح خوجه

٢ . — عبد الرحمن اعصار

١ . — الرومي

٥ . — احمد ونس

٣ . — باش حاج ق

٢

٣ ٥

٢ . — زيد وليد موحب

٢

٥ ٥

شعبان

أحبيب

٢ ٢ . ــــ ابن جلاد

٨ . ــــ الحاج

٢ ٤ . ــــ ابن الضريبة

٢ . ــــ ابن الضرير حبيب

١ ــــ الدوان

٢ ٥ ١ ١ ٢ ــــ الخطيب

١ . ــــ الروبي

٢ . ــــ ابن صالح خوجه

٣ ــــ عبد الرحمن الكماد

٢ ١ عجــــ عبد الله حيترب

٢ . ــــ عبد القادر

٢ . ــــ الضرير حداد

٥ . ــــ المدرس

٣ . ــــ باش عاز السدل

٢ . ــــ سي عبد القادر

٢ . ــــ حنطوب الهمالي

٣ ٥

ــــ والبز سوجيه

٥ ٥

جماد الاول

٣ . — والعبد موسى محيي

٣ . — ابن صالح خوجه

٣ . — العطار باب الواد عبد الرحمن

٥ ١ — الخطيب

٣ . — زيد بن الشعود ن

٨ . — الادماج

٢٥ ٣ — المدرس

١ . — الدوال

٦ ٦ . — لن تعال

٤ ٥ . — مصطفى ابن الطنريف

٦ . . — حزاب بني عبد القادر

٦ ١ ٥ — حزاب بني عبد الله

٦ . . — حزاب بني محمد علي بن مصطفى

٦ . . — حزاب بني محمد علي بن مصطفى

٦ . . — حزاب عبد القادر

١ . — الدوم

٥٥

جمادى الثاني

٣ . — وليد موسى

٥ ١ — زيد الخطيب

٨ . — زيد الحاج

٥ . — زيد المدرس

١ — زيد والابن الحاج مصطفى

٣ . — زيد جاء من ... ون

٢ . — زيد ساعة ابن الحاج حسن

٢ . — زيد ساعة عبد الرحمن

. — زيد ساعة

. — زيد الشيخ ... صالح

. — زيد ابن الشريف

. — حزاب ابن ... زيد

. — حزاب سيدي عبد القادر

. — حزاب عبد الله

. — حزاب عبد القادر ...

. — حزاب الحبيب

. — حزاب عبد الوهاب

١ . — زيد الربيع

٥٥

جمادى الثاني .

٢ . ـــ [illegible]

٥ ١ ـــ زوجة الخطيب

٨ . ـــ زوجة الحاج

٥ . ـــ زوجة المدرس

١ . ـــ زوجة والابن الحاج مصطفى

٣ . ـــ زوجة داشرحون

٢ . ـــ زوجة سادن ابن الحاج خوجة

٢ . ـــ زوجة سادن عبد الرحمن

. . ـــ زوجة سادن

٢ . ـــ زوجة الشعدا [illegible]

٢ . ـــ زوجة ابن المزبع

١ . ـــ حزاب ابن الكزيد

٢ . ـــ حزاب سي عبد القادر

٢ . ـــ حزاب عبد الله

٢ . ـــ حزاب عبد القادر [illegible]

٢ . ـــ حزاب الكبير

٢ . ـــ حزاب عبد الوهاب

١ . ـــ زوجة الرحمه

٥٥

ملحق 7 : تقرير السلطات الاستعمارية حول مساجد مدينة الجزائر سنة 1833 م .

Serie Z . AIX . MI 1 – BOBINE 66 .

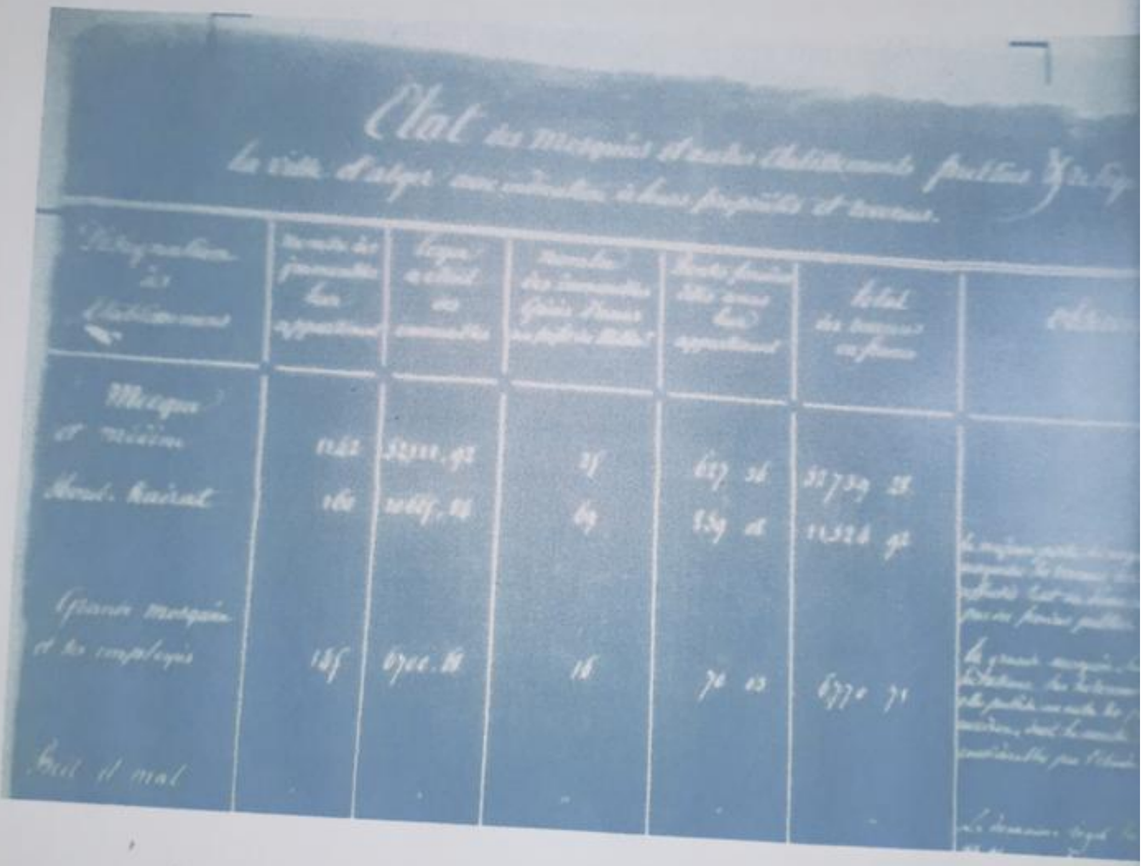

Mosquée et [illegible]	1142	32311.92	25	627 36	32739 28
Marab. Kairat	180	10667.84	69	159 08	11326 92
Grande mosquée et ses [illegible]	125	6700.16	16	70 03	6770 71
Beit el mal					

Mosquée Chemaen	..	.. ..	7	66 12	66 12
Mosquée Sec-el-oued	1	37, ..	9	156 92	193 92
Mosquée Sabat-el-harz	3	171 . 12	2	26 97	198 09
Mosquée Bengorali	2	50 , 22	..	.. ..	50 22
Mosquée Sabat Lamor	1	16 . 74	3	21 72	38 66
Couvent Moulay Aissa	4	414 . 36	24	308 76	723 12
Mosquée ben Sadoun	4	130 . 20	8	43 65	173 85
	2538 1548	73983,12	159	2779, 28	76762, 40

Mqu Ramadan pacha	4	57 ..	..	-
Mqu hamman Meta	3	124 52	3	37 20
Mqu Sidi Souiat	2	84 96	2	12 60
Mqu hamman Sidna	..	..	9	40 80
Mqu ahcemsimont	.	.	3	38 82
Mqu Bich Bena	..	..	5	99 [illegible]
Mqu mohamed Schérif	..	.	6	18 60
Mqu aouan Sidi abdallah	2	40,92	5	29 40
Marabout Sidi hnak	1	44,64	1	7 44

...amadan pacha	4	57 ..	..	-
...hamman Mela	3	124.52	3	37 20
... Slah louiat	2	84.96	2	12 60
... hamman Sidna	-	..	9	40 80
... akermimout	-	-	3	38 82
... Bich Bena	-	-	5	99 24
... Mohamed Chérif	-	-	6	18 60
... aouan Sidi abdallah	2	40,92	5	29 40
...aralout Stahnah	1	44,64	1	7 44

الببليوغرافيا

أولا: المصادر، المراجع والرسائل الجامعية باللغة العربية

I- المخطوطات:

1 - أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، مخطوط رقم 1623، المكتبة الوطنية، الحامة.

II- الوثائق والسجلات:

1 - سجلات البايلك: (ع33، س327)، (ع33، س334)، (ع34، س331)، (ع31، س287).

2 - سجلات البايلك: ع15، س175.

3 - سجلات البايلك: ع15، س75.

4 - سجلات البايلك: ع16، س77.

5 - سجلات البايلك: ع19، س100.

6 - سجلات البايلك: ع23، س146.

7 - سجلات البايلك: ع23، س147.

8 - سجلات البايلك: ع23، س159.

9 - سجلات البايلك: ع24، س165.

10 - سجلات البايلك: ع24، س167.

11 - سجلات البايلك: ع24، س175.

12 - سجلات البايلك: ع25، س186.

13 - سجلات البايلك: ع29، س231.

14 - سجلات البايلك: ع31، س287.

15 - سجلات البايلك: ع33، س327.

16 - سجلات بيت المال والبايلك: ع8، س40.

17 - سلسلة المحاكم الشرعية، علبة 129، وثيقة 11.

18 - سلسلة المحاكم الشرعية، علبة 82، وثيقة 2.

III– **المصادر :**

1 – الإفراني محمد، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق عبد المجيد الخيالي، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، المغرب، 2004.

2 – البلنسي محمد العبدري، الرحلة المغربية، تقديم سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007.

3 – البوني أحمد بن قاسم، الدرة المصونة في علماء وصلحاء بونة، تحقيق: سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، 2007.

4 – التلمساني بن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة محمد بن أبي شنب، مطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908.

5 – التمجروني أبى الحسن علي أبي عبد الله محمد الجزولي، النفحة المسكية في السفارة التركية، تقديم وتعليق سليمان الصيد، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس.

6 – التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهدامة، ط2، منشورات دار الكاتب، طرابلس، 2000.

7 – الحفناوي أبو القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مطبعة بيير فونتانا، الجزائر، 1906.

8 – ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة، ط5، دار الرائد العربي، لبنان، 1982.

9 – ابن خلدون أبى زكرياء يحيى، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، ج1، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980.

10 – الدرعي أحمد بن محمد بن ناصر، الرحلة الناصرية (1709 – 1710)، ط1، تحقيق وتقديم: عبد الحفيظ ملوكي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2011.

11 – ابن زاكور الفاسي، نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

12 – ابن سحنون أحمد الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي بوعبدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2013.

13 – بن سحنون محمد، كتاب آداب المعلمين، ط2، مراجعة محمد عروسي المطوي، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، تونس.

14 – شالر وليام، مذكرات ويليام شالر، قنصل أمريكا في الجزائر [1816 – 1824م]، تعريب وتعليق: إشماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
15 – الشفساوي محمد بن عسكر، دوحة الناسر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق: محمد حجي، ط2، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977.
16 – عبد القادر نور الدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر – من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006.
17 – بن العطار أحمد بن المبارك، تاريخ قسنطينة (1790 – 1870)، تحقيق عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر، قسنطينة 2011.
18 – الغبريني أبو العباس، عنوان الدراية فيمن عرف في المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979.
19 – الفكون عبد الكريم، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1987.
20 – محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج3، تحقيق محمد حجي، أحمد التوفيق، ط1، مكتبة الطالب، الرباط، 1986.
21 – كاثكارت جيمس، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982.
22 – المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج1-4، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (بدون تاريخ النشر).
23 – المراكشي، المراكشي، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.
24 – بن المفتي حسين بن رجب شاوش ، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمعها: فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2009.
25 – المقري أحمد بن محمد، رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تحقيق: محمد بن معمر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2004.
26 – المقري أحمد بن محمد، روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1983.

27 – بن ميمون محمد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

28 – الناصري أبو راس، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر (بدون تاريخ النشر).

29 – الناصري أبو راس، الدرة الأنيقة في شرح العقيقة، تحقيق: أحمد أمين دلاي، مركز البحث في الأنتربولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر.

30 – الورتلاني حسين بن محمد، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (المشهورة بالرحلة الورتلانية)، مطبعة بيير فونتانا، الجزائر، 1908.

31 – الورتلاني حسين بن محمد، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ط1، المجلد 2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006.

32 – الوزان حسن، وصف إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.

IV– المراجع :

1 – الباري عبد الهادي، جامع القرويين، المسجد الجامعة بمدينة فاس، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت (بدون تاريخ النشر).

2 – بوعبدلي المهدي ، "تراجم بعض مشاهير علماء زواوة"، مجلة الأصالة، العدد 15-14، السنة الثالثة، ماي، جوان، جويلية، أوت 1973.

3 – بوعزيز يحيى، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، ط1، منشورات ANEP، الجزائر، 2002.

4 – بوعياد محمود، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن 9هـ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

5 – التليسي بشير رمضان، الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن 4هـ/9م، ط1، دار المدار الإسلامي، لبنان، 2003.

6 – التوجيني عبد الرحمن، عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس، ط1، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.

7 – الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ المدن الثلاث: الجزائر، المدية، مليانة، ط1، شركة دار الأمة، الجزائر، 2007.

8 – الحسني عبد المنعم القاسمي، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الخليل القاسمي، الجزائر.
9 – حاجيات عبد الحميد ، أبو حمو موسى الثاني، حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
10 – حجي محمد، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج2، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة فضالة، 1978.
11 – حجي محمد، الزاوية الدلائية، دورها الديني والعلمي والسياسي، ط2، مطبعة النصر الجديدة، الرباط، 1988.
12 – حجي محمد، جولات تاريخية، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.
13 – حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية، ج1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009.
14 – بن الديب عيسى، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.
15 – دودو أبو العيد، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830 – 1855)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.
16 – بن سودة المري عبد السلام، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1997.
17 – سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، القسم الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
18 – سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (1500 – 1830)، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
19 – سعد الله أبو القاسم، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
20 – سعد الله أبو القاسم، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986.
21 – سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1988.

22 – سعيدوني ناصر الدين، الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني (1791 – 1830)، دار البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
23 – سعيدوني ناصر الدين، دراسات أندلسية، ط2، البصائر الجديد للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
24 – سعيدوني ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثمانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
25 – الشناوي عبد العزيز محمد، الأزهر جامعًا وجامعة، ج1، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 2013.
26 – طمار محمد، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
27 – طمار محمد، تلمسان عبر العصور، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.
28 – ابن عاشور محمد العزيز، جامع الزيتونة، دار سراس للنشر، تونس، 1991.
29 – ابن عبد الله عبد العزيز، معطيات الحضارة المغربية، ج1، ط3، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2000.
30 – العطافي الجيلالي، المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحيى بن صفية وفي التعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية، ط2، مطبعة حقوق الطبع محفوظة، 2006.
31 – العقبي صلاح مؤيد، الطرق الصوفية في الجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت، 2002.
32 – عبد الرحيم عبد الرحيم عبد الرحمن، "المغاربة في مصر في العصر العثماني (1517 – 1798)، منشورات المجلة التاريخية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982
33 – الفقي عصام الدين عبد الرؤوف، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1990.
34 – فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، الجزء 2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007.

35 – لزغم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية (1518 – 1830م)، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، بدون تاريخ.
36 – أبو مصطفى كمال السيد، جوانب من الحياة الاجتماعية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل فتاوى المعيار المغرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996.
37 – بن مخلوف محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.
38 – محفوظ محمد، تراجم المؤلفين التونسيين، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1982.
39 – الناجي لمين، رحلات علماء المغربين الأقصى والأوسط الملكية وآثارها العلمية من خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، دار الكلمة، القاهرة، 2015.
40 – نسيب محمد، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، (بدون تاريخ النشر).
41 – نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر، من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة، لبنان، 1980.

V – الرسائل الجامعية:

1 – بلغيث عبد القادر، الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة وهران خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة وهران، 2013-2014.
2 – بوخضار فايزة، مدارس المغرب الأوسط الزيانية والمرينية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، 2010-2011، جامعة الجزائر 2.
3 – بودريعة ياسين، أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر 2، 2006-2007.
4 – رزيوي زينب، مؤسسات التوجيه الثقافي في مجتمع المغرب الأوسط ما بين القرنين (7 - 9هـ/13 - 15م)، مذكــرة لنيل شهادة الماجستير 2009 – 2010، جامعة الجيلالي اليابس.
5 – بن شوش محمد، التعليم في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي (1830 – 1870)، رسالة لنيل درجة الماجستير، جامعة بن سوف بن خدة (2007 – 2008).

6 – شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعاليته في العهد العثماني (1519 – 1830)، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، 2006/2005.
7 – الواليش فتيحة، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1993-1994.

VI – الدوريات:

1 – بقطاش خديجة، "أوقاف مدينة الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي"، مجلة الثقافة، السنة الحادية عشر، العدد 62، جمادي الأولى والثانية 1401/مارس، أفريل 1981، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
2 – بلبشير عمر، "مدارس العلم بغرب الجزائر في العهد العثماني، المدرسة المحمدية بمدينة معسكر نموذجا" المجلة التاريخية المغاربية، العهدان الحديث والمعاصر، السنة 43، العدد 164، جوان 2016، تونس.
3 – بوعبدلي المهدي، "الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين الحفصية والتركية وآثارها"، مجلة الأصالة، العدد 19.
4 – بوعبدلي المهدي، "تراجم بعض مشاهير علماء زواوة"، مجلة الأصالة، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، السنة الثالثة، العدد 14 – 15، ماي، جوان، جويلية، أوت 1973.
5 – بوعبدلي المهدي، "مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ (2)"، مجلة الأصالة، العدد 11، السنة الثانية، نوفمبر، ديسمبر، 1972.
6 – بوعبدلي المهدي، "مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ (2)"، مجلة الأصالة، العدد 07، مارس، أفريل 1972.
7 – بوعزيز يحيى، "أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين"، مجلة الثقافة، السنة الحادية عشر، العدد 63، رجب – شعبان 1401هـ/ مايو – يونيو 1981م.
8 – بونار رابح ، "بجاية من خلال بعض الرحالة المسلمين"، مجلة الأصالة، العدد 19.
9 – بونار رابح، "مدينة الجزائر، تاريخها وحياتها الثقافية"، مجلة الأصالة، العدد 08.
10 – التميمي عبد الجليل، "من أجل كتابة تاريخ الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، المجلة التاريخية المغربية، السنة السابعة، العدد 19 – 20، أكتوبر 1980، تونس.

11 - الجيلالي عبد الرحمن، "مسجد سيدي العتيق بعنابة، مجلة الأصالة، العدد 34-35.
12 - حاجيات عبد الحميد، "الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان"، مجلة الأصالة، العدد 26، السنة الرابعة، جويلية، أوت، 1975.
13 - زايد مصطفى، "من المؤسسات التربوية القديمة بالجلفة، الكتاب"، مجلة الثقافة، السنة السادسة عشرة، العدد 93، شعبان - رمضان 1406هـ/مايو - يونيو 1986.
14 - سي يوسف محمد، "نظام التعليم في بلاد زواوة، بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني"، المجلة التاريخية المغربية، السنة السابعة عشر، عدد 57-58، جويلية 1990، تونس.
15 - شريف عبد المجيد، التعليم الأصلي في الجزائر، مجلة الأصالة، العدد 8، السنة الثانية، ماي - جوان 1972.
16 - الشيخ بوعمران، "المجابهات الثقافية في الجزائر المستعمرة من 1830-1880م، تأليف د. توريف ايفوان"، مجلة الأصالة، العدد 6.
17 - طالبي عمار، "الحياة العقلية في بجاية الفلسفة والكلام والتصوف"، مجلة الأصالة، العدد 19.
18 - العكاك عثمان، "عنابة قبل الإسلام"، مجلة الأصالة، العدد 34-35، السنة الخامسة، جمادي الثانية، رجب 1396هـ/ يونيو، يوليو 1976م.
19 - عنان عبد الله، "مدرسة بجاية الأندلسية وأثرها في إحياء العلوم بالمغرب الأوسط"، مجلة الأصالة، العدد 13، صفر - ربيع الأول 1393هـ/مارس - أفريل 1973.
20 - غرداوي نور الدين، "دور المؤسسات التعليمية في التربية والتعليم ببلاد المغرب في القرنين 8هـ - 9هـ من خلال نوازل المازوني"، مجلة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.
21 - فركوس صالح، "الباي محمد الكبير وبعث الحركة الثقافية ببايلك الغرب الجزائري"، مجلة الثقافة، العدد 71، السنة الثانية عشر، ذو القعدة - ذو الحجة 1402هـ/سبتمبر - أكتوبر 1982.
22 - مزيان عبد المجيد، "الأنظمة الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار"، مجلة الثقافة، السنة الخامسة عشر، العدد 90، صفر - ربيع الأول 1406هـ/نوفمبر - ديسمبر 1985م.

ثانيا: المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

I – المصادر والمراجع:

1 - De Haëdo Diego, Topographie et histoire général d'Alger, édition Bouchene, 1998.
2 - De Paradis Venture, Alger au XVIII ème siècles, 2ème édition Bouslama, Tunis.
3 - Le Roy M., Etat général et particulier du Royaume et la ville d'Alger.
4 - Mercier Ernest, Histoire de constantine, J. Marle et F. Biron Imprimeur, éditeur 1903.
5 - Peysonel et Desfontaine, Voyages dans les régences de Tunis et d'Alger, Tome I, librairie de cide, Paris 1858.
6 - Shuval Tall, La ville d'Alger vers la fin du XIII siècle, CNRS édition, Paris, 1998.
7 - Yvonne Turin, Affronrements culturels dans l'Algérie coloniale, librairie François Maspero, Paris, 1971, p.127.

II – الدوريات:

1 - Aumerat, La propriété urbaine à Alger, in R. A n°41-42, Office des Publications Universitaires, Alger, 1897.
2 - Brosslard, Charles, "les inscriptions arabe de Tlemcen", in R. A n°45, 1859.
3 - Cherbonneau A., Inscription Arabe de la medersa de Sidi – Akdar à constantine, in R. A., 3ème année, n°34, 1858.
4 - Devoulx A., Les édifices religieux de l'ancien Alger, in R. A. n°67, janvier 1868, Bastide, librairie éditeur, Alger.

III – الوثائق:

1 - Archives National, série Z – Aix – Mi Bobine, 66.

فهرس الأعلام والأماكن والبلدان

1- فهرس الأعلام:

إبراهيم التازي 11، 12، 209، 213.
ابن حمادوش 129، 216، 217، 249، 252.
ابن قنفد 210
ابن قنفد 57، 211، 212، 214، 215، 238، 254.
أبو الأنوار عبد الكريم التنلاني 83، 140
أبو الحسن بن أبي الفضل المغربي 193.
أبو الحسن بن عثمان الشريف 79.
أبو الحفص عمر المنجلاتي 191.
أبو العباس أحمد بن خالد 33.
أبو العباس الونشريسي 208
أبو تاشفين الأول 21
أبو حمو موسى الأول 21.
أبو حمو موسى الثاني 21.
أبو راس الناصري 57، 49، 60، 137، 138، 198، 200، 201، 202، 229، 254، 259، 268.
أبو راس الناصري 60، 198، 200، 201، 202.
أبو راشد عمار الغربي القسنطيني 194.
أبو عبد الله محمد العطار 170، 195.
أبو عبد الله محمد بن علي أبهلول 191.
أبو عمران موسى الفكيرين 102.
أبو محمد عبد اللطيف المسبح 194.
أبو مدين شعيب 53.
أبي الحسن الشاذلي 12.
أبي حفص عمر الوزان 100، 101، 194.
أبي عمران المازوني 60.
أحمد التجاني 67، 85.
أحمد الشريف بن علي البكاي 195.
أحمد المقري 136، 223، 234، 237، 245، 247، 248، 254، 255.
أحمد الندرومي 215.
أحمد الونشريسي 208، 243، 254.
أحمد بن يوسف التنلاني 84، 105.
أحمد بن أبي يحيى التلمساني الشهير بالحباك 212.
أحمد بن عبد الله الجزائري 11، 15، 209، 213.
أحمد بن عبد الله الجزائري 46
أحمد بن عبد الله الزواوي 74، 142.
أحمد بن عمار 191، 203، 207.

أحمد بن قاسم البوني 99، 193، 214، 251، 261.
أحمد بن محمد البجائي (ابن كحيل) 15.
أحمد بن محمد بن أحمد (المقري) 136، 201.
أحمد بن يونس القسنطيني 212.
أحمد زروق 16، 81، 82، 190.
أحمد عمر القسنطيني 82.
الباي محمد الكبير 55، 56، 57، 60، 61، 62، 63، 67، 68، 104، 121، 122، 141، 150، 166، 175، 176، 178، 179.
بركات بن عبد الرحمن بن باديس 193.
بن علي المجاجي 78، 139، 183، 192.
بهلول أحمد الغبريني 16، 82.
التلمساني 211.
دحو بن زرفة 192، 199.
سعيد بن أحمد المقري 201.
سعيد قدورة 64، 66، 78، 96، 101، 128 ، 129، 140، 181، 187.
سليمان بن داود بن موسى 15.
شعبان بن جلول 195.
الشيخ فتح الله 57.
صالح باي 56، 57، 100، 142، 167، 169، 177، 178.
الطاهر بن عبد القادر المشرفي 198.
عبد الرحمن الثعالبي 11، 12، 15، 75، 76، 93، 122، 124، 156، 255، 261، 263.
عبد الرحمن بن محمد الأخضري 137، 214.
عبد السلام بن مشيش 12.
عبد القادر بن يسعد البرذعي 66.
عبد الكريم الفكون 79، 100، 182، 192، 193، 194، 202.
علي بن مبارك 77.
عمار بن عبد الرحمن 190.
عيسى الثعالبي 217، 225، 226، 232، 235، 236، 258.
المبارك بن قاسم بن ناجي 197.
محمد الأخضري 137، 214.
محمد الشريف الزهار 73، 89، 98.
محمد الصغير بن رقية 196.
محمد المصطفى بن عبد الله بن زرفة الدحاوي 58، 63، 66.
محمد المقري 202.

محمد الهواري 11، 12، 213.
محمد الورتلاني 56، 101، 136، 138، 182، 195، 196، 197، 215، 228، 229، 233.
محمد بن عبد الرحمن الأزهري 74، 131، 138.
محمد بن عبد الله الجيلالي 58.
محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي 22، 207، 211.
محمد بن عبد الله سقط 199.
محمد بن عزوز الحسني الإدريسي 84.
محمد بن علي الجزائري 68، 138.
محمد بن علي الخروبي 64، 65.
محمد بن محمد الخنقي 105.
محمد بن محمد الزواوي 57.
محمد بن محمد الطيب الخنقي 10، 197.
محمد بن محمد المديوني (ابن مريم) 66.
محمد بن محمد بن سعيد المناوي 202.
محمد بن مزيان التواتي 102.
محمد بن يوسف السنوسي 12، 17، 211، 212.
مصطفى بن الشاوش القسنطيني 102، 137، 138.
مصطفى بن رمضان العنابي 130، 189.
يحيى الشاوي 129، 188، 217، 226، 227، 232، 238.
يوسف بن أحمد الندرومي 215.

2- فهرس الأماكن والبلدان:

الأغواط 58 ، 105 .
بجاية 10، 13 ، 15، 16 ، 22، 24، 26 ، 28 ، 32 ، 33 ، 50 ، 53 ، 54، 57 ، 67، 80 ، 122 ، 125 ، 128، 136، 196 ، 204، 205.
تلمسان 10، 19، 22، 24 ، 25، 28، 32، 33، 47، 49 ، 50 ، 55، 61، 62، 66، 67، 77، 102، 103، 123، 139، 149 ، 175 ، 184 ، 201 ، 204 ، 207 ، 208 ، 213.
تونس 67، 105، 195، 197، 201، 205.
تيزي وزو 15، 16.
تيميمون 105 .
عنابة 10 ، 26 ، 88 ، 99 ، 100 ، 101 ، 122 ، 130 ، 177 ، 183 ، 193 ، 203 ، 213 .
فاس 22 ، 25 ، 26 ، 28 ، 49 ، 58، 66، 96 ، 195 ، 198 ، 205 .
القاهرة 54.
قسنطينة 10 ، 13 ، 23 ، 24 ، 26 ، 47 ، 50 ، 56 ، 57 ، 59 ، 63 ، 68، 79 ، 88، 100 ، 101 ، 102، 118، 122، 123 ، 130 ، 138 ، 144 ، 150 ، 167 ، 170 ، 177 ، 178 ، 181 ، 182 ، 184 ، 192 ، 193 ، 194 ، 195 ، 203، 205 ، 210 ، 213 .
المدية 85 ، 104 ، 278 .
مدينة الجزائر 10، 15، 37، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 47، 48، 50، 51، 52، 53، 73، 74، 76، 88 ، 90، 91 ، 92 ، 93 ، 94 ، 95، 97 ، 98 ، 125، 129 ، 130 ، 133، 136 ، 137 ، 142، 143 ، 150 ، 151 ، 155 ، 156 ، 160 ، 194 ، 167 ، 175 ، 187 ، 189 ، 190 ، 191 ، 205 .
مستغانم 26 ، 61 ، 104 ، 150 ، 175 .
مصر 17 ، 28 ، 57 ، 137 ، 199 ، 200، 201 ، 205 ، 215 .
معسكر 57 ، 58 ، 61 ، 65 ، 78 ، 88 ، 103 ، 137 ، 138 ، 141 ، 150 ، 166 ، 170 ، 175 ، 178 ، 198 ، 200 ، 202 ، 278 .
ندرومة 61، 104، 122.
وهران 10 ، 11 ، 22 ، 26 ، 49 ، 50 ، 57 ، 59 ، 60 ، 61 ، 66 ، 77، 78، 104، 123، 129، 141، 142، 162، 176، 179، 198 ، 199 ، 213 ، 214 .

فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــــوع	رقم الصفحة
شكر وعرفان	
الإهداء	
مقدِّمة..	أ-ز
الفصل المدخلي: الوضع التعليمي العام قبيل العهد العثماني	
1 – الزوايا الصوفية ونشاطها التعليمي........................	11
2 – المؤسس الثقافية..	17
3 – تأثير الهجرة الأندلسية على الحركة العلمية:........................	31
الباب الأول: المؤسسات التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني	
الفصل الأول: الكتّاب، المدارس والمكتبات	
المبحث الأول: الكتّاب..	39
1 – أشكال الكتّاب..	39
2 – الوسائل التعليمية..	43
3 – تلاميذ الكتّاب..	46
المبحث الثاني: المدارس..	49
1 – تعريف المدارس..	49
2 – مدارس الجزائر خلال العهد العثماني........................	50
المبحث الثالث: المكتبات..	62
1 – المكتبات العامة..	62
2 – المكتبات الخاصة..	65
3 – الدكاكين التجارية والأندية المنزلية........................	68

الفصل الثاني: الزوايا والمساجد معاهد للتعليم

المبحث الأول: الزوايا.. 71

1 – زوايا الجزائر خلال العهد العثماني.............................. 72

2 – أهمية الزوايا.. 85

المبحث الثاني: المساجد....................................... 87

1 – مساجد مدينة الجزائر من خلال الوثائق والمصادر.................. 88

2 – مساجد المذهب المالكي والحنفي............................... 90

3 – مساجد بايلك الشرق....................................... 99

4 – مساجد بايلك الغرب....................................... 102

5 – مساجد المدية وجنوب الجزائر................................ 104

الباب الثاني: نظام التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني

الفصل الأول: مناهج التدريس ومراحل التعليم

المبحث الأول: مناهج التدريس.................................. 111

1 – منهج التدريس في الكتّاب.................................... 111

2 – منهج التدريس في المساجد والزوايا............................. 113

المبحث الثاني: مراحل التعليم.................................. 116

1 – أطوار التعليم.. 116

2 – الامتحانات والإجازات....................................... 126

المبحث الثالث: المعلمين والطلبة............................... 132

1 – المعلمين.. 132

2 – الطلبة.. 140

الفصل الثاني: مصادر وموارد تمويل التعليم خلال العهد العثماني

المبحث الأول: المؤسسات الوقفية المشرفة على تمويل التعليم.............. 149

1 – المؤسسات الوقفية المشرفة على تمويل التعليم في مدينة الجزائر....... 150

2 – مداخيل الأوقاف... 159

المبحث الثاني: أجور المعلمين ومنحة الطلبة........ 162
1 – أجور المعلمين........ 162
2 – منحة الطلبة........ 170
المبحث الثالث: دور الحكام والمجتمع في تمويل التعليم........ 174
1 – دور الحكام في بناء المؤسسات التعليمية........ 174
2 – حكام الجزائر الذين اشتهروا بالوقف........ 178
3 – دور المجتمع في تأسيس المؤسسات التعليمية........ 181
الباب الثالث: الدور التعليمي لعلماء الجزائر
الفصل الأول: الدور التعليمي لعلماء الجزائر داخليا
المبحث الأول: أشهر المدرسي في الجزائر........ 187
1 – المدرسين في مدينة الجزائر........ 187
2 – المدرسين في مساجد وزوايا بايلك الشرق........ 191
3 – المدرسين في مساجد وزوايا بايلك الغرب........ 198
المبحث الثاني: العلوم المدروسة وحركة التأليف........ 204
1 – علم التصوف........ 205
2 – علم تفسير القرآن........ 206
3 – علم الحديث والفقه........ 207
4 – علوم اللغة العربية........ 209
5 – التاريخ والسير........ 211
6 – العلوم والمنطق........ 215
الفصل الثاني: النشاط التعليمي لعلماء الجزائر مشرقًا ومغربًا
المبحث الأول: علماء الجزائر في المشرق........ 221
1 – علماء الجزائر في مصر........ 221
2 – علماء الجزائر في مكة المكرمة والمدينة والمنور........ 234
3 – علماء الجزائر في بلاد الشام........ 236
المبحث الثاني: علماء الجزائر في المغرب الأقصى........ 240

1 – النشاط التعليمي لعلماء الجزائر في المغرب الأقصى.................. 240
2 – علماء المغرب الأقصى في الجزائر................................ 250
3 – المصنفات الجزائرية في المغرب................................ 253
المبحث الثالث: علماء الجزائر في تونس.............................. 257
الخاتمة.. 265
الملاحق.. 271
البيبليوغرافيا... 297
فهرس الأعلام والأماكن والبلدان................................. 308
فهرس الموضوعات.. 313